القلزم للدراسات التاريخية والحضارية
مجلة علمية محكمة
تصدر عن مركز بحوث ودراسات دول حوض البحر الأحمر - السودان
بالشراكة مع الاتحاد الدولي للمؤرخين - الدنمارك
ISSN:1858-9952

في هذا العدد :

- دور الثقافة الإسلامية في إعداد المجتمع الإسلامي لمواجهة مخاطر الغزو الثقافي الأجنبي ودرء آثاره
  أ.د. الريح حمد النيل أحمد الليث
- حادثة سرقة الشمامة من المسجد النبوي (1118 - 1121هـ/-1706 1709م) (دراسة تاريخية تحليلية)
  د. نوير بنت مبارك العميري
- طريق جبل كرا بالطائف دراسة تاريخية تحليلية (923 - 1436هـ/ 1517- 2015م)
  د. حنان بنت عبيد عبدالله الجدعاني
- الأزمة الاقتصادية وأثرها في قيام الأنظمة الدكتاتورية في أوروبا(1929- 1939م)
  د. محمد أحمد ضوالبيت رابح – د. عزة محمد موسى محمد
- الخطوات التي أدت إلى استقلال السودان
  د. أيمن كمال أمين السيد
- موقف المجتمع الدولي من الحرب الهندية- الباكستانية الثالثة(1391هـ-1971م)
  أ.ندى محمد هزاع عبده
- الاستعمار البريطاني والفرنسي للصين (1792- 1954م) (دراسة تاريخية تحليلية)
  أ.عزيزة أحمد عبد العزيز الذبياني
- حُلي المرأة في جنوب الجزيرة العربية في الألف الأول قبل الميلاد
  أ.صالحة محمد سعيد مشراف

العدد العشرون - جمادي الأولى 1444هـ - ديسمبر 2022م

مجلة القلزم العلمية للدراسات التاريخية والحضارية علمية دولية ربع سنوية محكمة - العدد العشرون جمادي الأولى 1444هـ - ديسمبر 2022م

ISSN: 1858 - 9952 ردمك
دار آريثيريا للنشر والتوزيع
Arrythria for Publishing and Distribution

فهرسة المكتبة الوطنية السودانية-السودان
مجلة القلزم:Alqulzum Journal for
Historical and cultural Studies
الخرطوم : مركز دول حوض البحر الأحمر 2022
تصدر عن دار آريثيريا للنشر والتوزيع -السوق العربي
السودان - الخرطوم
ردمك: 1858-9952

مجلة القلزم للدراسات التاريخية و الحضارية

هيئة التحرير

المشرف العام

أ.د.إبراهيم البيضاني

رئيس هيئة التحرير

أ.د.حاتم الصديق محمد احمد

رئيس التحرير

د. عوض أحمد حسني شبا

سكرتير التحرير

د.سلوى التجاني فضل جبر الله

التدقيق اللغوي

أ.الفاتح يحيى محمد عبد القادر

الإشراف الإلكتروني

د. محمد المأمون

التصميم الداخلي

أ. عادل محمد عبد القادر

تصميم الغلاف

ايلين عبد الرحيم ابنعوف

الهيئة العلمية و الإستشارية

أ.د. حسن أحمد إبراهيم-السودان

أ.د. سارة بنت عبد الله العتيبي- المملكة العربية السعودية

أ.د. أسامة عبد الرحمن الأمين- السودان

أ.د. أبو هريرة عبد الله محمود يعقوب- السودان

أ.د. أشرف محمد عبد الرحمن مؤنس - جمهورية مصر العربية

أ.د. السماني النصري محمد أحمد - السودان

د. أحمد الياس الحسين - السودان

د. داود ساغه محمد عبد الله- السودان

د. سلطان أحمد الغامدي- المملكة العربية السعودية

د. سامي صالح عبد المالك البياضي- مصر

د. محمد أحمد زروق- المغرب

د. سعاد عبد العزيز أحمد السودان

د . أحمد محمد مركز- السودان

د. باب ولد أحمد ولد الشيخ سيديا- موريتانيا

د. عزة محمد موسى - السودان

د. حنان عبد الرحمن عبد الله التجاني- السودان

د. ربيعة أحمد عمران المداح- ليبيا

الآراء والأفكار التي تنشر في المجلة

تحمل وجهة نظر كاتبها ولا تعبر بالضرورة عن آراء المركز

موجهات النشر

تعريف المجلة:

مجلة (القُلزم) للدراسات التاريخية و الحضارية مجلة علمية محُكمة تصدر عن مركز بحوث ودراسات دول حوض البحر الأحمر - السودان . بالشراكة مع الاتحاد الدولي للمؤرخين - الدنمارك تهتم المجلة بالبحوث والدراسات التاريخية والحضارية والمواضيع ذات الصلة لدول حوض البحر الأحمر من الناحية التاريخية والحضارية.

موجهات المجلة:

1. يجب أن يتسم البحث بالجودة والأصالة وألا يكون قد سبق نشره قبل ذلك.
2. على الباحث أن يقدم بحثه من نسختين. وأن يكون بخط (Traditional Arabic) بحجم 14 على أن تكون الجداول مرقمة وفي نهاية البحث وقبل المراجع على أن يشارك إلى رقم الجدول بين قوسين دائريين ().
3. يجب ترقيم جميع الصفحات تسلسلياً وبالأرقام العربية بما في ذلك الجداول والأشكال التي تلحق بالبحث.
4. المصادر والمراجع الحديثة يستخدم أسم المؤلف، اسم الكتاب، رقم الطبعة، مكان الطبع، تاريخ الطبع، رقم الصفحة.
5. المصادر الأجنبية يستخدم اسم العائلة (Hill, R,).
6. يجب ألا يزيد البحث عن 30 صفحة وبالإمكان كتابته باللغة العربية أو الإنجليزية.
7. يجب أن يكون هناك مستخلص لكل بحث باللغتين العربية والإنجليزية على ألا يزيد على 200 كلمة بالنسبة للغة الإنجليزية. أما بالنسبة للغة العربية فيجب أن يكون المستخلص وافياً للبحث بما في ذلك طريقة البحث والنتائج والاستنتاجات مما يساعد القارئ العربي على استيعاب موضوع البحث وبما لا يزيد عن 300 كلمة.
8. لا تلزم هيئة تحرير المجلة بإعادة الأوراق التي لم يتم قبولها للنشر.
9. على الباحث إرفاق عنوانه كاملاً مع الورقة المقدمة (الاسم رباعي، مكان العمل، الهاتف البريد الإلكتروني).

نأمل قراءة شروط النشر قبل الشروع في إعداد الورقة العلمية.

المحتويات

دور الثقافة الإسلامية في إعداد المجتمع الإسلامي لمواجهة مخاطر الغزو الثقافي الأجنبي ودرء آثاره.....(7-24)

أ.د. الريح حمد النيل أحمد الليث

حادثة سرقة الشمامة من المسجد النبوي (1118 - 1121هـ/1706 - 1709م) (دراسة تاريخية تحليلية).....(25-58)

د. نوير بنت مبارك العميري

طريق جبل كرا بالطائف دراسة تاريخية تحليلية (923 - 1436هـ/ 1517- 2015م).....(59-96)

د. حنان بنت عبيد عبدالله الجدعاني

الأزمة الاقتصادية وأثرها في قيام الأنظمة الدكتاتورية في أوروبا(1929- 1939م).....(97-110)

د. محمد أحمد ضوالبيت رابح – د. عزة محمد موسى محمد

الخطوات التي أدت إلى استقلال السودان.....(111-142)

د. أيمن كمال أمين السيد

موقف المجتمع الدولي من الحرب الهندية- الباكستانية الثالثة(1391هـ-1971م).....(143-162)

أ.ندى محمد هزاع عبده

الاستعمار البريطاني والفرنسي للصين (1792- 1954م) (دراسة تاريخية تحليلية).....(163-188)

أ.عزيزة أحمد عبد العزيز الذبياني

حُلي المرأة في جنوب الجزيرة العربية في الألف الأول قبل الميلاد.....(189-212)

أ.صالحة محمد سعيد مشراف

كلمة التحرير

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خير الخلق أجمعين.

القارئ الكريم:

بعد السلام وكامل التقدير والاحترام يسعدنا أن نضع بين يديك هذا العدد من مجلة القلزم للدراسات التاريخية والحضارية الذي يأتي في إطار الشراكة العلمية المثمرة والجادة مع الاتحاد الدولي للمؤرخين (الدنمارك).

القارئ الكريم:

هذا هو العدد العشرون من المجلة بفضل الله وتوفيقه بعد أن نجحت المجلة بواسطة هيئتيها العلمية والاستشارية وهيئة تحريرها في إصدار تسعة عشر عداداً من المجلة، الأمر الذي يضع الجميع أمام تحدٍ كبير يتمثل في بذل المزيد من الجهد بغرض التطوير والتحديث والمواكبة لتصبح هذه المجلة في مصاف المجلات العالمية الرائدة بإذن الله تعالى.

القارئ الكريم:

نأمل أن يكون هذا العدد أكثر شمولاً وتنوعاً من حيث المواضيع وطريقة طرحها وتحليلها ومعالجتها. ونسأل الله تعالى أن يجد المهتمين والمختصين والباحثين في هذا العدد ما يفيدهم ويضيف للبحث العلمي.

وأخيراً نجدد شكرنا وامتنانا لكل الذين أسهموا في إنجاح هذا العدد من باحثين، ومحكمين ونجدد دعوتنا للجميع بأن أبواب النشر مشرعة في جميع مجلات القلزم العلمية المتخصصة.

أسرة التحرير

دور الثقافة الإسلامية في إعداد المجتمع الإسلامي لمواجهة مخاطر الغزو الثقافي الأجنبي ودرء آثاره.

أ.د. الريح حمد النيل أحمد الليث

قسم التاريخ - كلية الشريعة والدراسات الإسلامية
جامعة أم القرى - المملكة العربية السعودية

المستخلص:

الحمد لله الذي علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم، والصلاة والسلام على النبي الأمي المعلم. وبعد:

فإنه وبعد فشل الغرب الأوربي في إحراز نصر عسكري حاسم على العالم الإسلامي وتحقيق النتائج التي من أجلها قام بشنَّ الحملات الصليبية على ديار المسلمين زهاء مائتي عام، وبعد ادراكه أن أهدافه من الغزو لم تتحقق بالآلة العسكرية، أخذ يعد العدة لشنِّ الحرب الأخطر على المدى البعيد بالتحول من الغزو العسكري إلى الغزو الثقافي وهو ما اصطلح على تسميته الغزو الفكري منطلقاً من أسباب دينية وسياسية وتجارية وعلمية، وهدف آخر يعتبر أخطرها تمثل في الهدف الثقافي الذي أفردنا هذا البحث لدراسة مخاطره وآثاره من خلال البحث عن الدور الذي قامت وتقوم به الثقافة الإسلامية لمواجهة مخاطره والتصدي لها ودرء آثارها، بالعمل على تهيئة المجتمع المسلم وإعداده دينيا وفكريا لمواجهة هذه المخاطر، وكيفية التعامل مع آثارها، وتبصيره بالأهداف الحقيقية للغزو الممنهج الذي لم يسلم منه مجتمع مسلم سواء كان مجتمع أكثرية أو مجتمع أقلية، وذلك بحشد جهود علماء الأمة الإسلامية ومفكريها ومثقفيها، وبذل الجهود لتوحيدها من أجل تقوية المناعة الدينية والفكرية والأخلاقية للفرد والمجتمع المسلم، والتصدي لمخاطر الغزو ومنعه من تحقيق أهدافه المرسومة ونتائجها المتوقعة، ذلك بتحديث آليات وأساليب وأدوات المواجهة والتصدي لتكون قادرة على مواجهة مثيلاتها لدى الغزاة، باستشعار مخاطر الغزو على حاضر الأمة ومستقبلها باستهدافه أهم شرائح المجتمع وهما الشباب والمرأة.اعتمدت في اعداد البحث منهج البحث التاريخي والوصفي التحليلي، والاستقراء والنقد والاستنتاج في العرض التاريخي، والمنهج الديني فيما يتعلق بالمسائل الدينية. وتمثلت أهم نتائج البحث في:أظهر الغزو الفكري أن الغرب المسيحي الأوربي ورغم فشله في تحقيق نصر عسكري حاسم على الشرق الإسلامي المسلم لا تزال علاقته مع الشرق تقوم على أساس الهيمنة والسيطرة. بذل الغزاة الغربيون جهودا ثقافية وفكرية كبيرة ومضنية من اجل إتمام السيطرة الفكرية والثقافية على المسلمين الا أنهم فشلوا في ذلك.

The role of the Islamic culture in prearing the Islamic community to face the risks of foreign cultural invasion and avoiding its effects

Elraiah Hamadelnil Ahmed Allaith

Abstract:

Praise be to God, who taught by the pen, taught man what he did not know, and blessings and peace be upon the illiterate prophet, the teacher. As for after :After the European West failed to defeat the Islamic world militarily, and to achieve the results for which it organized the Crusades against Muslim countries that lasted for nearly two hundred years, and after realizing that his goals of the invasion were not achieved by the military machine, he launched the most dangerous war in the long run by switching from a military invasion to a cultural invasion, which is termed as an ideological invasion based on religious, political, commercial and scientific reasons, and another purpose that is considered the most dangerous, and it is the cultural goal that we have devoted this research to studying its dangers and effects by searching for the role that Islamic culture played and is playing to confront its dangers, confront them and ward off their effects, this is done through preparing the Muslim community and preparing it religiously and intellectually to face these dangers, how to deal with their effects, and enlightening it with the objectives and real purposes of the systematic invasion from which the Muslim community was not spared, whether it was a majority or a minority, by mobilizing the efforts of the scholars, thinkers and intellectuals of the Islamic nation, and making efforts to unite them from In order to strengthen the religious, intellectual and moral immunity of the individual and the Muslim community, and to confront the dangers of this invasion and prevent it from achieving its set goals and expected results, this is done by modernizing the mechanisms, methods and tools of confrontation and response to be able to confront those of the invaders, by sensing the dangers of the invasion on the nation's present and future by targeting the most important segments of society,

namely the youth and women. In preparing this research, I relied on the historical and descriptive analytical research method, the inductive method, criticism and conclusion in the historical presentation, and the religious method with regard to religious issues. The most important results of this research were as follows:

The intellectual invasion showed that the Christian European West, despite its failure to achieve a decisive military victory over the Islamic East, still has its relationship with the East based on domination and control.The Western invaders made great cultural and intellectual efforts and strenuous efforts to complete the intellectual and cultural control over the Muslims, but they failed in that.

مدخل:

لم يعد الغزو الثقافي الأجنبي شيئاً خفياً أو يمكن إخفاءه، بل هو ظاهر نراه في كل مظهر من مظاهر حياتنا اليومية يعيش معنا ونتعايش معه، ندرك مخاطره ونشعر بآثاره على الفرد والمجتمع والأمة، نراه في أشكال مختلفة متنوعة ومتعددة، يأتينا من أكثر من جهة من الخارج ومن جهات كثيرة من الداخل، الهدف واحد وهو استهداف المجتمع الإسلامي والأمة في أقدس ما تملك؛ عقيدتها الإسلامية بهدف إضعافها ومن ثم إلحاق الهزيمة بها وتشكيكها في مسلَّماتها الإسلامية في القرآن وعلومه، والنبي والسنة، والتاريخ والحضارة، والخلفاء والقادة والعظماء من الرجال والنساء، وجعلها أمة بلا ماض تعتدُّ به، وإحلالها حاضراً لا تنتمي إليه حضارة ومدنية وثقافة وفكراً، وعادات وتقاليد ومثل وقيم، حتى تغدو أمة مسخاً مشوهاً لا جذور لها ولا أصول، وقد خطط الغزاة لذلك بإحكام ونجحوا فيه إلى حد كبير، غير أن أمة الإسلام مهما بعدت عن المسار الصحيح فإنها قادرة على العودة، فأخذت بأسباب العودة واستيقظت من سباتها وعادت إلى صحوتها، وأخذت تجمع صفوفها بعد تفرقها وعزلتها فنشط فقهاؤها وعلماؤها ومفكريها ومثقفيها يقومون بما هم مكلفون به في مواجهة الغزو الثقافي والتصدي له، وتبصير الأمة بمخاطره وكيفية درء آثاره على الدين والمجتمع وخاصة الشباب والنساء، والتربية والتعليم والثقافة واللغة، وأظهروا مقدرات كبيرة في هذا المجال ولم يعد الغزو الثقافي حراً طليقاً يتجول في أرجاء العالم الإسلامي متى وكيف شاء، بل صار مراقباً محاصراً بوعي الأمة وقدرتها على التعاطي مع مستجداته وفق ما تقتضيه مصلحة المجتمع وطبيعة العلاقة مع الآخر من غير قطيعة أو خصومة.

تعريف الغزو الثقافي:

الغزو الثقافي لغة: مفرد اسم منسوب إلى ثقافة، ومصدره الثقف، وفعله ثقف إذا لزم، وثقفت الشيء وهو سرعة تعلمه، وقلب ثقف أي سريع التعلم والفهم[1]، وثَقِفٌ وثَقفٌ: حاذقهم، ومنه المثاقفة[2]، ومن هذا قيل: أهل الثقافة وهم أهل الحذق والبراعة[3]، الغزو وهو الطلب

والقصد، يقال: غزاه يغزوه غزواً، أي: طلبه وقصده، وطلب العدو، أي: سار إلى قتالهم وانتهابهم، والغزو: الخروج إلى محاربة العدو.[4]

اصطلاحاً:

هو مصطلح مركب من كلمتين هما: الغزو: يقال: غزاه غزواً: أراده وطلبه وقصده[5]، وغزا العدو غزواً وغزواناً أي سار إلى قتالهم، ويقال عرفت ما يغزى من هذا الكلام أي ما يراد، وأغزاه جهزه للغزو[6]، ويتبين منه أن معنى الغزو في اللغة قصد الشيء وإرادته وطلبه. وله عدة معاني اصطلاحية منها: أنه مصطلح حديث يعني مجموعة الجهود التي تقوم بها أمة من الأمم للاستيلاء على أمة أخرى أو التأثير عليها حتى تتجه وجهة معينة، وهو أن تتبنى أمة من الأمم وبخاصة الأمة الإسلامية معتقدات وأفكار الأمة الأخرى من الأمم الكبيرة وهي غير إسلامية دائماً، دون نظر فاحص وتأمل دقيق لما يترتب على ذلك من ضياع لحاضر الأمة الإسلامية في أي قطر من أقطارها وتبديد لمستقبلها، فضلاً عن صرفها عن منهجها وكتابها، وسنة رسولها، وما يترتب على هذا الصرف من ضياع...[7]_ومعنى اصطلاحي آخر يتعلق بالمناهج التربوية وهو أن تتخذ أمة من الأمم مناهج التربية والتعليم لدولة من هذه الدول الكبيرة، فتطبقها على أبنائها وأجيالها، فتشوه بذلك فكرهم وتمسخ عقولهم، وتخرج بهم إلى الحياة وقد أجادوا بتطبيق هذه المناهج عليهم شيئاً واحداً وهو تبعيتهم لأصحاب تلك المناهج الغازية أولاً، ثم يلبس الأمر عليهم بعد ذلك فيحسبون أنهم بذلك على الصواب، ثم يجادلون عما حسبوه صواباً ويدعون إليه، وهم بذلك يؤكدون تبعيتهم من جانب آخر، فيعيشون الحياة وليس لهم منها إلا حظ الأتباع والأذناب.[8]

من المصطلحات الوثيقة الصلة بمصطلح الغزو الثقافي مصطلح الغزو الفكري الذي يراد به الغزو الثقافي عند البعض، ويقصد به الوسائل غير العسكرية التي اتخذها أعداء الإسلام لإزالة مظاهر الحياة الإسلامية وصرف المسلمين عن التمسك بالإسلام، مما يتعلق بالعقيدة وما يتصل بها من أفكار وتقاليد وأنماط وسلوك.[9] وهو بوجه خاص مجموعة الجهود التي اتخذها أعداء الإسلام من الصليبيين ضد الأمة الإسلامية بقصد التأثير عليها في جميع الميادين التعليمية والثقافية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية وغيرها باستخدام الوسائل والأساليب التي يراها مناسبة من أجل صرف المسلمين عن التمسك بعقيدتهم وأخلاقهم.[10]

الفكر:

هو إعمال العقل، يقال فكر في الأمر فكراً، أي: أعمل العقل فيه ورتَّب بعض ما يعمل ليصل به إلى مجهول، وأفكر في الأمر: فكر فيه فهو مفكر، مفكر في الأمر: مبالغة في فكر، والتفكير: إعمال العقل في المعلوم للوصول إلى معرفة مجهول.[11]

بداية الغزو الثقافي:

الشائع أن الغزو الثقافي بدأ بعد فشل الحروب الصليبية في تحقيق نصر حاسم على المسلمين لكن الحقيقة أنه بدأ مع بداية دعوات الأنبياء إذ لا يكون غزو عسكري حتى يمهد أصحابه بغزو فكري يسهل ما يقومون به من عمليات عسكرية، غير أن اهتمام الغرب بهذا النوع

مـن الغـزو أكـبر، إذ أن آثـاره أكـبر وأنـكى، وتكلفتـه أقـل إذا مـا قـورن بالغـزو العسـكري[12]، فبعـد أن فشـلت الحـروب الصليبيـة في مهمتهـا وعجـزت عـن اسـتئصال بيضـة المسـلمين وإبادتهـم بهـذه الطريقـة – سـلكوا طريقـاً آخـر غـير هـذه الطريقـة (وهـو الغـزو الفكـري- والـذي نسـميه اليـوم بالحـرب البـاردة) ورسـموا لهـا نهجـاً واسـتعانوا عليهـا بـكل الوسـائل التـي تحقـق بهـا مآربهـم وتنـال بهـا رغباتهـم.[13]

المجتمع الإسلامي:

لـكل مجتمـع مـن مجتمعـات الأرض خصائصـه التـي يتميَّـزُ بهـا عـن غـيره مـن المجتمعـات، وللمجتمـع الإسـلامي خصائـص نـادرة لا تُوجَـدُ في مجتمـع غـيره، ونعنـي بالمجتمـع الإسـلامي المجتمـع الـذي يريـد اللـهُ أن يكـون عليـه النـاس، ذلـك المجتمـع الـذي يحمـل القيـم العليـا التـي غابـت في كثـير مـن أرجـاء الأرض اليـوم، ولا نقصـد بذلـك مـا عليـه المجتمـع اليـوم مـن الانحـراف عـن منهـج اللـه، وإذا وجـدت بعـض الخصائـص الحسـنة في مجتمعنـا الإسـلاميِّ اليـوم فإنمـا هـي قليلـة بالنسـبة لمـا ينبغـي أنْ يكـونَ عليـه المجتمـع؛ إن أعظـم فـرق بـين المجتمـع الإسـلامي والمجتمعـات الأخـرى أن المجتمـع الإسـلامي يسـتمدُّ تصـوره ومنهجـه مـن السـماء، عـن طريـق الوحـي الـذي نـزل عـلى رسـول اللـه -صـلى اللـه عليـه وسـلم- والـذي تكفَّـلَ اللـه بحفظِـهِ إلى قيـام السـاعة، فـإذا مـا اتضـح لنـا هـذا الأمـرُ تبـين لنـا الفـرقُ الهائـل بينـه وبـين مجتمعـات الأرض الأُخـرى التـي تسـتمدُّ تصورهـا للكـون والحيـاة وقوانينهـا التـي تحكـم أمـور حياتهـا مـن العقـل البـشريِّ الضعيـفِ، الـذي لا يعـرف مـا يـدور حولـه مـن عـالم الغيـب، ومـا يحويـه عـالم الشـهادة مـن الأسرار التـي تجهلهـا تلـك العقـولُ القـاصرة عـن تحقيـق مصالحهـا بنفسـها؛ إن البشريـة يـوم أن انحرفـت عـن منهـج اللـه أصابهـا البـلاء والعـذاب الشـديد، ومـا يجـب أن تسـعى إليـه أمـة الإسـلام اليـوم عـن طريـق علمائهـا ودعاتهـا ومفكريهـا ومثقفيهـا هـو البلـوغ بهـذه المجتمعـات الممزقـة التـي أهلكتهـا العـادات المخالفـة للديـن والشـهوات المفرطـة، والأخـلاق السـيئة، إلى درجـات عليـا مـن درجـات الخـير والصـلاح؛ حتـى تكـون مهيـأة لقيـادة الأرض، ويتـم ذلـك مـن خـلال غـرس مبـادئ وخصائـص المجتمـع الإسـلامي، عـن طريـق الكلمـة المؤثـرة والقـدوة الحسـنة، والكتـاب النافـع، والمقالـة الهادفـة، والأعـمال الحسـنة.

التآمر الفكري على الاسلامي:

خـرج لويـس التاسـع ملـك فرنسـا بعـد أن تـم فـداءه مـن أسره في المنصـورة بعـد هزيمـة حملتـه الصليبيـة مـن السـجن بأخطـر اكتشـاف لم يسـبقه إليـه أحـد مـن بنـي جنسـه لخَّصـه في مقولتـه المشـهورة (إذا أردتـم أن تهزمـوا المسـلمين فـلا تقاتلوهـم بالسـلاح وحـده -فقـد هُزمتـم أمامهـم في معركـة السـلاح- ولكـن حاربوهـم في عقيدتهـم فهـي مكمـن القـوة فيهـم.[14]

مـن ثـم يـرى باحثـون كـثر أن لويـس هـذا هـو الـذي نسـج خيـوط المؤامـرة الفكريـة الجديـدة عـلى الإسـلام، القائمـة عـلى تحويـل الحمـلات الصليبيـة العسـكرية إلى حمـلات صليبيـة سـلمية[15]، وتجنيـد المبشريـن الغربيـين في معركـة سـلمية لمحاربـة الإسـلام ووقـف انتشـاره والقضـاء عليـه معنويـاً[16]، واسـتخدام مسـيحيي الـشرق في تنفيـذ سياسـة الغـرب، وأخـيراً إنشـاء قاعـدة للغـرب في قلـب العـالم الإسـلامي تشـكل نقطـة ارتـكاز لقواتـه الحربيـة ولدعوتـه السياسـية والدينيـة.[17]

مصادر الغزو الثقافي الحضارية:

تكمن هذه المصادر ذات التوجهات الإيديولوجية والسياسية والاجتماعية في القوى والحركات الاجتماعية والسياسية ذات الأغراض التوسعية والاستغلالية والاستعلائية كالإمبريالية والصهيونية والشيوعية والشعوبية.[18]

مظاهر الغزو الثقافي:

تجسَّدت مظاهر الغزو الثقافي أو الغزو الفكري في حملات التشويه المكثفة والمبرمجة ضد الإسلام في تشويه القرآن والسنة النبوية وشخص الرسول -صلى الله عليه وسلم- والتاريخ الإسلامي والسيرة النبوية والتراث الإسلامي والحضارة الإسلامية وآل البيت والصحابة الأطهار.[19]

فهل يا ترى تبقَّى من الإسلام أو مما هو مستمد منه مرتبط أو ذو صلة به لم يتم التشكيك فيه وتشويهه، وتقديمه للمسلمين بتلك الهيئة فيشك فيه كل من لا يعرف عن الإسلام إلا ظاهره، وينبري لرد الشبهات ودحض الافتراءات وتبيان الحقائق من آتاه الله علماً وحمله أمانة الذود عن حياض الدين بتبصير وتوعية المسلمين بسموم الغزاة الحاقدين التي بثوها في جميع أركان الدين، وإعدادهم الإعداد السليم وتهيئتهم للاستعداد لمواجهتها ودرء مخاطرها بتعليمهم العلم الشرعي وتثقيفهم الثقافة الإسلامية الكافية القادرة على مواجهة الثقافات الوافدة بالعلم والمعرفة والحكمة والحنكة والدراية والفهم، وليس بالتشدد والعنف اللذان يجد فيهما أعداء الدين سانحة لا تفوت لوصف المسلمين بالتشدد والإرهاب، ومعاداة السامية ومحاربة الإنسانية، وقتل كل صاحب فكر معارض لفكرهم أو مختلف معهم في رأيهم، وهو ما يجب أن يتفطن له علماء الأمة ودعاتها حتى يردوا كيد الأعداء بإعداد جيل مسلم مسلَّح بسلاح العلم والمعرفة والتفقه في الدين مُلماً بثقافات الشعوب الأخرى المختلفة معه ديناً ومعتقداً، ومعرفة لغاتها ما أمكنه ذلك فيتمكن من كشف أساليبهم في تضليل المجتمع وصرف الأمة عن دينها بدعوى التحضر والتقدم والتطور.

تغريب الأمة الإسلامية حضارياً:

بلغت مظاهر الغزو الثقافي ذروتها في التغريب الحضاري للأمة الإسلامية تعليماً وثقافة ونظماً اجتماعية وسياسة واقتصاداً وأخلاقاً وآداباً وقيماً ومُثلاً[20]، وهو يعني تأثير الغرب فكره وحضارته في المسلمين، وهو حملة خُطِّط لها بذكاء ودُبِّر لها بليل[21]، وقد بلغ التغريب ذروته وحقق غايته ونال مبتغاه في تغريب اللسان العربي بقتل العربية الفصحى وإحلال لغات أجنبية أو لهجات محلية محلها.[22]

يكفي شاهداً على ذلك ما وصل إليه حال اللغة العربية الفصحى اليوم، حيث صارت غريبة في مواطنها الأصلية فكثر الخطأ واللحن فيها حتى بين المتعلمين والمثقفين. وهو ما يجوز أن نطلق عليه التغيير الشامل للأمة المسلمة ممثلة في الفرد والمجتمع فلا يبقى لها مما ميزها وخصها به الإسلام شيئاً جديراً بالذكر، فتصبح أمة خاوية خالية نهماً لكل طامع فيها عاجزة عن الدفاع عن نفسها، بعد أن تمكن الغزاة إضعاف مضمونها الإسلامي وتحوله بفعل التأثير الثقافي

الوافد القوي إلى ما يشبه المظهر بعد أن كان جوهراً يحول بينها وبين الاستلاب والتغريب والخضوع والاستسلام، علماً أن الأمة لم تزل قادرة على مواجهة تحديات الغزو الثقافي وآثاره ودرء مخاطره، بفضل الجهود الجبارة والمتعاظمة التي يبذلها علماء الأمة ودعاتها ومفكريها ومثقفيها من خلال التأليف والنشر والوعظ في المساجد والأماكن العامة وحلقات الدرس في المساجد والتوجيه والإرشاد في المؤسسات التعليمية وهي الأكثر استهدافا من قبل الغزاة. الخ.

غزو الشباب المسلم ثقافيا:

ركز الغزو الثقافي بدرجة كبيرة على فئة الشباب وأولاها اهتماماً متعاظماً لما للغزو الثقافي من آثار بالغة الخطورة على الشباب المسلم في المستقبل كونهم عماد الأمة وعليها يقوم مستقبلها، ذلك أن الشباب هم العصب الحساس لحركة وديناميكية المجتمع، ومن يؤثر فيهم ويكسبهم لجانبه، فإنه يؤثر في المجتمع برمته؛ وأهمية الشباب لمروجي ومخططي حملات الغزو الثقافي على اختلاف الحركات والتيارات الفكرية والسياسية التي ينتمون إليها كالإمبريالية والشيوعية والصهيونية والشعوبية تكمن في ثلاث نقاط رئيسة هي: أولاً: أن الشباب يعيشون فترة أطول من متوسطي العمر والمسنين، وعليه فإنهم يخدمون المجتمع ويؤثرون فيه أكثر من بقية الفئات والعناصر السكانية. وثانياً: أن الشباب يتأثرون بالأفكار والقيم والممارسات الوافدة ويتحلون بها ويستغلونها في ذاتيتهم أسرع من بقية الفئات السكانية. وثالثاً: أن الشباب أكثر تكيُّفاً للظروف المستجدة التي يشهدها المجتمع من بقية عناصر المجتمع الأخرى.[23] وما فتئ دعاة الغزو الثقافي الأجنبي ولا يزالون يحاولون ولن يتوقفوا التأثير في الشباب وكسبهم وحملهم على القيام بأعمال وتنفيذ مهام تهدف خطط وأهداف حملات الغزو الثقافي في الوطن العربي وتسيء إلى تراث الأمة العربية الإسلامية وواقعها ومنجزاتها وحضارتها ومعطياتها المادية وغير المادية التي تمكنها من النهوض والرقي والتقدم في المجالات كافة.[24] وتتمثل قنوات الغزو الثقافي للتأثير في الشباب في وسائل الإعلام والخبراء الأجانب والسفارات والمؤسسات الأجنبية وأنشطة السياحة والسفر والبعثات التبشيرية وطلبة البعثات... وغير ذلك، وتحاول هذه القنوات نشر وترسيخ القيم السلبية بين أوساط الشباب كالطائفية والطبقية والأنانية وحب الذات وفقدان الثقة بالنفس والاتكالية والعنصرية والإقليمية والتسرع والتهور والكذب والرياء والتعالي والغرور... وغير ذلك.[25]

أما الخطط والمهام الموكل لتلك القنوات القيام بها وتنفيذها بدقة لإحداث أكبر قدر من التأثير الثقافي في الشباب، ومن ثم إلحاق أكبر ضرر بمستقبل الأمة الإسلامية المعتمد على شبابها كونهم عماده وركيزته، فتتمثل في التأثير في أفكار ومبادئ وقيم الشباب، وتسيير سلوكهم وممارساتهم اليومية والتفصيلية في مجالات معينة تخدم أغراض وأهداف حملات الغزو الثقافي، وأخيراً التأثير في شخصية الشباب واستلابها وجعلها ضعيفة ومستسلمة وتابعة لما تريده أوساط الغزو الثقافي الأجنبي وما تخطط له.

كما تحاول جهات الغزو الثقافي التأثير في سلوك الشباب وممارساتهم اليومية والتفصيلية كجعل سلوك الشباب لا يتسم بالاستقامة، ودفع الشباب إلى تقليد كل ما هو أجنبي وغربي

وحملهم على التمسك بالممارسات الضارة والهدامة، كالميوعة والتبرج وتجاهل الدين والإساءة إلى الإسلام، والكسل والخمول والخمر والميسر والترفع عن الإسلام والعروبة، والدعارة والفساد والخلاعة والمجون، وعدم احترام الكبار والتطاول عليهم، وعقوق الوالدين والتردد على المراقص، ومحلات الديسكو والطرب، والغيرة والحسد والاعتداء على الآخرين وغمط حقوقهم ...إلى غير ذلك.[26]

أما الآثار التي يتركها الغزو الثقافي في شخصية الشباب، فهي إضعافها وضياعها واستلابها وانفصامها لكي تكون شخصية ضعيفة هزيلة وتابعة لا تقوى على المشاركة في بناء وإعادة بناء المجتمع العربي والدفاع عنه ضد الأخطار والتحديات وتنميته وتطويره في المجالات كافة.[27]

الحقيقة المرة التي يجب الاعتراف بها وهي تفوق الآخر علينا، فقد اتصل الأوربيون بنا من بضعة قرون، وجاسوا خلال ديارنا يعربدون كيف شاءوا، فكانوا للأسف يمتدون في الفراغ الذي نشأ لا لأننا تخلينا عن قيادة العلم، بل لأننا عجزنا عن قيادة أنفسنا، كانت الأمة الإسلامية تهوى من أعلى السُلَّم وكان يسمع لتدحرجها دوي رهيب؛ وفي الوهدة التي انتهينا إليها كنا نعاني من محن ثقافية وسياسية لاحصر لها.. كنا -مدنياً وعسكرياً- جديرين بالهزيمة بأن نُقاد ولا نقود، بأن نمشي خلف الآخرين لا أن نتصدر القافلة العالمية كما كان آباؤنا الكبار.. ذلك أن العقل الإسلامي الذي كان يألف الحرية ويأنف من التبعية، والذي كان يحسن البحث والموازنة والاستنباط والرؤية عن بعد، هذا العقل انطفأ وهجه، وذهبت حدته، وكاد لا يرى.[28]

الحط من ماضي الأمة الديني والثقافي:

انطلقت طلائع الغزو الثقافي تطارد الدين المغلوب على أمره في ميادين التربية والتعليم والتشريع، وتطوي تقاليده الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، وأفلحت في تكوين أجيال تنظر إلى ماضيها كله على أنه أنقاض أو مخلفات ينبغي أن تستخفي ليحل محلها البناء الجديد الذي وضع الغرب حقيقته وصورته[29]، فالغزو الثقافي حقيقة لا يجب إنكارها وهو غزو وليس تلاقح كما يسميه البعض.[30] وهذا أخطر ما أحدثه الغزاة من شرخ عميق في علاقة الأمة بماضيها الزاهر القائم على تراث إسلامي أساسه الدين والتاريخ والحضارة، والنظر إليه باعتباره شيئاً تافهاً لا قيمة له من مخلفات الماضي، لا مكان له في حاضر الأمة ومستقبلها، والاستعاضة عنها بما حمله الغزاة الغربيون من مظاهر حياتية خاوية من القيم والأخلاقيات والسلوكيات التي تليق بهم كمسلمين بدعوى التحضر والتمدن وهو ما نراه ماثلاً في كثير من بلاد العالم الإسلامي في وقتنا الحاضر.

بلى الغزو الثقافي حقيقة لا تُنكر وهكذا يجب أن يكون النظر إليها والتعامل معها، وأي شيء غير ذلك معناه خدمة أهداف الغزو الثقافي من التغلغل أكثر في المجتمع الإسلامي والسيطرة عليه بالكامل وجعله مجتمعاً يدين للغزو الثقافي في كل شيء، مجتمع أعمى لا يرى إلا ما يراه الغزاة الأجانب ولا يسمع إلا ما يقولون، ولا مخرج من هذا إلا بالاعتراف بحقيقة وجود الغزو الثقافي والتعامل معه على هذا الأساس.

الانبهار والتبعية الثقافية:

ولأن الثقافة ليست علوماً ونظريات فحسب، بل مناهج خلق وسلوك تصطبغ حياة الأمة بصبغتها في شتى دروب الحياة، فإن الغزو الفكري استطاع من خلال هذا المجال أن ينشر

العديد من الأفكار الغربية بين أبناء المسلمين وفي مجتمعاتهم، بل إنه -للأسف- من خلال هذه المناهج الغربية وتلك الأفكار الدخيلة التي شوهت علوم المسلمين وثقافتهم وأخلاقهم، وأوهمت الناس بأن التطور والتمدن والتحضر لن تكون إلا برفض تلك الموروثات، واعتناق ما يمليه عليهم الغرب من مفاهيم، ورافق ذلك انبهار كثير من أبناء المسلمين بما عليه الغرب من تطور وتقدم وتكنولوجيا استطاعوا بذلك أن يغرسوا في نفوس كثير من أبناء المسلمين الشعور بالتبعية الثقافية، واحترام فكر الغرب وحضارة الغربيين وثقافتهم، والشعور بنقص الفكر الإسلامي واحتقار الحضارة والثقافة الإسلامية.[31]

الغزو الإعلامي:

سار الغزاة في غزوهم لأفكارنا ووفق مخطط مدروس نقحته مئات التجارب وجعلته أشبه بالحقائق العلمية المطَّردة، فأول معالم الطريق عند الغزاة محاولة الفهم العميق للإنسان المغزو، والتعرف على جوانب القوة والضعف في شخصه، وأي الطرق يكون أقرب إلى قلبه، وأيها يكون أكثر استحواذاً عليه، فاهتموا بالفرد في مختلف مراحل تطور حياته منذ أن هو طفل وشاب إلى نهاية عمره، يحاصرونه في كل مرحلة من كل اتجاه من المنزل إلى المدرسة إلى النادي الرياضي إلى ملتقيات الفكر والثقافة والفن، إلى ميادين التنافس في المباريات والرحلات ومعسكرات الكشف، إلى مكتبه الذي يعمل فيه وجامعته التي يدرس فيها.. وغير ذلك.[32]

فطِن أعداء الإسلام لخطورة الإعلام ولاحظوا انجذاب الجماهير إليه فكرسوا نشاطهم وبذلوا قصارى ما يستطيعون من جهد في استغلاله لبث ما يريدون من أفكار، علماً أن أغلب وسائل الإعلام العالمية -من وكالات الأنباء ومحطات وقنوات وإذاعات وصحف ودور للنشر والإعلان والطباعة- تخضع للسيطرة الغربية والصهيونية العالمية.[33] ومما نجح فيه خصوم الإسلام من الغزاة ولم يشعر المسلمون بخطره الحقيقي الترويج للروايات المصطنعة للنيل من الإسلام ورجاله[34]، ونسائه كذلك من الخلفاء والصحابة والقادة والأمراء بتشويه صورتهم الناصعة وإبدالها بأخرى مشوهة في أكبر عملية لعكس التاريخ وتحريفه وطمس حقائقه وتزييفها بما يحقق أغراضهم من تشكيك المسلمين في كل ما يعتزون به ويفتخرون.

في أعقاب ما يعرف بعصر النهضة الأوربية شاعت على مستوى السلوك الشخصي والحركة الاجتماعية في العالم الإسلامي عادات وتقاليد وممارسة لم تكن مشاعة من قبل في الحواضر الإسلامية تقلد ما كان مشاعاً في ديار الغرب مثل شرب الخمر وارتداء الرجال ثياباً غربية والدعوة لخروج المرأة بشكل سافر.. الخ.[35] ومما يؤسف له أنها لم تزل مستمرة وقد اتسعت دائرتها ولم يسلم مجتمع مسلم منها مع تفاوت في التأثير، وقد صارت من الأمور المعتادة في بعض المجتمعات وهي من مخلفات الاستعمار التي ما زالت تلقي بظلالها السيئة على الحياة الاجتماعية في المجتمعات المسلمة رغم أنها لم تتحول إلى ظاهرة يمكن تعميمها على جميع المجتمعات المسلمة التي لم يزل كثير منها لا يتقبلها ويعمل على مواجهتها بالتي هي أحسن بالوعظ والتوعية وتذكير المسلمين بأخطارها وآثارها على مستقبل الأمة الإسلامية التي ينبغي أن تعود إلى أصولها الإسلامية المستمدة من القرآن والسنة وسيرة السلف الصالح حتى تعود أمة مهابة كما كانت في السابق.

المناهج التعليمية:

المستعمرون إذا أرادوا وضع سياسة تعليمية لبلد يخضع لسلطان دولتهم المتسلطة المستعمر، فإنهم يجعلون من أول المواد التي يقررونها في هذه السياسة التعليمية، تربية جيل يدين لهم ولقومهم بالولاء والطاعة، وينسلخ عن ولائه لدينه أو لقومه، وينصهر بالتدريج في قومية ودين الشعب الغالب المستعمر، ويتقمص بالتدريج كل مفاهيم هذا الشعب المستعمر وأنواع سلوكه الفردي واجتماعه، حتى لا يجد في نفسه حرجاً من أن يكون مسخراً مستذلاً، منهوب الأرض والثروات والكرامة لهذا الشعب الغالب المستعمر، مهما طال زمن الاستعمار[36]، حيث أعدت المناهج التربوية لتغرس في نفوس أبناء المسلمين القيم التي تتفق ومصالح المستعمرين والغزاة.[37]

أما في جانب الثقافة واللغات فقد تم الإعلاء من شأن اللغات الأجنبية كالانجليزية والفرنسية وحُطَّ من شأن اللغة العربية والثقافة الإسلامية حتى لا تكادان تذكران من ضآلتهما.[38]

الغزو الفكري والفضائيات:

مع خيوط الفجر الأولى تبدأ جيوش من وسائل الإعلام نشاطها المحموم لتغزو العالم الإسلامي وتقتحم على المسلمين في الغرفات خلواتهم، مئات من الفضائيات تلعب دوراً خطيراً في قلب مفاهيم الشباب واهتماماتهم، تفتح أبوابها وأبواقها، وتسخر أدواتها وإمكاناتها للفكر الانحلالي الغربي، وتصرف همّ الشباب وتحول اهتماماتهم من الالتفاف حول العقيدة والانتصار لدين الله، والاندفاع نحو خدمة الأمة إلى الاهتمام بالمظاهر والانغماس في الشهوات والتعلق بالأضواء والسطحيات، حتى غدا الشباب وهو في زهرة عمره، يتطلع إلى البطولات وإبراز الذات، أو النجاح في التقاط علاقات محرمة، أملاها عليه فيلم سينمائي أو قصة مكتوبة أو برنامج مذاع أو دعايات مكثفة[39].

ولا يشك أحد في ما أحدثته الفضائيات من تأثير ثقافي كبير تجزر وتمتد في المجتمع الإسلامي برز بشكل خاص فئة الشباب المستهدفة بشكل مباشر من الغزو الأجنبي بجميع أشكاله، حيث أصابت الأمة في مقتل نتيجة لهذا الأمر الذي استدعى إنشاء فضائيات في البلاد الإسلامية لمواجهة ذلك الغزو، بعضها إسلامي وأكثرها خطره أشد من خطر الفضائيات الأجنبية على المجتمع، خاصة تلكم التي ركزت على برامج اللهو والطرب والتي زادت من توسيع الهوة بين المجتمع وبين التمسك بعاداته وتقاليده وقيمه ومثله وسلوكياته الإسلامية، وجعلته متنازعاً بين البقاء على القديم والنزوع نحو الجديد الذي صار ينهش كل يوم بمخالبه الثقافية القوية الحادة التي صنعت خصيصاً للنهش في جسد الأمة وتحويلها إلى أمة خائرة مستسلمة. وقد أثبتت الدراسات العلمية وجود علاقة طردية بين ما يشاهده الشباب وبين الانحراف، فقد أثبتت دراسة بحثية على شباب الأحداث أن 16.7% فقط يشاهدون في وسائل الإعلام برامج ترفيهية (دينية، ثقافية، علمية) في حين نسبة 51% يشاهدون البرامج الرياضية، بينما 64.2% يشاهدون برامج مثيرة كالأفلام والمسلسلات والمسرحيات[40]، إذا كان ذلك قبل سنوات فكيف الحال الآن، رغم وجود حالة وعي في أوساط الشباب لا يمكن تغافلها أو تجاوزها أو غض الطرف عنها، بما يخطط له أعداءهم.

فالغـزو القـادم إلينـا مـن الفضـاء يفعـل مـا لا تفعلـه الطائـرات ولا الدبابـات، ولا الجيـوش الجـرارة، إنـه يهـدم العقائـد الصحيحـة والأخـلاق الكريمـة والعـادات الحسـنة والشـمائل الطيبـة والشـيم الحميـدة والخصـال الجميلـة، ومتـى تخلـت الأمـة عـن عقيدتهـا وأخلاقهـا وقيمهـا سـقطت في بـؤر الضيـاع والانحـلال.[41]

في المقابـل نجـد دراسـات كثـيرة أولـت اهتمامـاً كبـيراً للغـزو الثقـافي عـبر الفضائيـات المتعـددة والمتنوعـة التـي تبـث برامجهـا بـلا انقطـاع ويبـث أكثرهـا سـمومه القاتلـة في جسـد الأمـة الإسـلامية الـذي أرهقتـه كـثرة جراحـات البرامـج الثقافيـة الأجنبيـة التـي أعـدت خصيصـاً للنيـل مـن عقيـدة الأمـة وتراثهـا وثقافتهـا، تشـاركها في ذلـك قنـوات تملكهـا دول إسـلامية لا تقـل خطـراً عـلى المجتمـع الإسـلامي مـن القنـوات الأجنبيـة، فصـار المجتمـع مواجهـاً مـن الداخـل والخـارج في آن واحـد عـلى حـد سـواء ، رغـم وجـود قنـوات إسـلامية تبـذل كل مـا اسـتطاعت مـن أجـل حمايـة المجتمـع وتحصينـه ضـد الهجمـة الإعلاميـة الشرسـة المبثوثـة عـبر الأجهـزة المرئيـة وإن قَـلَّ عـدد مشـاهديها ومتابعيهـا، إلا أن وجودهـا يدل عـلى وعـي المجتمـع المسـلم بخطـورة الغـزو الثقـافي الموجـه الوافـد مـن الخـارج ونظـيره المنبعـث مـن الداخـل، وحرصـه عـلى التعامـل معـه بمـا تقتضيـه مصلحـة المجتمـع في الاسـتفادة مـن تكنولوجيـا البـث الإعلامـي الحديثـة في درء آثـار الغـزو الثقـافي وتقليـل مخاطـره عـلى الفـرد والمجتمـع والأمـة.

أساليب ووسائل الإعداد والتهيئة:

أولاً: فهم الأساليب والأفكار المناوئة والمعادية للإسلام:

مَـدُّ المسـلم عامـة وطالـب العلـم بصفـة خاصـة كونـه المسـتهدف الرئيـس بالغـزو الثقـافي بمـا يعينـه مـن معلومـات موضوعيـة تفقهـه في فهـم الأسـاليب والأفـكار المناوئـة والمعاديـة للإسـلام، بحيـث يكـون قـادراً عـلى مواجهـة الأخطـار الناجمـة عنهـا ومعرفـة كنههـا والعمـل عـلى درء مـا ينجـم منهـا مـن آثـار تطـال كافـة جوانـب المجتمـع المسـلم بروبـة وعقلانيـة وتـؤدة وحكمـة، بعيـداً عـن التعصـب المفـضي إلى أسـلوب المواجهـة بالمثـل وهـو مـا يرجـوه الغـازي ويعمـل عـلى تحقيقـه مـن خـلال ردة فعـل المغـزو، ومـن ثـم إحـداث المزيـد مـن الثغـرات في جـدار المناعـة الإسـلامية الكامنـة في نفـس كل مسـلم والنفـاذ منهـا إلى تحقيـق أهدافـه مـن الغـزو.

ثانياً: التبصير بدسائس ومكائد ومؤامرات الغزاة:

وهـو لا يقـل أهميـة عـن الأول إن لم يفوقـه، كـون أن في فهمـه قطعـاً لطريـق الغـزاة في الوصـول إلى بغيتهـم وتحقيـق غرضهـم، مسـتغلين عـدم الوعـي بـأن أعـداء الإسـلام وإن اختلفـت جنسـياتهم وبلدانهـم فـإن موقفهـم مـن الإسـلام واحـد، وهـو مـا جعـل تبصـير الفـرد والمجتمـع المسـلم بمؤامـرات ودسـائس ومكائـد أعـداء الإسـلام واجبـاً عـلى كل مـن يسـتطيع القيـام بذلـك لا يتقاعـس عنـه أو يتكاسـل أو يتغافـل لأي سـبب كان، إذ المسـلمون في أي مـكان كانـوا جسـداً واحـداً تتأثـر أعضائـه بمـا يصيـب العضـو الواحـد منهـا، وذلـك مـن خـلال العمـل الجـاد في النطـاق الفـردي والمجتمعـي، وكذلـك عـلى مسـتوى الأمـة لمواجهـة آثـار مـا يقـوم بـه الغـزاة مـن تشـويه الأصـول بالتصـدي للقـرآن والسـنة والرسـول -صـلى اللـه عليـه وسـلم- والسـيرة النبويـة العطـرة، وشـن الحـرب الـضروس عـلى اللغـة العربيـة

كونها لغة القرآن، وإضعاف اللسان العربي، وإفساد أخلاق الأمة الإسلامية المستمدة من القرآن والسنة بالعمل على نشر السلوكيات السيئة في المجتمعات المسلمة وكذلك فصل المسلم عن ماضي الإسلام الزاهر الذي صنعه أسلافه بقوة إيمانهم وتمسكهم بدينهم.

ثالثاً: توحيد الجهود لمواجهة مخاطر الغزو:

لا يتأتَّى تحقيق هذا إلا بتكاتف جهود الأمة دعاة وعلماء والوعاظ وغيرهم وتوحدهم في جبهة واحدة، استشعاراً بعظم المسؤولية الملقاة على عاتقهم تجاه تحصين الأجيال الإسلامية الناشئة، وهم شباب الأمة ضد الخطر الثقافي الوافد بالمحصنات الدينية التي تجعلهم قادرين على مواجهة ما يصيبهم من أدواء وآفات اجتماعية جراء الهجمة الثقافية الممتدة بوسائلها وأدواتها المتعددة والمتنوعة والمتجددة بحسب طبيعة العصر والمتجذرة في أشكال متعددة، والتي تعمل جميعها في تناسق وتناغم كبيرين لإحداث أكبر قدر من التأثير السلبي على الشباب، وجعله ينصرف طوعاً عن أمور دينه والاهتمام بتوافه الأمور التي يصورها له الغزاة على أساس أنها أساس تطوره وتقدمه وتصوير قيمه ومثله وأخلاقه وعاداته وتقاليده الإسلامية على أساس أنها سبب تخلفه وتراجعه، وهو تحصين ينبغي أن يقوم على التربية الإسلامية القائمة على القرآن والسنة وسيرة السلف الصالح الصحيحة لأجيال الأمة، من الانخداع بالوجه المزيف للغزو الثقافي الوافد من وراء الحدود وعدم الانجرار وراء ما يدعيه الغزاة من حرص بالعمل على خير الأمة وسعادتها ورفاهيتها، كي لا يقعوا فريسة سهلة في أنياب الغزاة الحادة القادرة على تقطيع جسد الأمة الثقافي وتمزيقه إرباً وتذويبه في مغريات الثقافة الأجنبية وأخلاقياتها المزيفة وإن بدت أنها غير ذلك، وذلك بالبعد عن أسلوب الانبهار بتلك الثقافة والتعامل بواقعية معها بتقبل النافع منها وترك الضار.

رابعاً: معرفة الأفكار المنحرفة والهدامة والتمييز بين الحق والباطل:

إضافة إلى ما ذكرنا نشير إلى ضرورة بيان أن إتباع المذاهب والأفكار المعادية للإسلام يُعد سبباً رئيساً للخلاف والنزاع وإحداث الفرقة بين المسلمين، وكذلك العمل على محاربة الدعوات والأفكار المشبوهة وما تنطوي عليه من أخطار، وأيضاً العمل على معرفة الأفكار المنحرفة والهدامة التي تجعل المسلم قادراً على التمييز بين الحق الباطل[42]، فمما لا شك فيه أن معرفة الشيء أولى من تركه لما فيها من فائدة.

داء عضال فتاك:

لعل أصدق وصف للغزو الثقافي أنه داء عضال يفتك بالأمم ويذهب شخصيتها، ويزيل معاني الأصالة والقوة فيها، والأمة التي تبتلى به لا تحس بما أصابها ولا تدري عنه، ولذلك يصبح علاجها أمراً صعباً، وإفهامها سبيل الرشد شيئاً عسيراً.[43] وليس المراد من هذا من وجهة نظرنا دعوة الأمة للاستسلام وانتظار الموت الزؤام، وإنما استنهاضها وبث روح التصدي والمواجهة فيها، حتى تستشعر عظم الخطر المحدق بها فتقوى على الوقوف أمامه بما تملك من مقومات دينية وثقافية وفكرية وأخلاقية، تمثل أقوى سلاح يمكنها من حماية نفسها والتأثير في عدوها، من خلال درء الآثار الناجمة عن غزوها لها وجعله يستيقن أن الأمة الإسلامية وإن أصابتها الغفلة حيناً فهي

قادرة على العودة إلى حالة الوعي أقوى مما كانت عليه، ومن ثم يحسب الغزاة الحساب اللائق بها كأمة ذات حضارة عريقة تستمد أصولها وقوتها من الإسلام الذي يدعوها إلى التعامل مع الآخر تعاملاً حضارياً يحفظ له حقوقه التي كفلها الإسلام لغير المسلمين.

الممانعة وعدم الاستسلام:

يُخطئ أولئك الباحثون الذين يعتقدون أن المسلمين في مواجهة عمليات الغزو الشامل الذي تعرضوا له سواء منه ما كان فكرياً أو اجتماعياً قد استسلموا له خاضعين خاشعين، فالحقيقة غير ذلك تماماً.[44] ويكفي دليلًا قوياً على عدم الاستسلام وعي المسلمين عبر العصور بمخاطر هذا الغزو وكيفية التصدي لها ومواجهتها بالطرق والأساليب والوسائل المناسبة لدرئها، من خلال الأدوار الحضارية التي تقوم بها الثقافة الإسلامية المتمثلة في التوعية والتوجيه والإرشاد من قبل قطاعات المجتمع المدني والمؤسسات التعليمية والتربوية والفكرية والثقافية في الدول الإسلامية التي تقوم بأدوار مهمة لمواجهة مخاطر الغزو الثقافي ودرء آثارها كل في نطاق عمله وبوسائله المتوفرة له، وهي في الغالب جهود جادة لو قُدِّر لها أن تتحد بأي شكل وتحت أي مسمى وشعار لكانت رسالتها أبلغ ودورها أكبر في أداء مهمتها بما يحقق الأهداف المرجوة وبلوغ الغايات المنشودة.

الخاتمة:

نستطيع القول أنه ومنذ بروز ما عرف بالغزو الفكري والثقافي وتحوله إلى ظاهرة عمَّت جميع البلاد الإسلامية، وظهرت مخاطرها بوضوح على المجتمعات الإسلامية، وتركت آثاراً سلبية بعيدة المدى على تلك المجتمعات خاصة في المجالات التي تم اختيارها وانتقائها بعناية لتكون حقولاً لنشاط الغزاة والغزو الثقافي الأجنبي، كالشباب والمرأة والتربية والتعليم وغيرها، وتم استهدافها عبر وسائل سريعة التأثير فائقة القدرة على التغيير كالإعلام المقروء والمرئي والمسموع، نستطيع القول أن المجتمع الإسلامي رغم وقوعه فريسة سهلة للممارسات الغزاة في بداية الغزو إلا أنه أيقظ الشعور بالمسؤولية في نفوس الفئات الاجتماعية المناط بها الدفاع عن الدين المجتمع والفكر والثقافة، فانبرت كل في مجالها وبأدواتها وأساليبها الموضوعية والمناسبة للتصدي للغزاة وهجمتهم الشرسة على المجتمع المسلم، مبصرة بمخاطر الغزو منوهة بآثاره، داعية إلى الانتباه لما يبثه من شعارات براقة في مظهرها، مظلمة في جوهرها هدفها إفساد المجتمع دينياً وأخلاقياً مثل التحضر والتحرر واصمة المجتمع المسلم بالتخلف والرجعية، فنجحت تلك الفئات في تجنيب المجتمع مخاطر الانزلاق الكلي في مهاوي الضار من الحضارة والثقافة الأجنبية الوافدة تأكيداً على أن المسلمين لم يستسلموا للغزاة فكرياً كما لم يستسلموا لهم عسكرياً، وأن الغزاة الذين فشلوا في تحقيق النصر العسكري على المسلمين في الميدان الحربي لم يستطيعوا هزيمة المسلمين في الميدان الثقافي والفكري، رغم كل ما بذلوه من جهد علمي وفكري وثقافي وما أنفقوه من أموال وما أرسلوه من مبشرين ومستشرقين إلى العالم الإسلامي.

النتائج:

أظهر الغزو الفكري أن الغرب المسيحي الأوربي ورغم فشله في تحقيق نصر عسكري حاسم على الشرق الإسلامي المسلم لا تزال علاقته مع الشرق تقوم على أساس الهيمنة والسيطرة.

بذل الغزاة الغربيون جهودا ثقافية وفكرية كبيرة ومضنية من اجل إتمام السيطرة الفكرية والثقافية على المسلمين الا أنهم فشلوا في ذلك.

على غير ما توقعه الغزاة من استسلام الشرق ثقافيا وفكريا للغرب أيقظ الغرب الشعور الديني والعلمي والثقافي والفكري لدى الأمة الإسلامية ونبهها الى مخاطره والتصدي لها ودرء آثارها.

اتبعت الثقافة الإسلامية الأساليب والوسائل الحضارية السلمية في مواجهة الغزو الفكري المبنية على التهيئة والاعداد بالاعتماد على الدعوة في تحصين مناعة الأمة الدينية العلمية والفكرية والثقافية عبر التوجيه والإرشاد والتبصير والتنوير بأهداف الغزو ومخاطره ومواجهة آثاره والتصدي لها .

الهوامش:

(1) الفراهيدي: أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم البصري (ت071هـ): العين، تحقيق: مهدي المخزومي، وإبراهيم السامرائي، دار الهلال، مصر، 256/5.

(2) ابن منظور: أبو الفضل محمد بن مكرم بن على الإفريقى (ت 117هـ): لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط3، 4141هـ 91/9.

(3) رينهارت بيتر آن دُوزِي: تكملة المعاجم العربية، ترجمة: محمد النعيمي، وجمال الخياط، وزارة الثقافة والإعلام، العراق، ط1، 9791-0002م، 201/2.

(4) ابن منظور: لسان العرب، 095/5 ؛ الزبيدي: محمد بن مرتضى الحسيني: تاج العروس، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية، (د.ت)، 51/ 462.

(5) الفيروزآبادي: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب (ت 718هـ): القاموس المحيط، تحقيق: مكتب تحقيق التراث، مؤسسة الرسالة، بيروت – لبنان، ط8، 6241هـ/5002م، 7131/1.

(6) أحمد مختار عبد الحميد عمر: معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب، ط1، 9241هـ/8002م، 6161/2.

(7) علي محمود: الغزو الفكري والتيارات المعادية للإسلام، جامعة الإمام محمد بن سعود: إدارة الثقافة والنشر، 1041هـ1891، ص 98.

(8) نفسه، ص 9.

(9) محمد قطب: واقعنا المعاصر، دار الشروق، القاهرة، ط1، 8141هـ/7991م، ص 281.

(10) علي شكر داود ويحيى فاضل: الغزو الثقافي وأثره على الأمة ونتائجه، مجلة الكلية الإسلامية الجامعة، الجامعة الإسلامية، مج9، ع82، العراق، ذو الحجة، 5341هـ/4102م، ص083.

(11) ابن منظور: لسان العرب، 56/5.

(12) عبد الله عواض راشد العجمي: الغزو الثقافي عبر وسائل الإعلام المرئي وخطره على المجتمع، إدارة الأبحاث، جامعة الكويت، (ZH04/07)، ص 183.

(13) الشيخ أحمد بشير: الغزو الفكري والتيارات المعادية للإسلام، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المجلس العلمي81، 1041هـ1891م، ص 164.

(14) محمد قطب: واقعنا المعاصر، ص 381.

(15) انظر: محمد الغزالي: معركة المصحف، دار نهضة مصر، 6991م، ص 451 ؛ سعد الدين السيد صالح: احذروا الأساليب الحديثة في مواجهة الإسلام، مكتبة الصحابة، الإمارات، مكتبة التابعين، مصر، ط1، 9141هـ/8991م، ص 63 ؛ علي جريشة ومحمد الزنبق: أساليب الغزو الفكري الحديث، دار الاعتصام، ط1، 7991هـ/7791م، ص81 ؛ الشيخ عبد الله جربوع: أثر الإيمان في تحصين الأمة ضد الأفكار الهدامة، الكتاب: أثر الإيمان في تحصين الأمة الإسلامية ضد الأفكار الهدامة، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، السعودية، ط1، 3241هـ/3002م، 441-341/1.

(16) مصطفى خالدي وعمر فروخ: التبشير والاستعمار في البلاد العربية، ط5، 3791م، ص 5.

(17) علي جريشة ومحمد الزيبن: أساليب الغزو الفكري، ص 91؛ سعد الدين السيد: احذروا الأساليب الحديثة في مواجهة الإسلام، ص 73-83.

(18) إحسان محمد الحسن: تأثير الغزو الثقافي على سلوك الشباب العربي، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، الرياض، ص 7.
(19) علي عبد الحليم: الغزو الفكري والتيارات المعادية للإسلام، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، 1041هـ/1891م، ص 32 ،بتصرف.
(20) جميل المصري: حاضر العالم الإسلامي وقضاياه المعاصرة، كلية الدعوة وأصول الدين، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، ص 561.
(21) علي عبد الحليم: الغزو الفكري، ص 701.
(22) المرجع نفسه، ص 511.
(23) إحسان محمد الحسن: تأثير الغزو الثقافي، ص 7.
(24) نفسه، ص 7
(25) نفس المرجع والصفحة.
(26) احسان محمد الحسن: المرجع السابق، 97.
(27) المرجع نفس، ص 9.
(28) محمد الغزالي: الغزو الثقافي يمتد في فراغنا، دار الشروق، (د.ت)، ص 52.
(29) المرجع نفسه، 23.
(30) نفسه، 65.
(31) عبد الله العجمي: الغزو الفكري.
(32) عبد الصبور مرزوق: الغزو الفكري أهدافه ووسائله، مؤسسة مكة للطباعة والإعلام، ص29.
(33) زياد أبو غنيمة: السيطرة الصهيونية على وسائل الإعلام العالمية، عالم الكتب، دار ثقيف للنشر والتأليف، مج9، ع3، محرم، 9041هـ/8891م.
(34) سالم علي البهنساوي: الغزو الفكري للتاريخ والسيرة بين اليمين واليسار، الكويت: دار القلم للنشر والتوزيع، ط 1، 6041هـ/5891م، ص 62.
(35) صابر طعمية: أخطار الغزو الفكري على العالم الإسلامي بحوث حول العقائد الوافدة، بيروت: عالم الكتب، ط1، 4041هـ/4891م، ص 44.
(36) عبد الرحمن حبنكة الميداني: غزو في الصميم دراسة واعية للغزو الفكري والنفسي والخلقي والسلوكي، بيروت: دار القلم، ط1، 2041ه/2891م، ص 41.
(37) عبد الصبور مرزوق: الغزو الفكري، ص 211-311.
(38) المرجع نفسه، ص 311.
(39) محمود عبد الرازق: الغزو الفكري والفضائيات، كلية الشريعة وأصول الدين جامعة الملك خالد السعودية، ص4.
(40) عبد الله بن ناصر السدحان: قضاء وقت الفراغ وعلاقته بانحراف الأحداث، الرياض: المركز العربي للدراسات الأمنية والتدريب،5141ه، ص 961.
(41) محمود عبد الرازق: الغزو الفكري، ص 4.
(42) علي شكر ويحيى فاضل: الغزو الثقافي، ص 283.
(43) الغزو الفكري. الرياض: دار القاسم، ص 2.
(44) صابر طعيمة: أخطار الغزو الفكري، ص 56.

المصادر والمراجع:

المصادر:

(1) الزبيدي محمد بن مرتضى الحسيني: تاج العروس، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية، د.ت.

(2) الفراهيدي: أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم البصري (ت071هـ) : العين، تحقيق: مهدي المخزومي، وإبراهيم السامرائي، دار الهلال، مصر.

(3) الفيروزآبادي، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب (ت 718هـ): القاموس المحيط، تحقيق: مكتب تحقيق التراث، مؤسسة الرسالة، بيروت – لبنان، ط8، 6241هـ/5002م.

(4) ابن منظور، أبو الفضل محمد بن مكرم بن على الإفريقي (ت 117هـ): لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط3، 4141هـ.

المراجع:

(1) إحسان محمد الحسن: تأثير الغزو الثقافي على سلوك الشباب العربي، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، الرياض.

(2) أحمد مختار عبد الحميد عمر: معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب، ط1، 1429هـ/2008م.

(3) جميل المصري: حاضر العالم الإسلامي وقضاياه المعاصرة، كلية الدعوة وأصول الدين، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة.

(4) حمود عبد الرازق: الغزو الفكري والفضائيات، كلية الشريعة وأصول الدين جامعة الملك خالد السعودية.

(5) رينهارت بيتر آن دُوزِي: تكملة المعاجم العربية، ترجمة: محمد النعيمي، وجمال الخياط، وزارة الثقافة والإعلام، العراق، ط1، 1979-2000م.

(6) زياد أبو غنيمة: السيطرة الصهيونية على وسائل الإعلام العالمية، عالم الكتب، دار ثقيف للنشر والتأليف، مج9، ع3، محرم، 1409هـ/1988م.

(7) سالم علي البهنساوي: الغزو الفكري للتاريخ والسيرة بين اليمين واليسار، الكويت: دار القلم للنشر والتوزيع، ط1، 1406هـ/1985م.

(8) سعد الدين السيد صالح: احذروا الأساليب الحديثة في مواجهة الإسلام، مكتبة الصحابة، الإمارات، مكتبة التابعين، مصر، ط1، 1419هـ/1998م.

(9) الشيخ أحمد بشير: الغزو الفكري والتيارات المعادية للإسلام، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المجلس العلمي18، 1401ه1981م.

(10) الشيخ عبد الله جربوع: أثر الإيمان في تحصين الأمة ضد الأفكار الهدامة، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، السعودية، ط1، 1423هـ/2003م.

(11) صابر طعيمة: أخطار الغزو الفكري على العالم الإسلامي بحوث حول العقائد الوافدة، بيروت: عالم الكتب، ط1، 1404هـ/1984م.

(12) عبد الرحمن حبنكة الميداني: غزو في الصميم دراسة واعية للغزو الفكري والنفسي والخلقي والسلوكي، بيروت: دار القلم، ط1، 1402ه/1982م.
(13) عبد الصبور مرزوق: الغزو الفكري أهدافه ووسائله، مؤسسة مكة للطباعة والإعلام.
(14) عبد الله بن ناصر السدحان: قضاء وقت الفراغ وعلاقته بانحراف الأحداث، الرياض: المركز العربي للدراسات الأمنية والتدريب،1415ه.
(15) عبد الله عواض راشد العجمي: الغزو الثقافي عبر وسائل الإعلام المرئي وخطره على المجتمع، إدارة الأبحاث، جامعة الكويت، (07/ZH04).
(16) علي جريشة ومحمد الزنبق: أساليب الغزو الفكري الحديث، دار الاعتصام، ط1، 1997هـ/1977م.
(17) علي شكر داود ويحيى فاضل: الغزو الثقافي وأثره على الأمة ونتائجه، مجلة الكلية الإسلامية الجامعة، الجامعة الإسلامية، مج9، ع28، العراق، ذو الحجة، 1435هـ/2014م.
(18) علي عبد الحليم: الغزو الفكري والتيارات المعادية للإسلام، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، 1401هـ/1981م.
(19) الغزو الفكري. الرياض: دار القاسم.
(20) محمد الغزالي: الغزو الثقافي يمتد في فراغنا، دار الشروق، د.ت.
(21) محمد الغزالي: معركة المصحف، دار نهضة مصر، 1996م.
(22) محمد قطب: واقعنا المعاصر، دار الشروق، القاهرة، ط1، 1418هـ/1997م.
(23) مصطفى خالدي وعمر فروخ: التبشير والاستعمار في البلاد العربية، ط5، 1973م.

حادثة سرقة الشمامة من المسجد النبوي (1118 - 1121هـ/1706 - 1709م) (دراسة تاريخية تحليلية)

د. نويـــر بنـــت مبـــارك العمـــيري

دكتوراه في التاريخ الحديث
المملكة العربية السعودية

المستخلص:

تعالـج هـذه الدراسـة قضيـة مهمـة مـن القضايـا التـي حدثـت في المدينـة المنـورة خـلال القـرن الثـاني عـشر الهجـري/ الثامـن عـشر الميـلادي وهـي حادثةسرقـة الشـمامة مـن المسـجد النبـوي الشريـف ، إذ تتناولالدراسـة هـذه الحادثـة، وتعمـل هـذه الدراسـة عـلى التعريـف بالشـمامةالتي أهديـت مـن حاكـم الفـرس الشـاه حسـين الأول لوضعهـا في الحجـرة النبويـة، ولكنهـا سرقـت عـلى يـد مجموعـة مـن أهـالي المدينـة المنـورة الذيـن اسـتغلوا مناصبهـم في ارتـكاب بعـض المخالفـات مـن خـلال الوثائـق العثمانيـة التـي تناولـت الحادثـة خـلال الفـترة (1118هـ1121-هـ/ 1706هـ- 1709م)، الدراسـة اهتمـت بالوثائـق التـي تناولـت تلـك الحادثـة، وإلى جانـب الوثائـق العثمانيـة فقـد اعتمـدت الدراسـة عـلى المصـادر المعـاصرة للحادثـة لسـد الثغـرات التـي لا تتوافـر حولهـا معلومـات كافيـة حـول موضـوع الدراسـة باعتبارهـا مصـدراً هامـاً لتاريـخ المدينـة المنـورة في العـصر العثـماني. وتوصلـت الدراسـة للعـدد مـن النتائـج والتـي مـن أهمهـا: لقـد حاولـت هـذه الدراسـة تقديـم مقاربـة تاريخيـة لموضـوع لم يسـلط عليـه الضـوء مـن قبـل إذ أوضحـت ملابسـات حادثـة سرقـة الشـمامة بالدراسـة والتحليـل، واهتمـت الدراسـة بتوضيـح موقـف السـلطة العثمانيـة مـن الحادثـة، ومـا جـرى خلالهـا مـن تحقيقـات واسـعة في المدينـة المنـورة وإرسـال لجنـة للوقـوف عـلى الحادثـة، كـما بينـت الدراسـة تأثـير هـذه الحادثـة عـلى أهـالي المدينـة المنـورة مـن جميـع النواحـي.

كلمات مفتاحية: الشمامة، المدينة المنورة، المسجد النبوي، العصر العثماني.

The Stealing The "Shamamah" from the Prophet's Mosque Incident (1118- 1121 AH / 1706 - 1709 AD) (Analytical Historical Study)

Dr.Nweyerbint Mubarak AlOmairi

Abstract:

This study deals with a significant incident in Medina during the twelfth century AH / eighteenth century AD: The incident of stealing the "shamamah" from the Prophet's Mosque. It deals with the incident and works on defining the "shamamah". It studies and analyzes how a group of the people of Medina took advantage of their positions to commit some violations and steal the "shamamah", gifted by Persia's ruler, Shah Hussein I, to be placed in the Prophet's room by during the period (1118 AH-1121 AH / 1706 AD-1709 AD). The study focused on the documents that dealt with that incident. In addition to the Ottoman documents that dealt with the incident, it relied on contemporary sources to bolster insufficient information about the incident. Thus, the study covers a significant event in Medina in the Ottoman era. The study consists of several axes: an introduction dealing with the importance of the topic and the reasons for choosing it, a preface that deals with samples of gifts sent to the Prophet's Mosque, then touches on the "shamamah" issue: its description, correspondence regarding its arrival in Medina, the discovery of its theft, and then the measures taken by the Ottoman Empire regarding its theft; sending a committee to investigate the case, the results of the investigations, the collection of the "shamamah" parts, and finally the effects of the theft on the people of Medina. The study concluded with a summary presenting the most important results of the research.

Keywords: shamamah, Medina, the Prophet's Mosque, the Ottoman era.

مقدمة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد.

تتضمن هذه الدراسة معالجة قضية مهمة وقعت في المسجد النبوي الشريف والتي تمثلت في سرقة الشمامة من الحجرة النبوية التي أهديت من أحد حكام الدول الإسلامية، ورغم أهمية هذه الحادثة، ألا أن المصادر المعاصرة لا تورد معلومات كافية حول هذه القضية وما

جرى خلالها من أحداث، غير ما سجله بعض المؤرخين في كتابتهم من إشارات بسيطة حولها،إلى جانب ما تناولته الوثائق العثمانية من تفاصيل حول الحادثة التي من خلالها أمكن التعرف على التحقيقات الواسعة التي أجريت في المدينة المنورة. وترجع أهمية هذه الدراسة في كونها دراسة جديدة لم يسبق التطرق إليها في أي دراسة مستقلة إلى جانب اعتمادها على مجموعة من الوثائق العثمانية التي تمت ترجمتها من لغتها الاصلية إلى اللغة العربية،والبحث الذي بين أيدينا يَعرض بالتفصيل قضية سرقة الشمامة من المسجد النبوي، وما قامت به السلطات العثمانية حيال تلك القضية من إجراءات، إذ أبدت اهتماماً شديداً من خلال إصدار الأوامر السلطانية إلى المسؤولين في المدينة المنورة، وإلى والي مصر لمتابعة القضية، وما تبع ذلك من إرسال المحاضر والخطابات من مفتي المدينة المنورة وأمير مكة المكرمة بأخبار الحادثة، وإصدار الأحكام بالمتسببين في حادثة السرقة، وإرسال الدولة العثمانية أحد مسؤوليها للتحقيق في القضية، والقبض على المتهمين وفرض الحراسة في المدينة، وإقرار المتهمين بالجريمة، وتأثير هذه القضية على أهالي المدينة المنورة.

تعدَّدت الأسبابُ التي دفعتني إلى اختيار الموضوع؛ منها:

- الأهمية التاريخية للمسجد النبوي إذشَهِد خلال فترة العصر العثماني أحداثًا كثيرة على جانبٍ كبيرٍ مِن الأهمية؛ من بينها قضية سرقة الشمامة التي حدثت في القرن الثاني عشر الهجري/ الثامن عشر الميلادي.
- المعلومات التاريخيَّة المهمة التي تتضمَّنها الوثائق العثمانية بخصوص قضية سرقة الشمامة، خاصة أن موضوع الدراسة لم يحظَ بعناية الباحثين لمحاولة رصده وتتبعه.
- التعرُّف على موقف الدولة العثمانية من القضية وما تبع ذلك من إجراءات، إضافة إلى الرغبة في إبراز جانب مهم من تاريخ المدينة الذي ما زال في حاجة إلى بحث وتقصي ولعل هذه الدراسة تكون مفتاحًا لدراسات أخرى مِن زوايا مختلفة.

وتهدف الدراسة إلى معالجة الإشكالية الرئيسية التالية: ما قضية الشمامة المرسلة إلى المسجد النبوي؟ ومتى كان تاريخ وصولها إلى المدينة المنورة؟ ومتى تم اكتشاف عملية السرقة؟ وكيف تعاملت الدولة العثمانية مع قضية السرقة؟ وما الإجراءات التي تمت للقبض على المتهمين؟ وما تأثير هذه القضية على أهالي المدينة المنورة؟! وقد اعتمدت الدراسة اعتماداً رئيسياً على مجموعة من الوثائق العثمانيةلمعالجة الموضوع التي أمكن الحصول عليها من الأرشيف العثماني، إضافة إلى المصادر المعاصرة للحادثة، والتي تمثلت بشكل أساسي في مؤرخ المدينة المنورة عمر السمهودي الذي كان شاهد عيان للحادثة وسجل من خلالها مشاهداته والتحقيقات التي أجريت في المدينة المنورة لتعقب المتهمين بالقضية في كتابه المسمى « كسر الشمامة». وقد عرضت هذه الدراسة في عدة محاور كالآتي: من مقدمة تضمنت أهمية الموضوع وأسباب اختيار ومدخل تناولت فيه نماذج من الهدايا المرسلة إلى المسجد النبوي، ثم تطرقت إلى قضية الشمامة مِن خلال وصفها والمراسلات في شأن وصولها إلى المدينة المنورة واكتشاف سرقتها، ثم الإجراءات التي اتخذتها الدولة العثمانية في مسألة قضية سرقة الشمامة من وصول لجنة للتحقيق في القضية، ونتائج التحقيقات،

وجمع أجزاء الشمامة، وأخيراً آثار قضية سرقة الشمامة على أهالي المدينة المنورة، وقد ختمت الدراسة بخلاصة عرضت فيها أهم نتائج البحث.

مدخل:

تمتع المسجد النبوي الشريف بقدسية كبيرة لدى المسلمين، ونظراً لهذه القداسة الإسلامية فقد حَظِيَ بكثيرٍ مِن الإهداءات خلال العصور المختلفة، إذ دأب سلاطين الدولة العثمانية وغيرهم مِن ولاة الدول الإسلامية على إرسال بعض الهدايا، التي تعددتْ أنواعها وأوصافها، مِن قناديلَ[1] ومعاليقَ وغيرها من الهدايا التي يُقدِّمونها إلى الحجرة النبوية الشريفة[2] أو الروضة الشريفة[3]، خاصة أن أمراء الحرمين كانوا يستقبلون في كل سنة في موسم الحج وفوداً من مختلف الدول الإسلامية، وكان بعضهم يخص المسجد النبوي بنصيب من الهدايا التي تعكس اهتمامهم بالأماكن المقدسة.

إذ حرَص سلاطين الدولة العثمانية على إرسال الهدايا والهبات إلى المسجد النبوي، فتنوعتْ هذه الهدايا مِن قناديل وشمعدانات؛ ففي سنة 971هـ/1563م أرسل السلطانُ سليمان القانوني[4] (926هـ/1520م-974هـ/1566م) ثلاثة قناديل من الذهب مُرَصَّعة بالجواهر؛ ليُعَلَّق اثنان منها في سقف الكعبة، والثالث في الحجرة النبوية[5]، وفي سنة 985هـ/1577م أرسل السلطان مراد الثالث[6]، (982هـ/1574م1003-هـ/1595م) (982هـ/1574م1003-هـ/1595م) قنديلاً من الذهب المرصع بالجواهر[7].

غير أن ذلك لم يَمنعْ مِن وقوع بعض التجاوُزات على هذه الهدايا؛ إمَّا بسرقتها أو التصرُّف فيها، فقد تحدثت المصادر المعاصرة عن بعض الحالات التي تُثبت تجاوز بعض المسؤولين في المسجد النبوي على تلك الإهداءات خاصة القناديل، الأمر الذي جعل مسألة حفظِها في المسجد النبوي في بداية العصر العثماني تسبَّبَتْ في مشكلة كبيرة خوفًا مِن سرقتها، خاصة أنها كانتْ تُحفَظ في صَحْن الحَرَم الشريف؛ مما جعل أغوات الحَرَم النبوي[8] يُشددون في منع المصلين مِن الاقتراب منها أو الاعتكاف بالجوار منها، الأمر الذي دفَع شيخ الحَرَم[9] إلى صهر الأواني الذهبية، وصرف ما تحصَّل منها في تجديدات المسجد؛ مما تسبب في توقفالإهداءات إلى المسجد النبوي فترة مِن الزمن فقد تخوف بعض المسؤولين مِن تعرُّض هداياهم إلى الضَّهْر[10]،لكن سرعان ما نشطتْ عملية الإهداء مرة أخرى؛فعندما تولى السلطان أحمد الأول (1012هـ1027-هـ/-1603 1618م)[11] أهدى المسجد النبوي ثلاثة قناديل مصنوعة من الذهب ومرصعة بالجواهر[12].

لم يقتصر إرسال الهدايا على سلاطين الدولة العثمانية فقد شارك حكام الدول الإسلامية في تخصيص بعض الهدايا للمسجد النبوي ففي سنة 1042هـ/1632هـ أهدى سلطان المغرب الوليد بن زيدان بن أحمد المنصور الحسيني مجموعة من الشمعدانات لإضاءة المسجد النبوي منهما اثنان من الذهب المرصع بالياقوت والزبرجد، واثنان من الفضة المرصعة بالجواهر[13].

من جانب آخر، حَظِيَت الحجرة النبَويَّة الشريفة والروضة الشريفة بالمسجد النبوي باهتمامٍ بالغٍ؛ فخُصِّصَ لها أفضل أنواع الهدايا، لا سيما القناديلوالشمعدانات المُرَصَّعة بأفخر أنواع الجواهر، التي كانتْ توضع في الممر الضيق المحيط بالحجرة النبَويَّة[14]،وكانت تلك الهدايا المُرْسَلة إلى الروضة الشريفةعُرْضَة للسرقات؛ فنجد مثلًا في سنة 976هـ/1568م طالبت الدولة العثمانية

بالتحقيق في حادثةٍ تخُص أحد الإهداءات للروضة النبوية، عندما قام شيخ الحَرَم النبوي برفع الشمعدان الذهبي الذي أهداه السلطان سليمان القانوني إلى الروضة النبوية الشريفة، ووضع بدلًا منه سراجًا أَهْدَتْهُ شاه خاتون[15] إلى الحَرَم النبوي، ولعل السراج الذي أَهْدَتْهُ شاه خاتون كان أكبر مِن سابقه؛ مما دفع شيخ الحَرَم لاستبداله، فطلب الديوان الهمايوني[16] التحقيق في هذه الحادثة، ومعرفة مُلابَساتها[17]، كانتْ تلك الإهداءات باهظةَ الثمن؛ مما أغرى بعض ضِعاف النفوس للسطو عليها من ذلكما قام به أمير أمراء مصر أحمد باشا[18]عندما استولى على مبلغ قدره سبعة آلاف قطعة ذهبية كانت مخصصة للروضة المطهرة في المسجد النبوي تبرع بها بعض المحسنين، وهي تعتبر أول حادثة تشير إليها الوثائق العثمانية فيما يتعلق بمسؤول عثماني يقول بالاستيلاء على أموال تبرع بها المحسنين للمدينة المنورة[19]. ومن ذلك ما أشارت إليه إحدى الوثائق العثمانية - غير مُؤَرَّخَة - أن سليم أغاتُّهم بسرقة هدايا الحَرَم النبوي، وتبديد بعض الأشياء الخاصة بالروضة المُطَهَّرة وبيعها، حتى ساد في المدينة المنورة حالةٌ مِن التذمُّر والاستياء؛ نظرًا لما أُشيع من اختلاس خزانة الحَرَم النبوي، مما حدا بالسلطة العثمانية أن ترسلَ مَن يُحَقِّق معه في الحادثة، وانتهتْ هذه الحادثة بسجنه ونفيه إلى إستانبول وتسليم الهدايا المسروقة إلى أصحابها[20].ولم تَسْلَم مقتنيات الحجرة النبَويَّة الشريفة مِن العبث بها، بسبب صراعات بعض الأشراف، حيث لجأ بعضهم للخروج من بعض الأزمات للسطو عليها، وهذا ما قام به أمير المدينة محمد بن جامع الحسيني[21] (933هـ/1527م)، عندما أعلن العصيان والتمرد في سنة 933هـ/1527م، فاستولى على محتويات خزانة المسجد النبوي، واستولى على كثيرٍ مِن المال والتُّحَف وخرج مع أعوانه من المدينة[22]، ومثل ذلكما وقع من أمير مكة الشريف أحمد بن غالب[23](1099هـ/1688م1101-هـ/1690م)، في سنة 1099هـ/1688م الذي نهبَ جميع ما فيه الخزانة النبَويَّة من أشياء غاليةونفسية[24].

لذلك فقد حرَصت السلطة العثمانيَّة على حفظ مقتنيات الحرَمين،فمِن ضمن الإجراءات التي اتُّخِذَتْ لحماية الهدايا والنذور المُرسَلة إلى بلاد الحرَمينِ فرضُ الحراسة عليها، خاصة بعد أن تعرضت الإهداءات والصدقات المُرسَلة إلى المدينة المنورة للسرقات خلال القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي؛ مما جعل السلطة العثمانيَّة تُصدر قرارًا مِن أجل حفظهافي مكان آمن، ففي سنة 973هـ/ 1566م أرسلت قرارًا إلى أمير أمراء مصر بإنشاء برج في إحدى زوايا المسجد النبوي لحفظها، وإرسال خمسين فردًا من جنود مصر وبرفقتهم آغاإلى المدينة لحراسة البرج[25]. ولما كان بعض الموظفين العثمانيين يتواطؤون مع الأشرافوذلك بمنحهم أو إقراضهم مقادير من أموال ومتعلقات الحجرة النبوية المطهرة؛مما دعا السلطان محمد الرابع (1058-1099هـ/ 1648-1687م) [26]، والسلطان سليمان الثاني (1099-1102هـ/ 1687-1691م) [27] إلى إصدار أمرينإلى قاضي المدينة المنورة وشيخ الحرمفي حِفْظ وصيانةالأمانات التي توضع في الحجرة النبوية المطهرة بالمدينة المنورة، وألا يُعطى أحد من الأشراف أو غيرهم منها على سبيل الاقتراض[28].

قضية سرقة الشمامة:

قبل الشروع في تناول قضية سرقة الشمامة لابد من عرض بدايات وصول هدية الشمامة إلى المدينة المنورة والمراسلات التي تمت بشأن الموافقة لوضعها في الحجرة النبوية، والاحتفال

الرسمي الذي أقيم في المدينة لوضعها في مكانها المحدد، ثم اكتشاف السرقة، وما جرى بعد ذلك من إجراءات.

وصف الشمامةوالمراسلات العثمانية بشأنها:

وصلتْ إلى المدينة المنورة هديةٌ مِن حاكم الفرس الشاه حسين الأول[29]، (1105هـ/ 1694م1135-هـ/1722م)، وكان قد نذر أن يصنعَ ويُرسل شمامة فاخرة لقبر النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة المنورة؛وكانت الشمامة من جملة التعاليق في الحجرة الشريفة، كروية الشكل من الذهب مرصعة بالجواهر محشوة بالعنبر، وقد بالغ بصنعها لتوضع في الحجرة النبوية [30].

أما تفاصيل تلك الشمامةفقد وصفت الوثائق العثمانية بناء على الأخبار الواردة منقاضي المدينة المنورة وشيخ الحَرَم النبوي محمد آغا [31] بأنها مصنوعة من الذهب محشوة بالعنبر، وظاهرها الكبير والوسط والصغير،وأنها مرصعة في جوانبهابمئات مِن الفصوص والأحجار الكريمة، يوجد بها 267 قطعة زمرد و 50 قطعة من الألماس الصغير والأوسط و 290 قطعة من الياقوت الأحمر و 5 قطع من الياقوت الأصفر، ومرصعة بـ16 قطعة من اللؤلؤ[32].

لكن السؤال الذي يفرض نفسه في هذا المقام:

متى وصلت هدية الشمامة إلى المدينة المنورة؟ وفي عصر من السلاطين؟! الواقع أن الإجابة على ذلك السؤال يبدو أنه أمر شائكفمن واقع المصادر لا يوجد إلى ما يشير إلى تحديدتاريخاً لوصولها، فمُؤرِّخ المدينة عمر السَّمْهُودِي (ت1158هـ/1746م)[33] يؤرخ وصولها في زمن السلطان العثماني مصطفى خان الذي حكم خلال الفترة (1106هـ/ 1695م1115-هـ/1703م)[34]إذ يشير أنه جرت مراسلات بخصوص الشمامة، وأن السلطان العثماني المذكور سمح للشاه بوضعها في الحجرة النبوية[35]، ويبدو أن صنع هذه الشمامة التي تكلف بها حاكم الفرس قد استغرق سنوات عدة، فلما انتهى مِن صُنعها أرسل بها إلى المدينة المنورة بناء على الموافقة السلطانية السابقة، فلما وصلتْ هذه الهدية منع شيخ الحَرَم النبوي محمد آغامِن وضعِها في الحجرة النبَويَّة، ورَفَع بأمرها إلى السلطان العثماني آنذاك أحمد الثالث[36](1115هـ/1703م1143-هـ/1730م)، ووضعوها في دار العشرة[37]، ثم نُقِلَتْ إلى القبة الأولى حتى يأتي الأمر السُّلْطاني بشأنها؛فصدَر الأمر السُّلْطاني بمنع وضعها في الحجرة وبردها على الشاه، [38]، فلما بلغ حاكم الفرس امتناع شيخ الحَرَم مِن وَضْع الهدية في الحجرة النبوية أرسل إلى السلطة العثمانية، وأوضح له موافقة السلطان السابق على ذلك، وجعل الشمامة هديةً منه إلى السلطان العثماني أحمد الثالث، والتمس منهم أن يضعوا الشمامة في الحجرة النبَويَّة باسم السلطان أحمد الثالث، فأرسل السلطان فرمانًا بالإذن بوضعها في الحجرة النبَويَّة[39]. والحقيقة أن هناك وثيقة عثمانية وردت إلى قاضي المدينة المنورة وشيخ الحرم محمد أغا في تاريخ (أوائل رجب من عام 1118هـ الموافق أكتوبر 1706م) تتضمن الإخبار أن حاكم فارس قد بعث بهدية في السنة الماضية لتوضع في الحجرة النبوية، لكن لم يتم وضعها حتى تصل الموافقة السلطانية[40]بناء على ما سبق ربما يكونتاريخ وصول الشمامة إلى المدينة المنورةفي عام 1117هـ/1705م بناء على الأمر السلطاني الوارد إلى قاضي المدينة المنورة وشيخ الحرم، في حين صدرت الموافقة بقبول الهدية في سنة 1118هـ/1706م ومع صدور الموافقة إلا أن هذه الهدية

بقيت لم توضع بالحجرة النبوية حتى يصدر الفرمان لأمين الصرة بوضعها في مكانها المخصص، وبقيت محفوظة في دار العشرة ثم نقلت بعد ذلك إلى قبة الزيت [41].

بالتالي نستطيع القول أن تلك الهدية قد عاصرت اثنين من السلاطين هما السلطان العثماني مصطفى خان الذي صدرت الموافقة السلطانية في عهده قبل وصولها، ويبدو أن حاكم فارس أراد أن يضمن الموافقة قبل أن يأمر في صنعها الذي استغرق عدة سنوات، كما عاصرت السلطان أحمد الثالث الذي امتنع في بداية الأمر عن قبول الهدية ثم أصدر أمره بالموافقة بقبول الهدية.

الاحتفال الرسمي لوضع الهدية واكتشاف السرقة:

بعد أن صَدَرت الموافقةُ على قبول الهدية، صدَر الأمر السُّلْطانيسنة 1119هـ/ 1707م بوضع الشمامة في الحجرة النبَويَّة، وأرسله مع جماعةٍ مِن المدينة يَرْأَسُهم أحد كبار رجال الدولة ليسلموا الهدية في احتفال رسميٍّ، فقُرئ الفرمان السُّلْطاني بحضور علماء المدينة وخطبائها وشيخ الحَرَم وقاضي الشرع وأمير الحج الشامي سليمان باشا [42]، وأمير الحج المصري غيطاس بيك(1117هـ/1705م- 1121هـ/1709م) [43]، وبعد تمام قراءة الفرمان السلطاني أخذ خازندار الحَرَم المفاتيح وفتح قبة الزيت لإخراج الشمامة التي وُضِعَتْ في الصندوق، وعندما فتحوا الصندوق وجدوه خاليًا من الهدية، فأخبروا السلطان العثماني أحمد الثالث بالقضية وعلى أساسها جرى تحقيق واسع حتى ظفروا بالسارقين [44].

لعل من المهم قبل تناول التحقيقات التي أجريت بخصوص القضية يتبادر إلى الذهن تساؤل؛ متى تمت عملية سرقة الشمامة؟!

للإجابة على التساؤل السابق يجب الإشارة إلى ما ذكره المؤرخ السمهودي الذي كان شاهد عيان للحادثة ودوّن تفاصيلها في كتابه كسر الشمامة؛ إذ ذكر أنه بعد التحقيقات التي أجريت مع اثنين من السارقين اعترفا بأنهما قاما بالسرقة في موسم الحج بعد رجوع الحجيج إلى مكة، حين مكث أمير الحج الشامي وطال جلوسه، مستغلين فتح أبواب الحرم النبوي خلال فترة الحج، فجعلوا مفتاحًا لقبة الزيت، ومفتاحًا للصندوق الذي فيه الشمامة[45]، وكسروها ووجدوا من الفصوص نحو سبعين فصًّا مختلفة الألوان، ومن العنبر مائة مثقال[46]، فقد جرت العادة أن أبواب المسجد النبوي لا تقلق في الليالي الثلاث التي تسبق رحيل الأركاب عن المدينة المنورة ليتمكن الجميع من المكوث في المسجد أطول مدة ممكنة، إذ تعّود الركب المصري وكذلك الشامي ليلة رحليهم أن يجتمع أمراؤهم وكبراء أهل المدينة المنورة والأغوات في صحن المسجد ليلاً ويوقدوا كثيراً من الشموع الموضوعة على شمعدانات من الفضة، ويحضر جماعة من المنشدين ويصدحون بالعديد من قصائد المدائح النبوية[47]. وهذا يعني أن تاريخ السرقة تم موسم حج سنة 1118هـأي بعد خمسة أشهر من وصول الأمر السلطاني الخاص بالموافقة على قبول الهدية.

القبض على المشتبهين ومكاتبة الدولة العثمانية:

شغلت قضية السرقة هدية الشمامة الرأي العام في المدينة المنورة ومكة المكرمة، وعلى إثرها جرت تحقيقات واسعة، فبعد يومين من اكتشاف حادثة السرقة قُبض على اثنين من

المتهمينأحدهما يدعى: خليل آغا تابع « أحمد عمر» أحد أغوات الحرم الشريف، والآخر يدعى خليل تابع الخزندار سليمان – واعترف الخليلان بأن لهما شريكًا ثالثًا يُدْعَى أحمد الذروي[48]، وهو مقيم بمكة ومعه بعض الفصوص والعنبر، وعلى الفور تم احتجاز المشتبهين على ذمة التحقيق[49].

وفي هذه القضيةشارك أهالي المدينة المنورة في الكشف عن هوية الجناة، فأتى بعض الناس إلى شيخ الحرم محمد آغا الذي اتهموه بالتقصير في حفظ مقتنيات الحرم النبوي ببعض فصوص الياقوت والألماس وأخبروه بالصائغ الذي اشتروا منه الفصوص، فلما علم بافتضاح أمره هرب إلى جهة العوالي، فقبضوا على اثنين من أصحابه، وبعد التحقيق معهم اعترفوا بالمكان الذي اختفى فيه الصائغ في العوالي حتى يكون بمنأى عن الشبهات،فقبضوا علية وجلبوه إلى شيخ الحرم، وبعد ضربه أعترف بالجريمة[50]. ومزيداً من إحكام الضبط ومحاولة الوصول إلى المتهمين بالقضية فخلال عملية التحريات التي أجريت في المدينة المنورة تم الاستعانة بالحرفيين حيث أمر الحاكم شيخ الصاغة والهنود أن يبذلوا جهدهم لتحصيل بقية الأجزاء المسروقة، فأخبر أحد الصاغة يدعى» عباس» أنه عُرض عليه خليل أغا بعض المجوهرات المسروقة من الشمامة وزنها أربعة وخمسون مثقالاً فشك في أمره، فامتنع عن شرائها حتى يتعرف على مصدرها، فذهب به إلى أحمد عمر، فسأله عنها متعجباً من وجودها معه التي لا يوجد نظير لها إلا في خزائن الملوك، فاحتال على الصائغ فأخبره أنها من حلي زوجته، عندئذ تنبه الصائغ لشكوكه فأبلغ الأغوات بما حصل فحبس في بيته [51].

لم يقتصر الأمر على ذلك، بعد أنْ وَصَلَتْ أخبار سرقة الشمامة إلى مكة المكرمة كان من الطبيعي أن يتخذ أميرها آنذاك الشريف عبد الكريم بن محمد[52](1116هـ/1704م1123-هـ/1711م) موقفًا حاسمًا؛ إذ أمر بإحضار الرجلين بين يديه ليسألهما عن ملابسات الجريمة، فشدد عليهما فاعترفا بالجريمة، ووجدوا عندهما بعض الفصوص المسروقة، فجمعها الشريف عبد الكريم بن محمد وربطها بحضرة القاضي وختمها بختمه[53]، ثم أرسل المُتَّهَمين وهما مقيدان بالسلاسل بصحبة المرسول الذي جاء بطلبهما، وأرسل معه ما تحصل من الفصوص إلى شيخ الحرم محمد آغا، ثم كتب محضرًا بالحادثة، وأرسله إلى الدولة العثمانيَّة للتعريف بالحادثة لتنفيذ العقوبة[54].

أما في المدينة المنورة فقد استمرت التحريات جارية على قدم وساق بحثاً وراء الجناة، إذ عقدت عدة جلسات في محاولة اقتفاء آثار المشتبهين والقبض عليهم فعقدتالجلسة الأولىفي المدرسة الأشرفية[55] للنظر في الحادثة بحضور الحكام وجمع من الأعيان، وفي هذه الجلسة أبرز شيخ الحرم ما اجتمع عنده من السبائك وكان عددها ثلاث عشرة سبيكة، وأمر القاضي بتحرير كل سبيكة، وإثبات أسماء من وجدت عنده في سجل، وبحبس من وجد عنده شيء في القلعة[56]،وفي هذه الجلسة أمر شيخ الحرم بالقبض على من وجد عند شي منها في القلعة، فقبض على جماعة من أهالي المدينة من بينهم محمد أمين الأيوبي[57]، وكان ممن اتهم في قضية سرقة الشمامة سنة 1119هـ/ 1707م، فنفي إلى مصوع، ثم عاد إلى المدينة وتوفي فيها سنة 1142هـ/ 1730م[58].

موقف الدولة العثمانية:

بعد أن وصلت أخبار الحادثة إلى السلطان العثماني قام بتكليف والي مصر علي باشا[59] لاتخاذ تدابير عسكرية للحفاظ على الأمن بالمدينة وتأديب المتسببين في السرقة، وفي أواسط ربيع

الثاني سنة 1119هـ الموافق يوليو 1707مصدر أمر سلطاني إلى والي مصر المذكور وإلى قاضي المدينة المنورة بعزل المتسببين في التقصير بالحراسة على رأس هؤلاء محمد اغا شيخ الحرم وعثمان اغا نائب الحرم[60] بسبب ثبوت تهاونهما وتقصيرهمافي حفظ وحراسة خزينة الروضة المطهرة وتعيين شيخًا للحرم ونائبًا للحرم مكانهما من إسطنبول، وحتى يصل المكلف بالتحقيق بالقضية فقد أكد الأمر السلطاني على والي مصر المذكور بحبس عثمان نائب الحرم المتهم بقضية السرقة في القلعة السلطانية[61] بالمدينة المنورة احتياطيًا حتى لا يهرب إلى أي مكان، كما شدّد الأمر السلطاني على والي مصر بأن يمكث رجاله المكلفين في المدينة المنورة من أجل حراسة نائب الحرم وجميع المسجونين بقضية السرقة حتى يصل المباشر في التحقيق مع شيخ الحرم الجديد الذى تم تعيينه والتأكيد على تسليم جميع المسجونين إلى المباشر المشار إليه واستلام السند المعمول به عند إتمام التسليم وإرسالهم إلى الدولة العثمانية[62]، كما صدر أمر آخر إلى قاضي المدينة المنورة في أواسط ربيع الثاني سنة 1119هـ الموافق يوليو 1707م بالقبض القبض على عثمان المذكور الذي نائب الحرم، وحبسه، ومصادرة أمواله وأملاكهومتعلقاتهوتحريرها وتقييدها في دفتر بمعرفة الشرع، وحفظها في مكان آمن، والتفتيش والتحري عن المتهمين في سرقة هذه الشمامة والقبض على كل شخص متورط في هذه القضية وحبسه وتحرير أموالهم ومتعلقاتهمأيضًا وقيدها في دفتر ووضعها وحفظها في مكان آمن وأكد الأمر السلطاني على تحديد وتوضيح مقدار ما تم تسليمه من المجوهرات وسائر الموجودات[63] وفي 12 من شهر رجب من سنة 1119هـ الموافق 9 أكتوبر 1707م وصل إلى المدينة المنورة مبعوثي والي مصر فنزلوا على قاضي المدينة المنورة، فأبرز المأمور منهم الأوامر الصادرة من السلطان العثماني والتي تضمنت:

1. عزل شيخ الحرم محمد آغا ونائبه عثمان آغا، وإسناد منصبها إلى القاضي إبراهيم المشهور عشاقي زاده.
2. حبس عثمان أغا في القلعة السلطانية، لكن هذا الإجراء لم يستمر طويلاً فبعد اثني عشر يوماً من تولية القاضي سرعان ما عين محمد آغا الجزائري في منصب مشيخة الحرم ونائبه[64].

وصول لجنة التحقيق في القضية:

كما سبق الإشارة كانت الإجراءات السابقة التي اتخذتها السلطة العثمانية مؤقتة حتى يصل المباشر بقضية التحقيق إذ اكتفت بالقبض على المشتبهين بهم وتشديد الحراسة عليهم من خلال الأوامر المرسلة السلطانية المرسلة إلى قاضي المدينة المنورة ووالي مصر، وفي 4 من ذي الحجة من سنة 1119هـ الموافق 26 فبراير 1708م وصل إلى المدينة المنورةالقابقجي[65] محمود أغاالمكلف بالتحقيق بالقضية برفقة شيخ الحرم أيوب أغا وإسماعيل آغا نائب الحرم، وبعد يومين من وصولهمعُقدت جلسة ثانيةفي المدرسة الأشرفية بحضور الأعيان وجمع من علماء المدينة والعساكر، وفيها أبرز القابجي أمرًا سلطانيًّا بحبس محمد آغا شيخ الحرم، وضبط أموال عثمان آغا نائب الحرم، وأحمد عمر[66]، وبعد يومين من انعقاد الجلسة السابقة تم النداء العام في المدينة بجمع

أجزاء الشمامة، فجُمع أهل الحرف، وطلبوا كل من عنده شيء من أجزاء الشمامة يأتي به، وأعطوهم الأمان على أنفسهم خلال ثلاثة أيام، ومن ثبت عليه إخفاؤها فدمه مهدور، ثم عقدت جلسة في المسجد النبوي الشريف لتحرير ما اجتمع من أجزاء الشمامة، وتسليمه لشيخ الحرم الجديد أيوب أغا[67].

بعد عدة أيام من وصول لجنة التحقيق عُقدت جلسة أخرى في المدرسة الأشرفية لاستجواب المسجونين في القلعة السلطانية، فأحضروا كلا من السيد أحمد عمر والخليلين، حيث اعترف الخليلان أنهم كسروا الشمامة نصفين، وأخذ أحد شطريها أحمد عمر، واشترك ثلاثتهم في الشطر الثاني، وتم تحرير أقوال المتهمان في سجل ثم جيء بشريكهما أحمد عمر وسُئل عما اعترف به الخليلات فأنكر ذلك، فأمر الحكام بإعادته إلى السجن، وأمر المنادي بالنداء بالأمان لمن يأتي بما عنده من أجزاء الشمامة، وفي اليوم الثاني عقدت لجنة التحقيق جلسة أخرى فحققوا مع بعض مَن في القلعة، فاعترف أحمد عمر بعد الضرب أن النصف الذي أخذه من الشمامة قد باعه، وأنه باع من الذهب الأصفر ما يساوي خمسمائة أحمر[68]؛ على أحد الهنود يدعى سراج، فقبضوا عليه وختموا على بيته فأنكر فضُرب ضربًا شديدًا، وخوفًا على نفسه من الهلاك أقر بذلك، كما أقر بعضهم بأنه باع سبائك لاثنين من الهنود فقُبض عليهما، أحدهما يدعى: صديق الأصم، والآخر: محمد علي وزنها مائة مثقال، وتم حبسهما، كما اعترف أحد المحبوسين بأنه باع سبعة وتسعين فصًّا لأحد الصاغة يُدْعَى: عبد الغفور، فأنكر ذلك، كما اتهم أحد المحبوسين أحد النساك يدعى محمد المشرقي أنه باع عليه خمسة وعشرين من الفصوص. وفي اليوم الثاني اعترف أحمد عمر بأنه خلال التحقيق افترى كذبًا على كل من عباس الصائغ وسراج الهندي، وعلى هذا الأساس عقدت جلسة في بيت شيخ الحرم النبوي للنظر في الاتهامات الباطلة التي أدلى بها بخصوص عباس الصائغ وسراج الهندي ومحمد المشرقي، حيث ثبتت براءتهم مما ألصق بهم من تهم، وطلب القابجي أن يحضر برجلين يضمنانهما لإطلاق سراحهم بعد اثبات أسمائهم وضمانهم في سجل القاضي، فضمنهما رجلان من مكة أحدهما يدعى: عبد الشكور، وآخر يدعى عمر العلوي، كما تم تبرئة اثنين من المتهمين جاءا من مكة بصحبة السيد أحمد الذروي هما أحدهما يدعى عبدالرحيم الشكوري وراشد المرطباني، ثم عقدت جلسة أخرى في بيت شيخ الحرم بحضور العلماء والأعيان، واتفقوا أن يكتبوا محضرًا للدولة العثمانيَّة للتعريف بالمحبوسين في القلعة، وهم سبعة أشخاص، وبالمقِرّ منهم والمقَرّ عليه ممن سبق إطلاقه[69].

بعد الانتهاء من التحقيق مع المحبوسين بالقلعة قام شيخ الحرم بالجرد والتفتيش لآثار الحرم النبوي خلالثلاثة أيام، فتم جرد ما في الخزانة من مصاحف شريفة، ومعادن وسفر عليها الفضة، وفي اليوم الثاني جرى اجتماع وفيه أعيد قراءة الأمر السلطاني، ثم دخلوا الحجرة النبوية لضبط ما فيها تعاليق مما هو مجتمع ومفرق، ثم توجهوا بعد ذلك إلى قبة الزيت التي فقدت منها الشمامة لضبط جميع ما في الخزائن [70]. وعندما تأخر وصول ردِّ السلطان العثماني بادروا بإرسال المفتي الحنفي محمد أسعدأفندي[71] بسفارة إلى الدولة العثمانيَّة، ومعه محضر

باللغة التركية بتفاصيل الحادثة وبصحبته رجل من جماعة محمود آغا القابجي، ومعهم رسائل العلماء[72]. ويبدو أن الدولة العثمانية أرادت معاقبة شيخ الحرم ونائبة منعاً للتجاوزات ففي أوائل ربيع الأول سنة 1120هـ الموافق لشهر مايو من سنة 1708م أرسلت الدولة العثمانيَّة فرمانًا إلى والي مصر حسن باشا[73] يقضي بنفي عثمان نائب الحرم السابق ومحمد حافظ شيخ الحرم في مصر[74]، لكن سرعان ما صدر أمر آخر أواسط ربيع الثاني 1120هالموافق يونيو 1708مإلى والي مصر بإخلاء سبيل نائب الحرم عثمان أغا وإعادته إلى المدينة المنورة، وإبقاء حافظ محمد شيخ الحرم السابق في مصر[75]، كما صدر حكم آخر مماثل في أواسط ربيع الثاني 1120هـ الموافقيونيو 1708م إلى قاضي المدينة المنورة وإلى شيخ الحرمبالعفوعن عثمان نائب الحرم وإعادته إلى المدينة المنورة، وألا يمانعه أحد في الإقامة فيها، وإذا كان قد ذهب إلى مصر، يتم إرسال أمر إلى والي حسن باشابأن يأمر بإرجاع المذكور إلى المدينة المنورة بموجب العفو السلطاني، وأكد عند وصوله إلى المدينة المنورة يقيم فيها دون أن يتعرض له أحدبناءً على الأمرٌ السلطانيٌّ[76]

نتائج التحقيق النهائية:

في أوائل ربيع الأول سنة 1120هـ الموافق مايو 1708م صدر أمر سلطاني إلى قاضي المدينة المنورة وشيخ الحرم بنتيجة التحقيقات التي أجريت بخصوص قضية الشمامة، وتضمنت الأمور الآتية:

بعد التفتيش والتقصي عن سارقي الشمامه المذكورة وعن كيفية سرقتها بواسطة المكلف بالتحقيق بالقضية محمود أغا تبين أن المتهمين بالدرجة الأولى في قضية السرقة هم كلاً من: خليل وأحمد عيدروس التابعين لأحمد عمر الذي هو من أغوات الحرم الشريف وخليل التابع لسليمان أغا أمين خزينة المسجد النبوي السابق، وقد أعان الثلاثة السارقين المذكورين أيضًا أحمد عمر وأحمد عامر والصائغ عبدالغفور الذي اشترى المجوهرات المسروقة بثمن زهيد من المذكورين أيضًا فبعد القبض عليه وظهور ستة وخمسين قطعة من الجواهر في يده تم سجن الجناة المذكورين في القلعة السلطانية[77].

بناء على نتائج التحقيقات الواردة من اللجنة المكلفة بالتحقيق بالحادثة صدر أمر سلطاني بمعاقبة المتهمين بالقضية إلى قاضي المدينة المنورة وشيخ الحرم بالقبض على خليل تابع أحمد عمر وأحمد عيدروس وخليل الآخر التابعين لسليمان أمين الخزينة السابق وإرسالهم إلى جدة والتنبيه سنجق جدة ومحافظ قلعة جدة لحبسهم في قلعتها[78]، حيث تقرر معاقبتهم بالسجن المؤبد فيها لتجرأهم على هذا الفعل المشين خاصة أنهم من خدَّام دائرة الحرم النبوي، أما معاوني السارقين وهما أحمد عمر وأحمد عامر الذين أعانوا الثلاثة المذكورين على السرقة، وكذلك الصائغ عبدالغفور الذي اشترك معهم في السرقة فقد تم الحكم على هؤلاء الثلاثة بالطرد والإبعاد من المدينة المنورة[79]

خلال التحقيقات التي أجريت اعترف أحمد عمر أنه أعان السارقين وبأنه أرسل كثير من الأجزاء المسروقة من الشمامة إلى بغداد مع ابن أخته، وأتلف كثير من المجوهرات المسروقة،

لذا تقرر بيع أمواله ومتعلقاته التي تم تحريرها وقيدها بالدفتر بمعرفة الشرع وتحصيل الأموال الناتجة[80].

أظهرت نتائج التحقيقات براءة عدد ممن اتهم بسرقة الشمامة من هؤلاء: ثبت براءة كل من حافظ محمد شيخ الحرم السابق وعثمان نائب الحرم السابق وإطلاق سراحهما من الحبس ورد وتسليم متعلقات عثمان نائب الحرم التي تم تحريرها وقيدها بالدفتر وضبط أمواله، لعدم ظهور خيانة منهما، وبراءة محمد المشرقي وعباس الصائغ وسراج الهندي اللذان تم اتهامهما ظلماً من قبل أحمد عمر، فأطلقوا من الحبس بكفالة إحضار، كما تبين بعد التحقيق تبرئة كلاً من عبدالرحيم شكوري وراشد مرطباني المشتبه بهما و اللذين تم إحضارهما من مكة المكرمة مع أحمد عيدروس إلى المدينة المنورة وحبسهما تم إطلاق سراحهما أيضًا بعد أخذ تعهد بكفالتهما، حيث أظهرت نتائج التحقيقات براءة ذمتهم فيما نسب إليهم[81].

جمع أجزاء الشمامة المسروقة:

لم تكتفِ السلطات العثمانية بما أصدرته من أحكام بخصوص المتهمين بالقضية بل حرصت خلال التحقيقات التي أجريت مع المتهمين في قضية السرقة على جمع الأجزاء المتبقية من الشمامة المسروقة، فكلفت محمود أغا بجمعها ويبدو أن مسألة جمعها استغرق سنوات حيث ظهر خلال التحقيقات في سنة 1120هـ/1708م أجزاء متفرقة صحيحة ومكسورة من الشمامة المسروقة وهي عدد 343 من اللؤلؤ والياقوت وعدد 221 زمرد كبير وصغير و29 حجر كبير وصغير جدًا من الألماس و12 من اللآلئ غير المصقولة و500 مثقال من الذهب، و844 مثقال من العنبر وقد تم جمعها وحفظها وتسليمها للمباشر من أجل تكميل الأجزاء المفقودة من الشمامة وإعادتها إلى هيئتها الأصلية[82]، وكما صدر أمر آخر إلى قاضي المدينة المنورة وشيخ الحرم بإرسال الأجزاء المتفرقة من الشمامة المذكورة إلى بغداد مع الدفتر المحرر عن هذا الأمر، وحصر الأموال الأموال والأشياء التي يجب بيعها بمعرفة الشرع وتحت إشراف المباشر على القضية، وتحصل الأموال منها،وبيعها دون زيادة أو نقصان، وتسليمها إلى المباشر المذكور مع الأجزاء المحصلة من الشمامة المذكورة[83]

استمرت عملية جمع أجزاء الشمامة في السنة التي تليها، ففي أواسط شهر رجب 1121هالموافق أكتوبر 1709م صدر أمر سلطاني إلى قاضي المدينة المنورة وإلى شيخ الحرم أنه تم تحصيل وحفظ الأجزاء المتفرقة للشمامة المسروقة، ونقل الصحيح والمكسور من أجزائها، وقد بلغ 243 من الياقوت وعدد 12 من اللؤلؤ المكسور و 500 مثقال ذهب، و 844 مثقال عنبر، وأنه سيتم تكميل الأجزاء المتفرقة من الشمامة [84]، وفي أواخر شهر رجب 1121هـ الموافق أكتوبر 1709م صدر أمر سلطاني آخر إلى قاضي المدينة المنورة وإلى شيخ الحرم أيوب أغا أنه تم جمع 244 عدد من الياقوت الأحمر الأوسط والصغير، و 220 عدد من الزمرد الكبير والأوسط والصغير، وعدد 29 من الألماس الأسود و 12 عدد من اللؤلؤ و 506 مثقال من الذهب، و 893 من مثقال العنبر، كما تم خلال عملية جمع أجزاء الشمامة بيع ممتلكات أحمد عمر أحد سارقي الشمامة

المذكورة،وبلغت بعد تحصيلها 4327 قرش[85] لتحصيل مبلغ بقية أجزاء الشمامة، وبعد الانتهاء من جمع الأجزاء المتفرقة من الشمامة المذكورة وبأموال أحمد عمر تم إرسال أمر إلى المحاسبة العامة في الدولة بشأن عمل شمامة مثل الأولى وإتمامها على أكمل وجه، وإخبار حاكم فارس أنه سيتم وضع الشمامة في مكانها المخصص وإرسالها مع أمين الصرة ، لوضعها في مكانها المخصص[86].

آثار قضيةسرقة الشمامة على أهالي المدينة المنورة:

من خلال العرض السابق، اتضح أن أهالي المدينة المنورة قد تأثروا كثيراً بخبر قضية السرقة، فكان وَقْع هذه السرقة بطبيعة الحال كبيرًا عليهم، وبالرغم أن المصادر والوثائق التي أمكن الاطلاع عليها لم تشر إلى ردة فعل الأهالي نحو هذه الحادثة إلا أنه يمكننا أن نستنج ذلك مِن خلال ردود الفعل التي سَطَّرَها المُؤَرِّخون المعاصرين بين ثنايا مصادرهم،وهو ما عبّر عنه المؤرخ العاملي بقوله: «فحصل اضطراب عظيم لأغوات المسجد النبوي وشيخ الحَرَم وأهالي المدينة المنورة، وكانت عليهم من أعظم المحن»[87].و بطبيعة الحال فأن تناول المؤرخين لهذه الحادثة يعكس مدى أهميتها وأنها كانت ذا وقعٍ وصدًى لدى أهالي المدينة، يقول السنجاري في شأنها: « حصل لهم غاية التعب، لأنها مقومة بمالٍ كثير، نحواً من أربعين ألف أحمر، لكونها مرصعة بالفصوص من الألماس واليواقيت وسائر أنواع الجواهر، ولها قوائم من الذهب وجوفها مملوء من العنبر، وهي غاية الصنعة والحكمة»[88].

كان من الطبيعي أن يُحدثَ ذلك التعدي أثرًا نفسيًّا فيأهالي المدينة المنورة قد انتابهم شعور بالرهبة جراء تلك الحادثة،كما تركت تأثيرًا على حياة الناس، وعلى سلوكهم الديني، ولهذا كانوا يَلْجَؤُون إلى الدين بالإكثار من الإقبال على العبادة، ونستخلصذلكفيصورالتوبةوالإنابةإلىاللهالتيظهرتْفيالمجت معوقت الأزمات؛ فقدشاع فَتْح باب المسجد النبوي الذي سُمِّي باب التوبة عند نزول الشدائد والمحن لتفريجها، وإخراج مصحفٍ نُسِبَ إلى سيدنا عثمان رضي الله عنه من الحجرة الشريفة عند وقوع المحنة للاستشفاع به عند الله عز وجل[89]؛ فعندما وقعت سرقة الشمامة مِن الحجرة النبوية الشريفة أشار المؤرخ السمهوديأنه جيء بمصحف عثمان رضي الله عنه أمام القاضي، فقرئت سورة الفتح ونوح والإخلاص ثلاثًا، وسورتا المعوذتين والسبع المثاني ثم رفع[90].

من الناحية الاقتصادية فقد أثرت هذه القضية على المتورطين بسرقة الشمامة، فخسروا جميع أموالهم وبيعت ممتلكاتهم، خاصة ممن ثبت إدانتهم في قضية السرقة، إذ تعرضوا لمصادرات واسعة، فنجد مثلًا ممن تعرضت ممتلكاته للبيع أحمد عمر أحد أغوات المسجد النبوي، وكان من أكبر المتورطين في قضية السرقة إذ أنه لم يكتف بالتستر على السارقين فحسب بل قام بتهريب كثير من الأجزاء المسروقة من الشمامة إلى خارج المدينة المنورة، وأتلف كثيراً من المجوهرات المسروقة، لذا تقرر بيع أمواله ومتعلقاتهوتحصيل الأموال الناتجة[91]،وبلغت بعد تحصيلها 4327 قرش لتحصيل مبلغ بقية أجزاء الشمامة المسروقة، [92]،كذلك حدث الأمر نفسه لعثمان آغا نائب الحرم عندما صَدَرَ أمرٌ سلطاني بحبسه ومصادرة أمواله وممتلكاته[93]، غير أنه استطاعرد أمواله وممتلكاته بعد ثبوت براءته[94].

من الناحية العلمية فقدجرت العادة أن تتزايد حركة التأليف مع الأحداث الجارية التي يمر بها العالم تأثرًا وتأثيرًا؛ لذلك برزت العديد مِن المؤلفات التي تناولت بعض الأحداث التي وقعت في المدينة المنورة، ، واصفين حجم المأساة، ولا شك أن حادثة كسرقة الشمامة كان من الطبيعي أن تجد صداها مِن خلال أقلام المُؤرِّخين، إذ كان لهم دور مهم من خلال تدوين الأحداث في مصنفاتهم، فقد أفرد المؤرخ عمر السمهودي هذه الحادثة في مؤلف خاص سماه « كسر الشمامة» تحدث فيها عن وقائع جريمة سرقة الشمامة المهداة من حاكم فارس إلى الحجرة النبوية الشريفة، وقد اعتبر السمهودي أن هذه الهدية دسيسة من دسائس العجم، وذلك عندما جرت تحقيقات واسعةووضع مقدار من العنبر الموجود في الشمامة في النار فصدر منه رائحة كريهة، مما جعل مؤرخ المدينة السمهودي يضع كتابًا دفاعًا عنهما، وأرخ فيه تفاصيل الجريمة، وأوضح فيه عقيدة أهل السنة تجاه الخلفاء الراشدين، مع بيان فضل الشيخين[95].رغم أن الوثائق العثمانية الآنفة الذكر لم تشر إلى شيء من ذلك، بل حرصت الدولة العثمانية على متابعة القضية وإخبار حاكم الفرس بالانتهاء من جمع أجزائها لتوضع في المكان المخصص لها، وربما اعتقاد السمهوديعائد إلى التعصب المذهبي الذي تسبب في وقوع الفِتَن بين الشيعة والسُّنَّة في تلك الفترة، وهي ليست محل للدراسة والبحث.

الخاتمة:

استعرض البحث قضية سرقة الشمامة من المسجد النبوي من حيث بداية وصول الهدية والمراسلات التي تمت بشأنها، واكتشاف سرقتها، والإجراءات التي تمت بشأنها وآثارها على أهالي المدينة المنورة، وأمكن الوصول إلى بعض الاستنتاجات منها:

- لم يسبق للدراسات قبلها أن تلقي الضوء على هذه الحادثة، وبالتالي فهي دراسة لموضوع جديد لم يسبق الكتابة فيه،فعلى الرغم من أهمية الموضوع غير أن المصادر المعاصرة لم تتناول الحادثة بكثير من التفاصيل سوى ما ذكره مؤرخ المدينة عمر السمهودي في كتابه كسر الشمامة، الذي يعد من أهم المصادر التي تناولت تفاصيل الحادثة إلى جانب الوثائق العثمانية التي نقلت صورة حية للحادثة منذ بدايات اكتشاف السرقة، وإجراءات الدولة في التعامل مع القضية، ونتائج التحقيقات.
- من خلال المعلومات الواردة في الوثائق العثمانية بالمقارنة مع المصادر الأخرى تبين أنهشغلت قضية سرقة الشمامة في المدينة المنورة الدولة العثمانية؛ إذاستغرق التحقيق في القضية مدة ثلاث سنوات خلال الفترة 1119-1121هـ/ 1707-1709مخلالها اتُخذت عدد من الإجراءات الأمنية من خلال والي مصر وإرسال لجنة خاصة من السلطان العثماني للتحقيق في القضية.
- أثبتت الدراسة من خلال عرضها للوثائق العثمانية التي تناولت القضية تورط عدد من أهالي المدينة المنورة في قضية سرقة الشمامة، وبعد التحقيق أصدرت اللجنة

أحكاماً بمعاقبة المتورطين تراوحت العقوبات بحقهم بين السجن المؤبد والإبعاد عن المدينة، ومصادرة الأملاك.

- أوضحت الدارسة التوقيت الزماني والمكاني الذي وقعت فيه حادثة السرقة، وذلك في موسم الحجمستغلين فتح أبواب الحرم النبوي، فهذا وقتاً مناسباً للسرقة ومعظم الناس مشغولين بالحج.
- استغرق محاولة جمع أجزاء الشمامة المسروقة قرابة السنتين حتى تم جمعها وبيع ممتلكات المتورطين في سرقتها حتى تم إعادتها إلى مكانها المخصص، وبذلك تم إسدال الستار على قضية السرقة التي مثلتْ حدثًا مهمًّا ومؤثرًا؛ وتركت تلك الحادثة أثراً بالغاً على أهالي المدينة المنورة، وظهر ذلك جلياً من خلال كتابات المؤرخين الذين لم يكونوا بعيدين عن الأحداث عمومًا.

الملاحق:

قائمة بالمتهمين في قضية سرقة الشمامة:

المتهمون	الحكم الذي صدر بحقة
شيخ الحرم محمد أغا	صدر بحقه الحبس ثم أطلق سراحه بعد ثبوت براءته، تم نفيه إلى مصر
نائب الحرم عثمان أغا	صدر بحقه الحبس ومصادرة أمواله ممتلكاته ونفيه إلى مصر ثم تم إطلاق سراحه بعد ثبوت البراءة ورد ممتلكا ته.
خليل تابع أحمد عمر	الحبس المؤبد في قلعة جدة وبيع ممتلكاته
وخليل تابع لسليمان اغا أمين ا لخز ينة	الحبس المؤبد في قلعة جدة
أحمد عيدروس	الحبس المؤبد في قلعة جدة
أحمد عمر	الطرد والإبعاد من المدينة المنورة وبيع ممتلكاته لتحصيل مبلغ الشمامة
أحمد عامر	الطرد والإبعاد من المدينة المنورة
الصائغ عبدالغفور	الطرد والإبعاد من المدينة المنورة
الصائغ عباس	تم الإفراج عنه بعد ثبوت البراءة
سراج الهندي	تم الإفراج عنه بعد ثبوت البراءة

محمد مشرقي	تم الإفراج عنه بعد ثبوت البراءة
أحمد الذروي	تم الإفراج عنه بعد ثبوت البراءة
محمد أمين الأيوبي	تم نفيه من المدينة المنورة
عمر العلوي	تم الإفراج عنه بعد ثبوت البراءة
عبدالرحيمالشكوري	تم الإفراج عنه بعد ثبوت البراءة
راشد المرطباني	تم الإفراج عنه بعد ثبوت البراءة

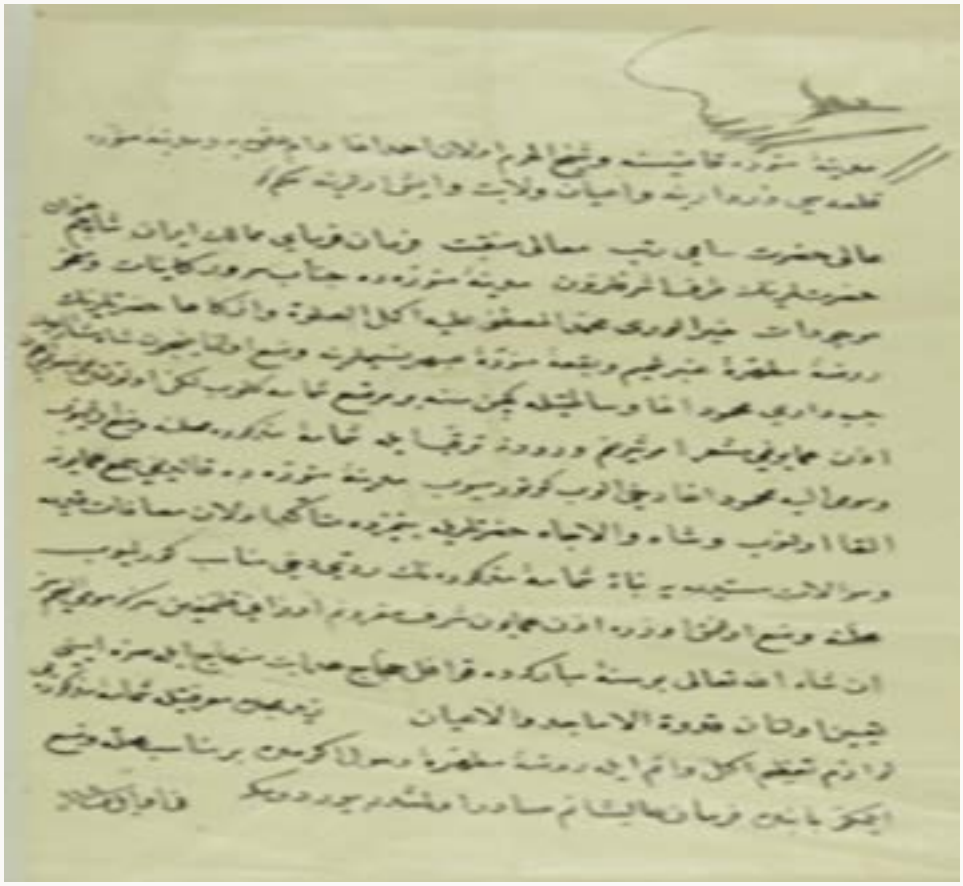

أرشيف رئاسة مجلس الوزراء ـ تركيا، تصنيف 6430/C.HR 129
تاريخ: أوائل رجب 1118هـ

«حكم إلى قاضي المدينة المنورة وشيخ الحرم أحمد أغا -دام علوه- وإلى محافظ المدينة المنورة وإلى أعيان الولاية وإلى رجال الحل والعقد»:

«نعرض عليكم أن: حضرة عالي وسامي الرتب صاحب المناقب العالية حاكم ممالك إيران شاه العجم العظيم، قد أرسل من طرفه إلى الروضة المطهرة لحضرة جناب سرور الكائنات وفخر الموجودات خير الورى محمد المصطفى عليه أكمل الصلاة وأزكاها الروضة المطهرة الموجودة في المدينة المنورة التي شيمتها العنبر والتي موجودة في البقعة المنورة بنسيم العنبر، وقد أرسل شاه العجم السنة الماضية شمامة مرصعة بواسطة «الجبه دار» محمود أغا لكي توضع في الروضة المطهرة. لكن في ذلك الوقت لم يتم وضع الشمامة المذكورة في مكانها ترقبًا لورود أمري الشريف الذي يسمح بذلك وبوضعها في الروضة الشريفة. وقد وصل إلى سمعي الهمايوني أن محمود أغا المذكور لم يأخذها ولم ينقلها، وأنها بقت في المدينة المنورة، وبناءً على الصداقة القديمة والعلاقات الطيبة بيني وبين حضرة الشاه عالي المقام شاه العجم، لم يكن من المناسب رد هذه الشمامة المذكورة، ولما كان من الواجب إصدار إذني الهمايوني المقرون بالشرف من أجل وضع الشمامة في مكانها المناسب، فأنتم المشار إليهم، إن شاء الله تعالى سيصدر فرماني عالي الشأن بشأن تكليف قدوة الأماجد والأعيان ... زيد مجده الذي سيعين أمين الصرة مع قوافل الحجاج الذين شعارهم الهداية في هذه السنة المباركة، ويقوم أمين الصرة بمعرفته بوضع الشمامة المذكورة مع كامل التعظيم وأكمل وأتم التوقير وضعها في المكان المناسب في الروضة المطهرة للرسول الأكرم. وأمرت بعمل ذلك. في أوائل رجب سنة 1118هـ.

أرشيف رئاسة مجلس الوزراء ـ تركيا، تصنيف 38/A.DVNS.MSR.MHM 1، دفتر مهمة مصر رقم 1، حكم رقم 38، ص 21، تاريخ: أواسط ربيع الثاني 1120هـ.

«حكم إلى والي مصر:

«لقد تم تعيين محمود -دام مجده- وهو من قبوجيباشـالدركاه العالي تعيينه مباشرًا إلى المدينة المنورة بشأن موضوع الشمامة، وقد عرض علينا من قبل شيخ الحرم السابق حافظ محمد الموجود في المدينة المنورة ونائب الحرام عثمان هذا الأمر، وقد صدر أمري الشريف عند وصوله إلى المدينة المنورة أن يذهب إلى مصر ويقيم فيها، ثم بعد ذلك تم العفو عن عثمان المذكور ولذلك عند وصول أمري الشريف إليكم إذا كان المذكور القبوجباشى قد وصل إلى مصر بمعرفة المشار إليه وبموجب أمري الشريف الصادر من قبل يتم بقاء حافظ محمد شيخ الحرم السابق في مصر، ويصل نائب الحرم السابق المذكور عثمان إلى المدينة المنورة ويتم إخلاء سبيله، لهذا صدر فرماني عالي الشأن للعمل بكل ما جاء فيه.

الهوامش:

(1) القنديل: مصباح كالكوكب في وسطه فتيل يُملأ بالماء والزيت ويشعل. مصطفى، إبراهيم وآخرون، المعجم الوسيط، (القاهرة، مجمع اللغة العربية) الطبعة الثالثة، 1419هـ/1998م، ج3، ص762.

(2) الحجرة النبوية الشريفة: يُطلق عليها المقصورة، وتقع في الركن الجنوبي الشرقي من المسجد النبوي، وهي حجرة السيدة عائشة رضي الله عنها التي كانتْ تسكنها مع النبي صلى الله عليه وسلم، وهي التي دفن فيها بعد وفاته، ثم دُفِنَ فيها أبو بكر الصديق رضي الله عنه سنة 13هـ/634م، ثم دُفِنَ فيها عمرُ بن الخطاب رضي الله عنه 23هـ/644م إلى جانب أبي بكر الصديق رضي الله عنه، وللحجرة باب يفتح على الروضة الشريفة يسمى: «باب الوفود»، وإلى جانبه من جهة الجنوب نافذة تُسمى: شباك التوبة، ولها منفذٌ إلى جهة القبلة في المواجهة الشريفة ويتصل بالحجرة من جهة الشمال حجرة السيدة فاطمة رضي الله عنها، ولها باب من جهة المشرق هو المدخل الحالي للحجرة الشريفة، وقد حَظِيَت الحجرة النبوية بعناية الخلفاء والولاة على مر العصور المختلفة، فعملوا على صيانتها وتقديم الهدايا من الستائر والجواهر والقناديل الفضية، وفي عهد الخليفة الأموي الوليد بن عبدالملك قام عامله على المدينة عمر بن عبدالعزيز بإدخال بيوت الأزواج في المسجد النبوي، وأقام بناء حول الحجرة التي بها القبور فجعله مخمسًا، وفي عهد نور الدين زنكي حفر حول الحجرة خندقًا وصَبَّ به الرصاص بعد محاولات النصارى الوصول إلى قبر النبي، وفي عهد قلاوون أقام قُبة مربعة وسقفت الحجرة بألواح من الرصاص، ثم جددت القبة في عهد الناصر حسن بن محمد قلاوون، وفي العهد العثماني نالت الحجرة النبوية اهتمام سلاطين الدولة العثمانية، فقد كان في الجدار القبلي من الخارج تجاه رأس النبي صلى الله عليه وسلم مسمار من الفضة، فأبدل ذلك بقطعة من الألماس كانتْ بحجم بيضة الحمام، وتحته قطعة أخرى أكبر منها، وكلتاهما مشدودة بالذهب والفضة، أطلق عليها الكوكب الدري، وقد أهداها إلى الحجرة السلطان أحمد خان. الحسيني، محمد كبريت عبدالله، الجواهر الثمينة في محاسن المدينة، تحقيق: عائض بن بنية سالم الردادي، (الرياض، النادي الأدبي بالرياض) الطبعة الثانية، 1435هـ/2013م، ص194، رفعت، إبراهيم، مرآة الحرمين الرحلات الحجازية والحج ومشاعره الدينية، (القاهرة، مكتبة الثقافة الدينية)، الطبعة الثانية، 1434هـ/2013م.ج1، 472-474.

(3) الروضة الشريفة: هي المكان الواقع بين حجرة السيدة عائشة رضي الله عنها والمنبر النبوي الشريف، وهي مستطيلة تمتد في الجهة الشرقية من ابتداء الحجرة إلى أسطوانة الوفود، وفي الجهة الغربية من ابتداء المنبر إلى نصف المكبرية، وفي الجهة الشمالية من أسطوانة الوفود إلى نصف المكبرية، وطولها من الشرق إلى الغرب 26،5م، وقد حجب الشبك المحيط بالحجرة جزءًا منها، فبقي طولها 22م، وعرضها من الجنوب إلى الشمال 15م، وتبلغ مساحتها397.5 متر مربع. شعبان، أحمد محمد، الروضة الشريفة، الطبعة الأولى، 1433هـ، ص10-11.

(4) السلطان سليمان القانوني: هو السلطان سليمان بن سليم الأول بن بايزيد الثاني، عاشر سلاطين الدولة العثمانية، ولد في سنة 900هـ/1495م في إستانبول في وقت بلغتْ فيه الدولة العثمانية أوج قوتها، خلف والده على الحكم سنة 926هـ/1520م، وقد اشتهر بالقانوني لما سُن في عهده من قوانين وتنظيمات داخل قطاعات الدولة والحكومة، وقد شَمِلت الإصلاحات أنظمة التعليم والجيش وجميع فروع الحكومة، وتم في عهده فتح بلغراد عاصمة الصرب سنة 927هـ/1521م، كما استولى على جزيرة رودس، وضم إليه صنعاء وعدن في سنة 945هـ/1538م وقضى على نفوذ الصفويين في العراق حين دخل بغداد فاتحًا لها وضمها للدولة العثمانية، تُوُفِّي في سنة 974هـ/1566م. النهروالي، قطب الدين محمد بن أحمد المكي، تاريخ مكة المسمى بالإعلام بأعلام بيت الله الحرام من تواريخ مكة المشرفة، (القاهرة، المكتبة الأزهرية) 1435هـ/2014م، ص299-312.

(5) النهروالي، المصدر السابق، ص98-99.

(6) السلطان مراد الثالث ابن السلطان سليم خان الثاني، وُلِد في إسطنبول سنة 953هـ/1546م، تولى الحكم بعد وفاة والده السلطان سليم الثاني في سنة 982هـ/1574م، وكان أول قرارٍ أصدره في بداية حكمه منع شرب الخمور الذي شاع في عصر والده، وكان من مآثره في مكة المكرمة إتمامُ عمارة المسجد الحرام، بعد أن أَتَمَّ والده السلطان سليم الثاني الجانب الشرقي والجانب الشمالي منه، فجاء أمر السلطان مراد الثالث لأمين العمارة الأمير أحمد بك في أن يبذل جهده في إتمام عمارة المسجد الحرام، ويشرع في إنجاز عمارته بكمال السعي والاهتمام. النهروالي، الإعلام ، ص324؛ فريد بك، محمد، الدولة العلية العُثمانيَّة،تحقيق: إحسان حقي، (بيروت، دار النفائس)، د، ت. ص258.

(7) الشهري، محمد هزاع، المسجد النبوي الشريف في العصر العثماني 923-1344هـ دراسة تاريخية معمارية، (القاهرة، دار القاهرة)، الطبعة الأولى، 2003م، ص351.

(8) أغوات الحرم: وهم خُدَّام المسجد الحرام والمسجد النبوي الشريف، ومع مرور الوقت أصبحوا يُشكِّلون فئةً مِن فئات المجتمع الحجازي، فأصبح لهم مجتمعٌ خاصٌّ، وأحياء خاصة لهم للسُّكنى بها، وكان عددهم يزداد وينقص حسب الراغبين في الإيقاف، وكان أغلبهم من الأورام والهنود والتكارنة، وكان لهؤلاء تنظيماتهم التي أسهمتْ في انضباطهم وتحديد مسؤولياتهم، وقد كان لأغوات المسجد النبوي كثيرٍ مِن الأوقاف المرصودة عليهم من بلدان العالم الإسلامي، ولهم مرتبات مخصصة تأتيهم سنويًّا مِن الدولة العُثمانيَّة. رفعت، مرآة الحرمين، ج1، ص 459 ؛محبت، نهلة بنت شحات عمر، الحياة الاجتماعية في ولاية الحجاز زمن الحكم العثماني في الفترة ما بين 923-1157هـ/1517-1744م، رسالة ماجستير، كلية التربية للبنات بالمدينة المنورة، 1423هـ/2002م، ص269؛ مالكي، سليمان عبدالغني وآخرون، الأغوات دراسة لأغوات المسجد الحرام والمسجد النبوي الشريفين دراسة تاريخية حضارية، (مكة المكرمة، مركز أبحاث الحج)، ص24.

(9) شيخ الحرم المدني: كان منصبُ شيخ الحرم النبوي مِن المناصب المهمة في الجهاز الإداري والعسكري في الحجاز؛ إذ كان يمثل السلطان العثماني، وكان تحت إمرته خمسمائة جندي. هريدي، محمد، شؤون الحرمين الشريفين في العهد العثماني في ضوء الوثائق التركية العثمانية، (القاهرة، دار الزهراء للنشر) الطبعة الأولى، 1410هـ/1989م،ص31.

(10) الشهري، محمد هزاع، المسجد النبوي الشريف في العصر العثماني 923-1344هـ دراسة تاريخية معمارية، (القاهرة، دار القاهرة)، الطبعة الأولى، 2003م، ص351.

(11) أحمد الأول بن محمد الثالث بن مراد الثالث بن سليم الثاني بن سليمان القانوني بن سليم الأول، ولد سنة 998هـ/1590م، استمرت مدة حكمه أربع عشرة سنة وأربعة أشهر، كان صاحب خيرات لأهالي الحرمين فخصص لهم وقفاً بمصر، وفي سنة 1022هـ/1613م أرسل حسن المعمار لعمارة عين مكة، وأصلح بعض الإصلاحات في الكعبة المشرفة، استمر في الحكم حتى توفي في سنة 1027هـ/1618م. الطبري، علي بن عبدالقادر، الأرج المسكي في التاريخ المكي وتراجم الملوك والخلفاء، تحقيق: أشرف أحمد الجمّال، (مكة المكرمة، المكتبة التجارية)، الطبعة الأولى، 1416هـ/1996م، ص225.

(12) الشهري، محمد هزاع، المسجد النبوي الشريف في العصر العثماني، ص351.

(13) الشهري، محمد هزاع، المرجع السابق، ص351-352.

(14) الشهري، المسجد النبوي الشريف في العصر العثماني، ص358.

(15) شاه خاتون: اسم أطلق على العديد من بنات سلاطين الدولة العثمانية منهن شاه خاتون ابنة السلطان سليم الأول زوجة لطفي باشا ، ومنهن شاه سلطان ابنة السلطان سليمان القانوني زوجة حسن باشا أمير أمراء الروملي. ذهبي، محمد، معجم مشاهير النساء، ترجمة وتقديم: محمد حرب، دار البشير، الطبعة الأولى،1441هـ/2020م، ص290.

(16) الديوان الهمايوني: هي دائرة حكومية مرموقة في الدولة العثمانية، وظيفتها مناقشة القضايا السياسية والإدارية والعسكرية والشرعية والمالية وغيرها، وإصدار القرارات بشأنها، وكانت مفتوحة للجميع في الاستماع للشكاوى المقدمة وهي تشبه إلى حد كبير مجلس الوزراء في الوقت الراهن. صابان، سهيل، المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية،(الرياض، مكتبة الملك فهد الوطنية)،1421هـ/2000م،ص120.

(17) مهمة دفتري 7ص 676 حكم 1877 حول الادعاء بقيام شيخ الحرم المدني برفع شمعدان السلطان سليمان القانوني من الروضة النبوية الشريفة ووضع سراج شاه خاتون بدلاً منه والأمر بالتحقيق. نقلا عن بيات، فاضل، البلاد العربية في الوثائق العثمانية،(إسطنبول، مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية) 2015م، مج4، ص65.

(18) تأمّر أحمد باشا على مصر من عام (999هـ/ 1591م) حتى عام (1003هـ/ 1595م)، كانت له العديد من المآثر منها السحابة الأحمدية لحمل الماء والمنقطعين من الحجاج، وله العديد من الأوقاف.الشلبي، أحمد شلبي عبد الغني الحنفي، أوضح الإشارات فيمن تولى مصر والقاهرة من الوزراء والباشات، تحقيق: عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم، (القاهرة، دار الكتاب الجامعي)، الطبعة الثانية، 1994م، ص70.

(19) الكباشي، أنعم محمد، المدينة المنورة في النصف الثاني من القرن العاشر الهجري السادس عشر الميلادي وفقًا للوثائق العثمانية، (المدينة المنورة، مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة)، 1436هـ، ص27.

(20) هريدي، شؤون الحرمين الشريفين في العهد العثماني، ص106-109.

(21) محمد الحسيني: هو محمد بن جامع الحسيني، يرجع نسبه إلى الحسين بن علي بن أبي طالب، كان أميرًا على المدينة حتى سنة 933هـ/1527م وبعد حادثة النهب التي وقعتْ عزَلَهُ أمير مكة الشريف أبو نمي، وولى المدينة لابن عمته باز بن فارس بن شامان الحسيني. ابن فهد، جار الله محمد بن النجم بن فهد المكي، نيل المنى بذيل بلوغ القرى لتكملة إتحاف الورى، تحقيق: محمد الحبيب الهيلة، (مكة المكرمة، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي) الطبعة الأولى، 1420هـ/2000م، ق1، ص412؛ العنقاوي، أحمد ضياء بن محمد قلي، موسوعة أعلام الأشراف في بلاد الحرمين منذ عهد النبوة حتى وفيات القرن الخامس عشر الهجري، (القاهرة، دار القاهرة)، الطبعة الأولى، 1437هـ/2016م، ج3، ص65-66.

(22) ابن فهد، نيل المنى، ج1، ص412.

(23) أحمد بن غالب: هو الشريف أحمد بن غالب بن محمد بن سعود بن حسن بن أبي نُمَي محمد بن بركات بن حسن بن عجلان بن رميثة، ولي إمارة مكة في سنة 1099هـ/1688م وقع بينه وبين الأشراف من آل زيد خلاف انتهى بتغلبهم عليه فاعتزل الإمارة وخرج إلى اليمن حكم المخلاف السليماني نحو أربع سنوات ثم عاد إلى الحجاز في سنة 1105هـ/1694م ثم سافر إلى تركيا، وتُوُفِّي هناك في سنة 1106هـ/1694م، كانتْ مدة إمارته على مكة سنة وتسعة أشهر. السنجاري، علي بن تاج الدين بن تقي الدين، مَنائِح الكرَم في أخبار مكة والبيت وولاة الحرَم، تحقيق: ماجدة فيصل زكريا، (جامعة أم القرى، مركز إحياء التراث) الطبعة الأولى، 1419هـ/1998م،ج5، ص62؛ جارشلي، إسماعيل حقي، أشراف مكة المكرمة وأمرائها في العهد العثماني، ترجمه عن اللغة التركية: خليل علي مراد، (بيروت، الدار العربية للموسوعات)، الطبعة الأولى، 1424هـ/2003م، ص160-162؛ العنقاوي، موسوعة أعلام الأشراف، ج1، ص90.

(24) جارشلي، أشراف مكة، ص161؛ صبري، أيوب، موسوعة مرآة الحرمين الشريفين وجزيرة العرب، ترجمة: ماجدة مخلوف، (القاهرة، دار الآفاق العربية)،1424هـ/2004م، ج3، ص353-354.

(25) أرشيف رئاسة مجلس الوزراء ـ تركيا، تصنيف 1084/BOA.DVNS.d 408 في 4 شعبان 973هـ الموافق 24 فبراير 1566م.

(26) محمد الرابع بن إبراهيم : هو السلطان محمد الرابع بن إبراهيم بن أحمد بن محمد الثالث، ولد في سنة 1049هـ/1639م، وحكم خلال الفترة 1058هـ/1648م حتى عام 1095هـ/1683م، في عهده ثار الإنكشارية وخلعوه عن العرش، وولي بدلاً منه أخوه سليمان توفي في سنة 1104هـ/1693م. حليم، إبراهيم بك، تاريخ الدولة العمانية، المعروف بكتاب: التحفة الحليمية في تاريخ الدولة العلية، (بيروت، مؤسسة الكتب الثقافية)، الطبعة الأولى، 1408هـ/1988م، ص141-146

(27) سليمان الثاني: هو السلطان سليمان الثاني ابن السلطان إبراهيم، ولد في سنة 1052هـ/1642م، تولى الحكم سنة 1099هـ/1687م بعد خلع السلطان محمد الرابع، وفي عهده حاربت الدولة العثمانية النمسا واستردت ما انتزعته منها من مناطق، توفي في سنة 1102هـ/1691م. آصاف، يوسف بك، تاريخ سلاطين بني عثمان، تقديم: محمد زينهم محمد عرب، (القاهرة، مكتبة مدبولي)، الطبعة الأولى، 1415هـ/1995م،ص 107-108.

(28) الشهري، حافظ عبدالعزيز، مجتمع المدينة المنورة خلال القرن الحادي عشر الهجري/ السابع عشر الميلادي دراسة تاريخية، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب، جامعة الملك سعود، 1443هـ/2021م، ص81.

(29) حسين الأول: الشاه حسين بن سليمان الصفوي حكم خلال الفترة من سنة1105هـ إلى 1135هـ الموافق 1694 إلى 1722م، اتصف بضعف النفس والانزواء والابتعاد عن المجتمع، مما جعل والده ينتخب ابنه الأصغر عباس مرزا ليخلفه في الحكم، وصل إلى الحكم بمساعدة بعض الأمراء والقادة، عانت الدولة في عهده من الغزو الأفغاني، كما اتبع الشاه سياسة مذهبية متعسفة ضد الأفغان؛ مما تسبب في اندلاع الثورات، وقد تدهورت الأوضاع السياسية والاقتصادية في عهده، انتهى عهده بالتنازل عن العرش بعد أن سقطت أصفهان في أيدي القوات الأفغانية. طقوش، محمد سهيل، تاريخ الدولة الصفوية في إيران، (بيروت، دار النفائس)، الطبعة الأولى، 1430هـ/2009م، ص228-233.

(30) العاملي، رضي الدين بن محمد بن علي بن حيد، تنضيد العقود السنية بتمهيد الدولة الحسنية، تحقيق: السيد مهدي الرجائي، (قم، معهد الدراسات لتحقيق دراسات أنساب الأشراف)، ج2، ص37.

(31) محمد آغا: شيخ الحرم النبوي وقد صدر فرمان بعزله وعزل نائبه في سنة 1119هـ/1707م بعد حادثة سرقة الشمامة، وبسجنه لتفريطه في إدارة شؤون الحرم النبوي بعد سرقة شمامة الحجرة النبوية وبقي في الحبس هو ونائبه إلى سنة 1123هـ/1711م ثم جاءهم العفو وأطلق سراحهم. السنجاري، مَنائِح الكرَم، ج5، ص433، 435، 439؛ الأنصاري، عبدالرحمن بن عبدالكريم، تحفة المحبين والأصحاب في معرفة ما للمدنيين من الأنساب، تحقيق: محمد العروسي المطوي، (تونس، المكتبة العتيقة) الطبعة الأولى، 1390هـ/1970م، ص63.

(32) أرشيف رئاسة مجلس الوزراء ـ تركيا، تصنيف 94/A.DVNS.MSR.MHM.d 1، دفتر مهمة مصر رقم 1، حكم رقم 94، ص 47، تاريخ: أواخر رجب سنة 1121هـ الموافق اكتوبر 1709م

(33) هو عمر بن علي السمهودي المدني الشافعي: وُلِد في المدينة سنة 1085هـ/1674م ونشأ بها، اشتغل بطلب العلم وأصبح مفتي الشافعية، وأحد الخطباء والأئمة بالمسجد النبوي، وقد امتحن بالخروج من المدينة المنورة بالفرمان السلطاني ثم عاد إليها، وكان صاحب ثروة، تُوُفِّي في المدينة في سنة 1158هـ/1746م ودفن في البقيع. الأنصاري، تحفة المحبين، ص63 ؛الهيلة، محمد الحبيب، التاريخ والمؤرخون بالمدينة المنورة من العصر الأموي إلى القرن الرابع عشر الهجري، (المدينة المنورة، مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة)، 1436هـ، ص180.

(34) مصطفى خان الثاني: السلطان مصطفى الثاني بن محمد الرابع بن إبراهيم بن أحمد الأول، ولد في عام 1074هـ/1664م، درس على أشهر علماء عصره، ومهر في تعلم الخط، وتولى الحكم في عام 1106هـ/ 1695م، وفي عهده حاصرت الروس قلعة أزاق فاستولت عليها، وأخذت الدول الأجنبية معاداتها في الدولة العثمانية، وفي عهده احتكر بعض العلماء المناصب الدينية، واستمر في حكمه إلى سنة 1115هـ/1703م، حيث قام بالتنحي عن الحكم، وتُوُفِّي في نفس العام. المحامي، محمد فريد بك، تاريخ الدولة العلية العثمانية،، ص308-311؛ حليم، إبراهيم بك، التحفة الحليمية في تاريخ الدولة العلية، ص147-150؛ آصاف، يوسف بك، تاريخ سلاطين بني عثمان، 98-99

(35) السمهودي، عمر، كسر الشمامة للشيخين أبي بكر وعمر كرامة، تحقيق: أحمد فريد المزيدي، (القاهرة، دار الحقيقة للبحث العلمي)، الطبعة الأولى، 1430هـ/2009م، ص13.

(36) أحمد الثالث: هو السلطان أحمد الثالث بن محمد الرابع بن إبراهيم بن أحمد الأول، ولد في عام 1084هـ/1674م، وتولى الحكم في عام 1115هـ/1703م، واستمر في الحكم حتى تنازل عن الحكم لأخيه محمود الأول في عام 1143هـ/1730م، وفي عهده بُنيت أول سفينة ذات ثلاث طوابق، وأنزلت إلى مياه القرن الذهبي، وفي عهده تم إدخال المطبعة وتأسيس دار للطباعة في إسطنبول، واسترجاع إقليم المورة، وفتح عدة ولايات من مملكة العجم، ولبث بعد ذلك نحو ست سنوات ثم تُوُفِّي في عام 1149هـ/1736م. حليم، التحفة الحليمية في تاريخ الدولة العلية، ص151-157؛ آصاف، تاريخ سلاطين بني عثمان، ص100-102.

(37) 37 () دار العشرة: كانتْ تُعرف بدار عبدالله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما، وتقع أمام القبلة ما بين المحراب والمنارة الرئيسية لمن هم خارج الشارع. البرزنجي، جعفر بن إسماعيل، نزهة الناظرين في مسجد الأولين والآخرين، تحقيق: أحمد سعيد بن سلم، (القاهرة، دار الرفاعي) د،ط، ص126؛ موسى، علي، رسالة في وصف المدينة سنة 1303هـ/1885م، دراسة وتحقيق: حمد الجاسر، (الرياض، دار اليمامة)، ص6.

(38) السمهودي، عمر، كسر الشمامة، ص12-13.

(39) السنجاري، منائح الكرم، ج5، ص433.

(40) أرشيف رئاسة مجلس الوزراء ـ تركيا، تصنيف C.HR 129/6430تاريخ: أوائل رجب 1118هـ/ 1706م.

(41) قبة الزيت: تقع في وسط صحن الحرم النبوي الشريف يحيط بها أربعة جدران، وبابها يفتح إلى الشرق، كانت تُحفظ بها زيوت المصابيح، وقد أزيلت هذه القبة في سنة 1294هـ/1877م خلال عمارة السلطان عبدالمجيد خان للمسجد النبوي. جلبي، أوليا، الرحلة الحجازية، ترجمها عن التركية وقدم لها: الصفصافي أحمد المرسى، (القاهرة، دار الآفاق العربية)، د.ت، ص119؛ النابلسي، عبد الغني بن إسماعيل، الحقيقة والمجاز في الرحلة إلى بلاد الشام ومصر والحجاز، تقديم: أحمد عبدالمجيد هريدي، (القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب) 1407هـ/1986م، ص344؛ البرزنجي، تاريخ المسجد النبوي المسمى نزهة الناظرين، ص93.

(42) سليمان باشا:.نشأ في إدارة المابين في القصر السلطاني، ثم تعين والياً على جدة في سنة 1111هـ/1700م، وفي سنة 1116هـ/ 1704م منح رتبة الوزارة، وتعين واليا على مصر، تعين واليا على مدينة جدة للمرة الثانية، في سنة 1118هـ/1706مصار أميرا للحاج ووالياً على الشام ، وعزل في شهر جماد الأول سنة 1119هـ/ 1707م ، وتعين واليا على مدينة وان، توفي سنة 1119هـ/ 1707م . محمد ثريا بك، أخبار الحرمين الشريفين وولاية الحجاز في السجل التاريخي العثماني، ترجمة: هشام عجيمي، (د، ت) ص289.

(43) غيطاس بك: مملوك إبراهيم بك ذي الفقار، وكان كردي الأصل، تولى الدفترايةلمدة أربع سنوات وعزل عنها، ثم تولى إمارة الحج سنة 1117هـ/1705م واستمر بها حتى عام 1121هـ/1709م، ثم عزل عنها حتى 1124هـ، عين مرة أخرى على إمارة الحج ثم عزل وقتل في سنة 1126هـ/1714م على يد والي مصر عابدي باشا، وذلك بسبب أن إسماعيل بك أمير الحاج كان يضمر السوء لغيطاس بك لاحتكاره منصب إمارة الحاج فسعى لدى والي مصر عابدي باشا بعد أن لفق له تهمة، وبالفعل أمر الباشا بقتله، وادَّعَى أن قتله تنفيذًا لأمر سلطاني وهي بالأساس لا تخرج عن المنافسات في منصب الإمارة. الدمرداشي، الأمير أحمد، كتاب الدرة المصانة، تحقيق: عبدالرحيم عبدالرحمن عبدالرحيم، (القاهرة، دار الكتاب الجامعي)، ص76؛الرشيدي، أحمد، حسن الصفا والابتهاج بذكر من ولى إمارة الحاج، تحقيق: ليلى عبد اللطيف أحمد،(القاهرة، مكتبة الخانجي)، 1980م، ص212؛الجبرتي، عبدالرحمن، عجائب الآثار في التراجم والأخبار، (بيروت، دار الجيل)، د،ت، ج1،ص155-156.

(44) السنجاري، منائح الكرم، ج5، ص433-434.

(45) السنجاري، منائح الكرم، ج5، ص434-435.

(46) السمهودي، كسر الشمامة، ص16.

(47) العياشي، عبدالله بن محمد، الرحلة العياشية للبقاع الحجازية المسمى ماء الموائد، تحقيق: أحمد فريد المزيدي، (بيروت، دار الكتب العلمية)، الطبعة الأولى، 2001م، مج1، ص299.

(48) أحمد الذروي: ينتسب إلى أشراف صبيا الذين قدموا من الديار اليمنية إلى المدينة المنورة، وكان أول من قدم منهم المدينة المنورة السيد العيدروس اليمني، وسكن في حارة الأغوات حيث أقام له فيها زاوية. الأنصاري، تحفة المحبين، ص243.

(49) السمهودي، كسر الشمامة ، ص16.

(50) السنجاري، منائح الكرم، ج5، ص434.

(51) السمهودي، كسر الشمامة، ص16-18.

(52) عبدالكريم بن محمد: هو الشريف عبدالكريم بن محمد بن يعلى بن أبي نمي، تولى إمرة مكة في سنة 1116هـ/1704م بعد أن تنازل عنها الشريف عبدالمحسن بن أحمد وأجمع على طاعته الجميع، وثارت عليه فتن كثيرة حتى عزل وعاد مراراً إلى خرج إلى مصر فمات فيها بالطاعون سنة 1131هـ/1718م ومدة إمارته ست سنوات وعشرة أشهر. جارشلي، أشراف مكة ،ص167-168

(53) السنجاري، منائحالكرم ، ص435.

(54) السنجاري، منائح الكرم، ج5، 435.

(55) المدرسة الأشرفية: أنشأها السلطان قايتباي عام 844هـ/1479م وأسدى الخيرات إلى أهالي مكة المكرمة وعند عودته إلى مصر أمر وزيره سنقر الجمالي بالذهاب إلى الحجاز لبناء المدرسة في المدينة المنورة، وبالفعل ذهب الوزير المذكور في العام نفسه، وأنشأ هذه المدرسة على المذاهب الأربعة، وبنى بها منارة تتميز بقاعدة مربعة، ولها خوذة على شكل القلة، وظلَّت المدرسة تؤدي دورها في القرن العاشر الهجري حتى سكنها الأشراف من بني غالب، ثم جددها في القرن الثاني عشر الهجري الثامن عشر الميلادي السلطان محمود الأول وأنشأ بجوارها مدرسته المعروفة بالمحمودية.بيومي، محمد علي فهيم، دور مصر في الحياة العلمية في الحجاز إبان العصر العثماني 923-1220هـ/1517-1805م، (القاهرة، دار القاهرة)، الطبعة الأولى، 2006م ص209.

(56) السمهودي، كسر الشمامة، ص21.

(57) محمد الأيوبي: ولد في المدينة المنورة سنة 1090هـ/ 1679م، وبيت الأيوبي نسبة إلى محلة أبي أيوب الأنصاري في إستانبول، قدم والده إلى المدينة في سنة 1080هـ/1670م، وتولى إمامة القلعة السلطانية. الأنصاري، تحفة المحبين ، ص77.

(58) الأنصاري، تحفة المحبين ، ص77.

(59) علي باشا: مدة ولايته خلال الفترة شعبان 1118هـ حتى جمادى الآخر1119هـ الموافق نوفمبر 1706م حتى سبتمر 1707م، وخلال فترة حكمه وقعت فتنة بين العزب والمتفرقة. الشلبي، أوضح الإشارات فيمن تولى مصر والقاهرة من الوزراء والباشات، ص159.

(60) نائب الحرم: هو الشخص الثاني في التسلسل الوظيفي لأغوات المسجد النبوي بعد شيخ الحرم، وعادة ما يرسل من أغوات الباب العالي برتبه عسكرية، من مهامه الإشراف على أوقاف المدينة المنورة، كما يختص بإدخال الشمعدان الذي يوضع عند قبر الرسول صلى الله عليه وسلم، ويمكن أن يقوم بمهام شيخ الحرم عند موته أو نفيه لحين وصول أوامر سلطانية بتعيين شيخ جديد. الشهري، المسجد النبوي، ص383.

(61) سجن القلعة السلطانية: وهي تُعد من أكبر القلاع في المدينة المنورة ومركز القيادة العسكرية، شيدت في عهد السلطان العثماني سليمان القانوني في سنة 945هـ/ 1538م، تقع عند الباب الشامي عند نهاية سور المدينة في الجهة الشمالية الغربية، وشيدت فيها أبراج للمراقبة، وبني بداخلها مساكن للجند وبيت لقائد الحامية، وجُعل لها باب إلى داخل المدينة وآخر إلى خارجها، وهي تشتمل على الحبسويسمى الحبس الكبير، وعلى القاعة التي يجلس بها الحاكم التركي محافظ المدينة يوميًّا للحكم، كما ضمت سجنًا خاصًّا للنساء، فوجد بها باب الحبس المخصص للنساء من أصحاب الجنايات، وباب دار الحكومة والخزنة الديوانية، ومحل المحافظ، ومحل مجلس الإدارة، ومجلس الضباط لمباشرة الأحكام والسياسة، وسجن أصحاب

الجنايات والديون. العميري، نوير مبارك، الجرائم والعقوبات في الحجاز وأثرها في الحياة العامة (923-1218هـ/1517-1803م) دراسة تاريخية، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة القصيم، كلية اللغة العربية والدراسات الاجتماعية، 1443هـ/2022م، ص517

(62) أرشيف رئاسة مجلس الوزراء ـ تركيا، تصنيف A.DVNSMHM.d.115.1469تاريخ أواخر أواسط ربيع الآخر 1119هـ الموافق يوليو 1707م.أرشيف رئاسة مجلس الوزراء ـ تركيا، تصنيف A.DVNSMHM.d.115.1470

(63) أرشيف رئاسة مجلس الوزراء ـ تركيا، تصنيفA.DVNSMHM.d.115.1630تاريخ أواسط ربيع الثاني 1119هـ الموافق يوليو 1707م.

(64) السمهودي، كسر الشمامة، ص22-23.

(65) القابقجي: يطلق على رئيس البوابين في القصر السلطاني، وكان يعد منصباً قيماً من مناصب القصر الهمايوني.صابان، سهيل، المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية، ص171.

(66) السمهودي، كسر الشمامة، ص28.

(67) السمهودي، كسر الشمامة، ص29.

(68) الأحمر: مِن العملات العثمانية التي استُخدِمَتْ في مكة خلال القرن الحادي عشر الهجري/ السابع عشر الميلادي المصنوعة من النحاس الأحمر، وكان يساوي قرشين. العواد، شروق بنت عبدالله بن محمد، الأسواق التجارية في مكة من بداية الحكم العثماني إلى نهاية القرن الحادي عشر ٩٢٣-١١٠٠هـ/١٥١٧-١٦٨٨م، رسالة ماجستير، جامعة القصيم، كلية اللغة العربية والدراسات الاجتماعية، ٢٠١٥م، ص151.

(69) السمهودي، كسر الشمامة، ص30-34.

(70) السمهودي، المصدر السابق، ص35-40.

(71) محمد بن أسعد بن أبي بكر أفندي بن أحمد بن عبد الله الأسكداري: وُلِد في المدينة المنورة سنة 1088هـ/1677م طلب العلم على يد أبيه وغيره من العلماء، تَوَلَّى منصب الإفتاء سنة 1118هـ/1706م حتى سنة 1125هـ/1713م، برع في الطب والجراحة حتى انتفع بعلمه الخاص والعام، مات مطعونًا سنة 1143هـ/1722م.مجهول، تراجم أعيان المدينة، حققه وعلق عليه: محمد التنوجي، (جدة، دار الشروق) الطبعة الأولى، 1404هـ/ 1984م، ص41؛ الأنصاري، تحفة المحبين، ص35-36؛ المرادي، محمد خليل، سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر، تحقيق: أكرم حسن العلبي، (بيروت، دار صادر) الطبعة الثالثة، 2012م، ج4، ص44.

(72) السمهودي، كسر الشمامة، ص41-42.

(73) حسن باشا: تأمّر على مصر من عام (1119هـ/1707م) حتى عام (1121هـ/1709م). الشلبي، أوضح الإشارات، ص162.

(74) أرشيف رئاسة مجلس الوزراء ـ تركيا، تصنيف A.DVNS.MSR.MHM 1/24 دفتر مهمة مصر رقم 1، حكم رقم 24، ص 16، تاريخ: أوائل ربيع الأول سنة 1120هـالموافق يونيو 1708م

(75) أرشيف رئاسة مجلس الوزراء ـ تركيا، تصنيف 38/A.DVNS.MSR.MHM 1، دفتر مهمة مصر رقم 1، حكم رقم 38، ص 21، تاريخ: أواسط ربيع الثاني 1120هـالموافق يونيو 1708م

(76) أرشيف رئاسة مجلس الوزراء ـ تركيا، تصنيف 39/A.DVNS.MSR.MHM 1 ، دفتر مهمة مصر رقم 1، حكم رقم 39، ص 21، تاريخ: أواسط ربيع الثاني 1120هـ الموافق يونيو 1708م

(77) أرشيف رئاسة مجلس الوزراء ـ تركيا، تصنيف 2799/BOA.,IE.DH32 تاريخ أوائل ربيع الأول سنة 1120هـ الموافق مايو 1708م.

(78) سجن قلعة جدة: وهي إحدى القلاع التي اشتهرت في الحجاز خلال العصر العثماني، وعرفت بالقلعة البحرية لوقوعها على شاطئ البحر، ويعود تاريخ بناء القلعة بين عامي 922-923هـ/ 1516-1517م، وقد وصف الرحالة أوليا جلبي خلال رحلته إلى الحجاز عام 1082هـ/ 1671م القلعة بقوله: «والقلعة على شفة القلزم محيطها دائرًا ما دار ألفا خطوة شداد، ثرية البنيان، وعلى الطرف الجنوبي لهذه القلعة، وعلى شاطئ بحر القلزم أيضًا قلعة داخلية وهي متصلة بالقلعة الكبيرة الرئيسية، محيطها الدائري ستمائة خطوة شداد، وهي أيضًا من المباني الصخرية، وجميع الجنود بمن فيهم القائد كانوا يسكنون في هذه القلعة الداخلية، لها بوابة تطل على ناحية الشرق، وبوابة تطل على البحر عرفت ببوابة مكة، باب كل منهما مُكَوَّن من ضلفتين، ووسط القلعة توجد المحكمة» وقد استخدم سجن قلعة جدة لأرباب الجرائم السياسيَّة لبُعد مدينة جدة عن مركز الخلافات التي تحدث في الحجاز إضافة إلى قوة تحصينات جدة ، كما أنها مركز للوالي التركي أو نائبه مما جعلها أكثر أمنًا واستقرارًا. الثقفي، عبد الله بن زاهر، العمارة بمدينة جدة في العصر العثماني 923-1344هـ/1517-1916م، الرياض، دارة الملك عبدالعزيز) 1436هـ/2015م، مج1، ص439.

(79) جلبي، الرحلة الحجازية، ص291

(80) أرشيف رئاسة مجلس الوزراء ـ تركيا، تصنيف 2799/BOA.,IE.DH32 تاريخ أوائل ربيع الأول سنة 1120هـ الموافق مايو 1708م.

(81) أرشيف رئاسة مجلس الوزراء ـ تركيا، تصنيف 2799/BOA.,IE.DH32 تاريخ أوائل ربيع الأول سنة 1120هـ الموافق مايو 1708م.

(82) أرشيف رئاسة مجلس الوزراء ـ تركيا، تصنيف 2799/BOA.,IE.DH32 تاريخ أوائل ربيع الأول سنة 1120هـ الموافق مايو 1708م.

(83) أرشيف رئاسة مجلس الوزراء ـ تركيا، تصنيف 2799/BOA.,IE.DH32 تاريخ أوائل ربيع الأول سنة 1120هـ الموافق مايو 1708م.

(84) أرشيف رئاسة مجلس الوزراء ـ تركيا، تصنيف 26/A.DVNS.MSR.MHM 1، دفتر مهمة مصر رقم 1، حكم رقم 26، ص 17، تاريخ: أوائل ربيع الأول سنة 1120هـ

(85) أرشيف رئاسة مجلس الوزراء ـ تركيا، تصنيف 2806/iE.DH 32، ابن الأمين- داخلية تاريخ أواسط رجب 1121ه الموافق أكتوبر 1709م

(86) **القـرش:** أصلُـه ألمـاني والقـرش قرشـان؛ قـرش صـاغ، وقـرش رائـج، فالقـرش الصـاغ يسـاوي 40 بـارة، والقـرش الرائـج مـن 4 إلى 10 بـارات، وأهـل مكـة يُقسـمون القـرش؛ قـرش صـاغ وهـو 120 ديوانيـة، والقـرش الـشرك وهـو 40 ديوانيـة. آل زيـد، الشريـف مسـعود محمـد، **تاريـخ مكـة في عهـد الأشراف آل زيـد 1041-1299هـ/1631-1881م،** (القاهـرة، دار القاهـرة) الطبعـة الأولى، 2005م، ص174.

(87) أرشـيف رئاسـة مجلـس الـوزراء ـ تركيـا، تصنيـف 94/A.DVNS.MSR.MHM.d 1، دفـتر مهمـة مـصر رقـم 1، حكـم رقـم 94، ص 47، تاريـخ: أواخـر رجـب سـنة 1121هــ الموافـق أكتوبـر 1709م.

(88) العاملي، تنضيد العقود، ج2، ص37.

(89) السنجاري، منائح الكرم، ج5، ص433-434.

(90) نـواب، عواطـف بنـت محمـد يوسـف، كتـب الرحـلات في المغـرب الاقـصى مصـدر مـن مصـادر تاريـخ الحجـاز في القرنـين الحـادي عـشر والثـاني عـشر الهجريـين دراسـة تحليليـة نقديـة مقارنـة،(الريـاض، دارة الملـك عبدالعزيـز)، 1429هـ ،ص476.

(91) السمهودي، كسر الشمامة، ص37.

(92) أرشـيف رئاسـة مجلـس الـوزراء ـ تركيـا، تصنيـف 2799/BOA.,IE.DH32 تاريـخ أوائـل ربيـع الأول سـنة 1120هــ الموافق مايـو 1708م.

(93) أرشـيف رئاسـة مجلـس الـوزراء ـ تركيـا، تصنيـف 94/A.DVNS.MSR.MHM.d 1، دفـتر مهمـة مـصر رقـم 1، حكـم رقـم 94، ص 47، تاريـخ: أواخـر رجـب سـنة 1121هــ الموافـق أكتوبـر 1709م.

(94) السمهودي، كسر الشمامة، ص28.

(95) أرشـيف رئاسـة مجلـس الـوزراء ـ تركيـا، تصنيـف 2799/BOA.,IE.DH32 تاريـخ أوائـل ربيـع الأول سـنة 1120هــ الموافق مايـو 1708م.

(96) السمهودي، **كسر الشمامة،** ص29.

المصادر والمراجع:

الوثائق:

(1) أرشيف رئاسة مجلس الوزراء ـ تركيا، تصنيف 1084/BOA.DVNS.d 408 في 4 شعبان 973هـ الموافق 24 فبراير 1566م.

(2) أرشيف رئاسة مجلس الوزراء ـ تركيا، تصنيف 6430/C.HR 129 تاريخ: أوائل رجب 1118هـ/ 1706م.

(3) أرشيف رئاسة مجلس الوزراء ـ تركيا، تصنيف 94/A.DVNS.MSR.MHM.d 1، دفتر مهمة مصر رقم 1، حكم رقم 94، ص 47، تاريخ: أواخر رجب سنة 1121هـالموافق أكتوبر 1709م

(4) أرشيف رئاسة مجلس الوزراء ـ تركيا، تصنيف A.DVNSMHM.d.115.1469تاريخ أواخر أواسط الثاني 1119هـ الموافق يوليو 1707م

(5) أرشيف رئاسة مجلس الوزراء ـ تركيا، تصنيف 2799/BOA.,IE.DH32 تاريخ أوائل ربيع الأول سنة 1120هـ الموافق مايو 1708م.

(6) أرشيف رئاسة مجلس الوزراء ـ تركيا، تصنيف A.DVNSMHM.d.115.1630 تاريخ أواسط ربيع الثاني 1119هـ الموافق يوليو 1707م.

(7) أرشيف رئاسة مجلس الوزراء ـ تركيا، تصنيف A.DVNSMHM.d.115.1470 في أواسط ربيع الآخر 1119هـ الموافق يوليو 1707م.

(8) (8) أرشيف رئاسة مجلس الوزراء ـ تركيا، تصنيف 26/A.DVNS.MSR.MHM 1، دفتر مهمة مصر رقم 1، حكم رقم 26، ص 17، تاريخ: أوائل ربيع الأول سنة 1120هـ الموافق مايو 1708م

(9) (9) أرشيف رئاسة مجلس الوزراء ـ تركيا، تصنيف 24/A.DVNS.MSR.MHM 1 دفتر مهمة مصر رقم 1، حكم رقم 24، ص 16، تاريخ: أوائل ربيع الأول سنة 1120هـالموافق يونيو 1708م

(10) (10) أرشيف رئاسة مجلس الوزراء ـ تركيا، تصنيف 39/A.DVNS.MSR.MHM 1 ، دفتر مهمة مصر رقم 1، حكم رقم 39، ص 21، تاريخ: أواسط ربيع الثاني 1120هـالموافق يونيو 1708م

(11) أرشيف رئاسة مجلس الوزراء ـ تركيا، تصنيف 38/A.DVNS.MSR.MHM 1، دفتر مهمة مصر رقم 1، حكم رقم 38، ص 21، تاريخ: أواسط ربيع الثاني 1120هـ.

(12) (12) أرشيف رئاسة مجلس الوزراء ـ تركيا، تصنيف 2806/iE.DH 32، ابن الأمين- داخلية تاريخ أواسط رجب 1121هـ الموافق سبتمبر 1709م.

المصادر والمراجع:

(1) جارشلي، إسماعيل حقي، أشراف مكة المكرمة وأمرائها في العهد العثماني، ترجمه عن اللغة التركية: خليل علي مراد، بيروت، الدار العربية للموسوعات، الطبعة الأولى، 1424هـ/2003م.

(2) ابن فهد، جار الله محمد بن النجم بن فهد المكي، نيل المنى بذيل بلوغ القرى لتكملة إتحاف الورى، تحقيق: محمد الحبيب الهيلة، مكة المكرمة، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، الطبعة الأولى، 1420هـ/2000م.

(3) آصاف، يوسف بك، تاريخ سلاطين بني عثمان، تقديم: محمد زينهم محمد عرب، القاهرة، مكتبة مدبولي، الطبعة الأولى، 1415هـ/1995م.

(4) الأنصاري، عبدالرحمن بن عبدالكريم، تحفة المحبين والأصحاب في معرفة ما للمدنيين من الأنساب، تحقيق: محمد العرويسي المطوي، تونس، المكتبة العتيقة، الطبعة الأولى، 1390هـ/1970م، ص63.

(5) البرزنجي، جعفر بن إسماعيل، نزهة الناظرين في مسجد الأولين والآخرين، تحقيق: أحمد سعيد بن سلم، القاهرة، دار الرفاعي،د،ط،.

(6) بيات، فاضل، البلاد العربية في الوثائق العثمانية، إسطنبول، مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية، 2015م.

(7) بيومي، محمد علي فهيم، دور مصر في الحياة العلمية في الحجاز إبان العصر العثماني 923-1220هـ/1517-1805م، القاهرة، دار القاهرة، الطبعة الأولى، 2006م.

(8) الثقفي، عبد الله بن زاهر، العمارة بمدينة جدة في العصر العثماني 923-1344هـ/1517-1916م، الرياض، دارة الملك عبدالعزيز) 1436هـ/2015م.

(9) الجبرتي، عبدالرحمن، عجائب الآثار في التراجم والأخبار، (بيروت، دار الجيل)، د،ت.

(10) جلبي، أوليا، الرحلة الحجازية، ترجمها عن التركية وقدم لها: الصفصافي أحمد المرسى، القاهرة، دار الآفاق العربية، د.ت.

(11) الحسيني، محمد كبريت عبدالله، الجواهر الثمينة في محاسن المدينة، تحقيق: عائض بن بنية سالم الردادي، ،الرياض، النادي الأدبي بالرياض، الطبعة الثانية، 1435هـ/2013م.

(12) حليم، إبراهيم بك، تاريخ الدولة العمانية، المعروف بكتاب: التحفة الحليمية في تاريخ الدولة العلية، بيروت، مؤسسة الكتب الثقافية، الطبعة الأولى، 1408هـ/1988م.

(13) الدمرداشي، الأمير أحمد، كتاب الدرة المصانة، تحقيق: عبدالرحيم عبدالرحمن عبدالرحيم، القاهرة، دار الكتاب الجامعي.

(14) ذهبي، محمد، معجم مشاهير النساء، ترجمة وتقديم: محمد حرب، دار البشير، الطبعة الأولى، 1441هـ/2020م

(15) الرشيدي، أحمد، حسن الصفا والابتهاج بذكر من ولى إمارة الحاج، تحقيق: ليلى عبد اللطيف أحمد،(القاهرة، مكتبة الخانجي)، 1980م.

(16) رفعت، إبراهيم، مرآة الحرمين الرحلات الحجازية والحج ومشاعره الدينية، القاهرة، مكتبة الثقافة الدينية، الطبعة الثانية، 1434هـ/2013م.

(17) السمهودي، عمر، كسر الشمامة للشيخين أبي بكر وعمر كرامة، تحقيق: أحمد فريد المزيدي، القاهرة، دار الحقيقة للبحث العلمي، الطبعة الأولى، 1430هـ/2009م.

(18) السنجاري، علي بن تاج الدين بن تقي الدين، مَنائِح الكرَم في أخبار مكة والبيت وولاة الحرَم، تحقيق: ماجدة فيصل زكريا، جامعة أم القرى، مركز إحياء التراث، الطبعة الأولى، 1419هـ/1998م.

(19) شعبان، أحمد محمد، الروضة الشريفة، الطبعة الأولى، 1433هـ.

(20) الشلبي، أحمد شلبي عبد الغني الحنفي، أوضح الإشارات فيمن تولى مصر والقاهرة من الوزراء والباشات، تحقيق: عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم، القاهرة، دار الكتاب الجامعي، الطبعة الثانية، 1994م

(21) الشهري، حافظ عبدالعزيز، مجتمع المدينة المنورة خلال القرن الحادي عشر الهجري/ السابع عشر الميلادي دراسة تاريخية، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب، جامعة الملك سعود، 1443هـ/2021م.

(22) الشهري، محمد هزاع، المسجد النبوي الشريف في العصر العثماني 923-1344هـ دراسة تاريخية معمارية، القاهرة، دار القاهرة، الطبعة الأولى، 2003م.

(23) صابان، سهيل، المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية، الرياض، مكتبة الملك فهد الوطنية، 1421هـ/2000م.

(24) صبري، أيوب، موسوعة مرآة الحرمين الشريفين وجزيرة العرب، ترجمة: ماجدة مخلوف، القاهرة، دار الآفاق العربية،1424هـ/2004م.

(25) الطبري، علي بن عبدالقادر، الأرج المسكي في التاريخ المكي وتراجم الملوك والخلفاء، تحقيق: أشرف أحمد الجمّال، مكة المكرمة، المكتبة التجارية، الطبعة الأولى، 1416هـ/1996م.

(26) طقوش، محمد سهيل، تاريخ الدولة الصفوية في إيران، بيروت، دار النفائس، الطبعة الأولى، 1430هـ/2009م.

(27) العاملي، رضي الدين بن محمد بن علي بن حيد، تنضيد العقود السنية بتمهيد الدولة الحسنية، تحقيق: السيد مهدي الرجائي، قم، معهد الدراسات لتحقيق دراسات أنساب الأشراف، ج2.

(28) العميري، نوير مبارك، الجرائم والعقوبات في الحجاز وأثرها في الحياة العامة (923-1218هـ/1517-1803م) دراسة تاريخية، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة القصيم، كلية اللغة العربية والدراسات الاجتماعية، 1443هـ/2022م.

(29) العنقاوي، أحمد ضياء بن محمد قلي، موسوعة أعلام الأشراف في بلاد الحرمين منذ عهد النبوة حتى وفيات القرن الخامس عشر الهجري، القاهرة، دار القاهرة، الطبعة الأولى، 1437هـ/2016م.

(30) العواد، شروق بنت عبدالله بن محمد، الأسواق التجارية في مكة من بداية الحكم العثماني إلى نهاية القرن الحادي عشر ٩٢٣-١١٠٠هـ/١٥١٧-١٦٨٨م، رسالة ماجستير، جامعة القصيم، كلية اللغة العربية والدراسات الاجتماعية، ٢٠١٥م

(31) العياشي، عبدالله بن محمد، الرحلة العياشية للبقاع الحجازية المسمى ماء الموائد، تحقيق: أحمد فريد المزيدي، بيروت، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، 2001م

(32) فريد بك، محمد، الدولة العلية العُثمانيَّة، تحقيق: إحسان حقي، بيروت، دار النفائس، د، ت.

(33) الكباشي، أنعم محمد، المدينة المنورة في النصف الثاني من القرن العاشر الهجري السادس عشر الميلادي وفقًا للوثائق العثمانية، المدينة المنورة، مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة، 1436هـ.

(34) مالكي، سليمان عبدالغني وآخرون، الأغوات دراسة لأغوات المسجد الحرام والمسجد النبوي الشريفين دراسة تاريخية حضارية، مكة المكرمة، مركز أبحاث الحج.

(35) مجهول، تراجم أعيان المدينة، حققه وعلق عليه: محمد التنوجي، جدة، دار الشروق، الطبعة الأولى، 1404هـ/ 1984م.

(36) محبت، نهلة بنت شحات عمر، الحياة الاجتماعية في ولاية الحجاز زمن الحكم العثماني في الفترة ما بين 923-1157هـ/1517-1744م، رسالة ماجستير، كلية التربية للبنات بالمدينة المنورة، 1423هـ/2002م.

(37) محمد ثريا بك، أخبار الحرمين الشريفين وولاية الحجاز في السجل التاريخي العثماني، ترجمة: هشام عجيمي، (د، ت).

(38) المرادي، محمد خليل، سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر، تحقيق: أكرم حسن العلبي، بيروت، دار صادر، الطبعة الثالثة، 2012م.

(39) (39) مصطفى، إبراهيم وآخرون، المعجم الوسيط، القاهرة، مجمع اللغة العربية، الطبعة الثالثة، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م.

(40) موسى، علي، رسالة في وصف المدينة سنة 1303هـ/1885م، دراسة وتحقيق: حمد الجاسر، الرياض، دار اليمامة، د،ت

(41) النابلسي، عبد الغني بن إسماعيل، الحقيقة والمجاز في الرحلة إلى بلاد الشام ومصر والحجاز، تقديم: أحمد عبدالمجيد هريدي، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1407هـ/1986م.

(42) النهروالي، قطب الدين محمد بن أحمد المكي، تاريخ مكة المسمى بالإعلام بأعلام بيت الله الحرام من تواريخ مكة المشرفة، القاهرة، المكتبة الأزهرية، 1435هـ/2014م.

(43) نـواب، عواطـف بنـت محمـد يوسـف، كتـب الرحـلات في المغـرب الاقـصى مصـدر مـن مصـادر تاريـخ الحجـاز في القرنـين الحـادي عـشر والثـاني عـشر الهجريـين دراسـة تحليليـة نقديـة مقارنـة، الريـاض، دارة الملـك عبدالعزيـز، 1429هـ.

(44) هريـدي، محمـد، شـؤون الحرمـين الشريفـين في العهـد العثـماني في ضـوء الوثائـق التركيـة العثمانيـة، القاهـرة، دار الزهـراء للنـشر، الطبعـة الأولى، 1410هـ/1989م.

(45) الهيلـة، محمـد الحبيـب، التاريـخ والمؤرخـون بالمدينـة المنـورة مـن العـصر الأمـوي إلى القـرن الرابـع عـشر الهجـري، المدينـة المنـورة، مركـز بحـوث ودراسـات المدينـة المنـورة، 1436هـ.

طريق جبل كرا بالطائف دراسة تاريخية تحليلية
(923 - 1436هـ/1517 - 2015م)

د. حنان بنت عبيد عبد الله الجدعاني

أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر المساعد - قسم التاريخ
كلية الشريعة والدراسات الإسلامية- جامعة أم القرى

المستخلص:

يتناول البحث طريق جبال كرا الذي يمثل المنفذ الغربي لمدينة الطائف إلى مكة المكرمة. وتهدف إلى بيانأهمية هذا الطريق الحيوي الذي يربط بين مدينتين رئيستين في الحجاز، وتناولت المعاني والاختلافات اللغوية في اللفظ ومعناها وترجيح المشهور منها، كما توضح الدراسة الطبيعة الجغرافية لهذا الجبل ووصفه من خلال كتب الرحلات والمعاجم الجغرافية، وتبين الدراسة الوضع الإداري لجبل كرا وقرية الهدا التي تقع في قمته.وتهدف الدراسة إلى بيان الدور الزراعي لجبل كرا وأهميته اقتصاديا في المنطقة، وكذلك أهمية موقعه السياحينظراً لما يتميز من أجواء معتدلة في مناطق حارة. كما توضح الدراسة أهمية منابع المياه في المنطقة كالمياه والعيون النابعة من جبل كرا، وتتعرض الدراسة إلى الاستراحات والمقاهي التي كانت محطات للقوافل المارة بهذا الجبل وكانت نقاط ارتكاز لها وتناولها الرحالة بكثير من التفاصيل. وأهمية الدراسة أنها تسلط الضوء على مدى ما حظي به هذا الجبل من اهتمامالحكام المسلمين عبر العصور التاريخية لتهيئته للمسافرين حيث تم رصف أحجاره وصخوره للتغلب على مشقة الطريق،كما تتناول الدراسة جهود المملكة العربية السعودية في مواصلة الاهتمام بهذا الطريق وتطويره وإنفاذ المشاريع العملاقة به، وتتطرق إلى اهتمام ملوك المملكة العربية السعودية بهذا الطريق وما بذلوه فيه من اهتمام كبير. واستخدمت الدراسة منهجا تاريخياً تحليلاً يتناول وصف الطريق وذكر ما كتب عنه في كتب المعاجم والرحلات. وأشارت الدراسة إلى أهمية لهذا الجبل في الحجاز كونه يحتل موقعاً سياحياً وزراعياً في أرضٍ صحراوية، فضلا عن كونه معبراً لقوافل الحج والتجارة بين مدينتي الطائف ومكة المكرمة. ثم خاتمة بأهم نتائج وتوصيات البحث والدراسة، يليها قائمة بالمصادر والمراجع.

الكلمات المفتاحية:جبل كرا، الطائف، المعسل، الزراعة، السياحة، المياه، المقاهي.

Mount Kara Road in Taif
Cultural historical study
(923 - 1436AH / 1517 - 2015AD)

Dr. Hanan Obaed Al jedaani - Assistant Professor of Modern and Contemporary History - History department- college of shariah and islamic studies Umm al-qura university

Abstract:

The study deals with the Kara Mountain's Road, which represents the gateway of the city of Taif to Makkah. The study aims to view the importance of this vital road that connects two major cities in the Hijaz, and dealt with the meanings and linguistic differences in the term and its meaning and the weighting of the most popular ones. The study also shows the geographical nature of this mountain and its description through travel books and geographical dictionaries, the study shows the administrative status of Mount Kara and the village of Al-Hada, which is located at its top.The study aims to show the agricultural role of Mount Kara and its economic importance in the region, as well as the importance of its touristic location due to its moderate climate in hot areas. The study also shows the importance of water sources in the region, such as water and springs emanating from Mount Kara, and the study is exposed to rest houses and cafes that were stations for convoys passing by this mountain and were their focal points and were dealt with by travelers in many details.The importance of the study is that it highlights the extent to which this mountain enjoyed the attention of Muslim rulers throughout historical times to prepare it for travelers, as its stones and rocks were paved to overcome the hardship of the road. The study also deals with the efforts of the Kingdom of Saudi Arabia in continuing to pay attention to this road, its development and the implementation of mega projects in it. The study deals with the interest of the kings of the Kingdom of Saudi Arabia in this path and the great interest they have paid in it. The study used a historical analytical method that deals with describing the road and mentioning what was

written about it in dictionaries and travel books. The study indicated the importance of this mountain in the Hijaz as it occupies a tourist and agricultural site in a desert land, in addition to being a crossing point for pilgrimage convoys and trade between the cities of Taif and Makkah. Then a conclusion with the most important results of the research and study, followed by a list of sources and references.

Keywords: Kara Mountain, Taif, al moassal, agriculture, tourism, water, cafes.

مقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الخلق والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد:

يعد رصف الطرقات وتسهيل حركة التنقل من أهم ما تميزت به الحضارة الإسلامية، في شأن الخدمات العامة، لتيسير الترحال والسفر لأغراض للتجارة والحج وغيرها، ويمثل طريق جبال كرا صورة من جهود الدول الإسلامية في فتح الطرق وتيسير السفر والترحال على المسافرين والقوافل. وتناول هذا البحث موضوعاً عن طريقجبل كرا بالطائف (923- 1436هـ/ 1517-2015م) دراسة تاريخية تحليليةوأهمية الدراسة تتمثل في كون هذا الطريق نقطة اتصال بين المدينتين الرئيستين في الحجاز، ومنفذاً رئيسياً لمدينة الطائف إلى الأراضي المقدسة من جهة الغرب، وكانت القوافل قديماً تسلك هذا الطريق رغم طبيعته الجبلية الوعرة. واتبعت الدراسة منهجاً وصفياً لمراحل تطور رصف الطريق ثم تتبع تاريخي للرحلات والمارة الذين دونوا ملاحظاتهم عن هذا الطريق وتناول:

- تحليل المعلومات وتوزيعها الى جوانب لغوية إدارية جغرافية تاريخية اثرية.
- نقد وتحليل الأخبار الواردة حول هذا الطريق من خلال الروايات وكتب الرحلات.
- المقارنة بين الرحلات المتعددة ومع الصورة الواقعية لهذا الطريق اليوم.
- الاعتماد على مراجع حديثة تحتوي على معلومات مهمة ودراسات متخصصة في ذات الحقبة التاريخية، ومقارنتها بوضع الطريق اليوم.

مشكلة البحث:

تطرح الدراسة عدة تساؤلات مثل: ما مدى صعوبة عبور القوافل للطريق؟
ماهي العقبات التي تواجه الأهالي في التنقل بين مدينتي مكة والطائف؟
ماهي الصعوبات التي تعانيها القوافل والأفراد في شق هذا المنحدر الصخري؟
ماهي طرق نقل البضائع والماء بين المدن عبر الطرق الجبلية؟
ماهي مراحل تطور هذا الطريق؟ وماهي المشاريع التي أنجزت في العهد السعودي؟
ولقد حاولت الدراسة بقدر الإمكان الإجابة على هذه التساؤلات.

أهداف البحث:

- معرفة التطور المرحلي للطرق وأساليب التنقل بين المدن.
- معرفة أهمية منابع المياه في الجبال للمدن المجاورة لها.
- معرفة دور الطائف كمصدر للغذاء في مدن الحجاز الأخرى.
- معرفة أهم مراحل تطوير هذا الطريق من طريق حجري الى مسفلت الى طريق مزدوج.

وتناول البحث **نبذة عن طريق جبال الكرا، وجاء فيه التعريف اللغوي لطريق جبل كرا** وتناول تعريفا لاسم الجبل والقرية التي تقع على قمته. ثم**التعريف الجغرافي لطريق جبل كرا** وتناول وصفاً جغرافياً للطريق.**يليه التعريف الإداري لطريق جبال كرا** ويعرض الوضع الإداريللمنطقة قيد الدراسة. وتعرضت الدراسة إلى أهمية طريق جبل كرا، كالأهمية الزراعية والسياحية، نظراً لما تتميز من أجواء معتدلة في مناطق حارة، مما جعلها مصدراً للغذاء لما حولها من المدن في الحجاز فضلا عن كونها وجهة سياحية من الدرجة الأولى للتمتع بأجوائها الباردة المعتدلة. كما تناول البحث أهمية المياه والعيون النابعة من جبل كرا حيث تنبع من هذا الجبل عيون وأودية. ثم المقاهي والاستراحات على طريق جبل كراالتي كانت محطة للقوافل قديماً في رحلتهم الطويلة. ولطريق جبل كرا أهمية تاريخية حيث تعرض لمراحل من الرصف والتعمير على مر العهود التاريخية. وتوّجت باهتمام كبير في العهد السعودي ويتناول ما حظي به من اهتمام وجهود بذلها ملوك المملكة العربية السعودية.

التعريف اللغوي لطريق جبل كرا بالطائف:

يقع طريق كرا في جبال كرا التي ينتسب إليها[1]. و» كرا « بفتح أوله، مقصور لا يُمد، وذكر ابن الأنباري فيه المد والقصر. وذكر فيها أن دُريد المدَّ لا غير، ثنية بين مكة والطائف عليها الطريق إلى مكة[2].

(كراء) بفتح أوله، ممدود غير مصروف، لم يؤثر فيه القصر، وهي أرض ببيشة كثيرة الأسد[3]. وتتعدد معانيها اللغوية أيضا في المعاجم ولها دلالات أخرى في معاني غيرها ذكرتها معاجم اللغة[4]. وقد صاغها المحبي ببلاغة لغوية هذه المعاني لمفردة (كرى) في أبيات شعرية بدلالات متعددة المعنحين قال:

إن كرى[5] خصم حياتي فلا ... رأيته أخرى ولو في كرى[6]
فراحتي من يومه أصبحت ... كواصل لما رأتني كرى[7]
وإن من اقطع روعاته ... المكارى[8]في كراما كرى

كما ورد المعنى في أشعار العرب بمعاني متعددة[9]، ونظمت أشعار فصحى عند العرب قديماً تحوي هذا المسمى[10]، كما ورد ذكره في أشعارا نبطية[11].

أما دلالات المصطلح اللغوية فهي تطلق على عدة مواقع جغرافية متشابهة في المسمى منها:

كـراء مقصـورة: ثنيـة بـين مكـة والطائـف[12]، وقـال البكـري الثنيـة بـين مكـة والطائـف، عليهـا الطريـق إلى مكـة[13]. وقيـل كـرا عقبـة شـاقة بطريـق الطائـف[14]. وهـي المقصـودة في هـذا البحـث. وحـري بـأن ترسـم «كـرا» الطائـف بألـف ممـدودة[15]، وهـي الصيغـة المتداولـة للمسـمى اليـوم.

كما ذكرته بعض المصادر بـ أكرا[16]وهو لفظ غير متداول كثيراً.

كـما يطلـق ذات المسـمى عـلى موقـع آخـر فقيـل كـراء ممـدودة هـي أرض ببيشـة كثـيرة الأسـد[17]. و(كـرا) واد يدفـع سـيله في تربـة[18]، وكـراء: ممـدودة وقيـل كـرى: بالتحريـك والقـصر، وادٍ يسـيل مـن جبـال عيسـان في وادي تربـة بـين الغريـف وتربـة البقـوم مـن الجهـة الشرقيـة[19]. وكانـت هـذه العقبـة قديمـاً تسـمى عقبـة كـرا وحديثـاً عقبـة الهـدة[20]، وهـي قريـة الهـدا التـي تقـع في قمـة الجبـل.

الهَـدّةُ[21]: هـو موضـع بـين مكـة والطائـف[22] هَـدَى: موضـع في نواحـي الطائف[23].والشـائع اليـوم عـلى ألسـنة مجـاوري الهـدة هـو تسـميته « الهـدى « بالقـصر والتعريـف وليـس في كلام ياقـوت مـا يفهـم منـه تعريفـه بـأل مقصـوراً، كـما أن ثقـات المؤرخـين لم يذكـروه بغـير التعريـف وهـاء سـاكنة في آخـره أو تـاء معقـودة[24]. ويـرد للهـدا أكـثر مـن رسـم (الهـدى، الهـدة، الهـدأة، الهـدا) امـا الأول فـلا يـكاد يذكـر، والثـاني فضلـه البـلادي في توثيقاتـه للهـدى، المـكان المجـاور لعسـفان، امـا الثالـث فهـو مـا ارتـآه لهـدا الطائـف ويفضـل الرسـم بـه للتفريـق بينهـما وبـين هـدى عسـفان، أمـا الرابـع فهـو الـدارج اليـوم انسـجاما مـع رسـم كـرا[25]، والهـدا هـي الصيغـة المتداولـة للمسـمى اليـوم. واسـتفاض البـلادي عـن بعـض المواقـع الحديثـة التـي تحمـل ذات المسـمى، حيـث فـرق في معجمـه بـين مواضـع عـدة بنفـس المسـمى حيـث قـال: « فرقـت بـين الموضعـين بالأرجـح، فجعلـت « الهـدأة « المـكان المجـاور للطائـف[26].

الهَـدْأةُ[27]، و الهَـدَةُ[28]. ويوجـد موقـع آخـر هـو هـدة بنـي جابـر[29]. وهنـاك مواطـن أخـرى بـذات المسـمى، وهوالهـدى[30].

جغرافية طريق جبل كرا بالطائف:

جبـال كـرا جبـال شـامخة عاليـة جـداً[31]، وهـي إحـدى السـروات الكثـيرة مـن سلسـلة جبـال الحجـاز العظيمـة، فهـي قمـة سراة الحجاز[32]،الممتـدة مـن المدينـة إلى مكـة[33] وتقبـل مـن أقـاصي اليمـن وتمـضي عـبر بـلاد الشـام. وهـي أكـبر سلسـلة جبليـة في بـلاد العـرب، تمتـد مـن جنوبهـا إلى شـمالها، لا يقطعهـا الا خرّيـتٌ ماهـر[34]، وتقـع هـذه السلسـة طوليـاً بـين منطقتـين طبيعيتـين هـما: جبـال السـروات المطلـة عـلى سـهول تهامـة والبحـر الأحمـر مـن الغـرب والجنـوب، والتخـوم النجديـة الرمليـة مـن الشـمال والـشرق[35] وقيـل في وصفهـا « أنـه الجبـل العظيـم الـذي قـد تجـاوز السـماك، ورقـى إلى الأفـلاك، وقيل أنه متصـل إلى صنعـاء»[36]، وطبيعـة جبـل كراكتلـة جرانيتيـه[37]، في وسـطها الجبـل كل أنـواع الألـوان مخلوطـة بعضهـا مـع بعـض عـلى طبقـة مـن الحجـارة والصلصـال المسـحوق، وبالنسـبة للأخـير فيتـم تكسـيره كليـة إلى جزيئـات صغـيرة تظهـر في قمـة السلسـلة الجبليـة بأكملهـا بعـض الصخـور الجرانيتيـه الحمـراء مـرة أخـرى، أماالسـطح فهـو داكـن السـواد بفعـل أشـعة الشـمس الحارقـة»[38]. وتنتـشر عليهـا بـين كل مسـافة وأخـرى مخاريـط جرانيتيـه، واضحـة، ومنتظمـة حتـى لتظـن أن يـد الإنسـان قـد نحتتهـا[39]. والطريـق في

الجبل عبارة عن ممر ضيق يشق تلك السلسلة الضخمة من الجبال المنحدرة بصورة عرضية[40]. وهو مضيق واسع في بدايته، ولكنه يضيق بعد قليل منكمشاً، ويرتفع تدريجياً، وتمتد على جانبيه دكك كبيرة من النضيد الرخامي بطبقات أفقية، وكانت جوانبه متصدعة متشققة، وقممه الجرداء، المنحوتة على شكل قباب ورؤوس مسننة[41]. وتتمثل روعة هذا الطريق عبر هذا الجبل في أمور منها: انتصاب هذا الجبل كصفحة البنيان بينما الجبال التي تسلكها الطرق غالباً تأخذ شكلاً تدريجياً في الانحدار مما يسهل شق الطرق بها[42]. وقال عنه العياشي في رحلته:» أخذنا في صعود الجبل العظيم الذي لا يماثله في عظمته جبل من جبال تهامة، وسلكنا في طرق تميل مع خراطيمه الهابطة من أعلاه»[43].

أما الأمير شكيب أرسلان فتحدث عن الدهشة لمنظر هذه العقبة فقال: «ولهذه العقبة منظرا على وادي نعمان لا مثيل له في بلاد العرب، لأن الناظر يشرف منها على شفير الوادي المسمى الكرا الكبير ذي العقبة الشهيرة، التي تأخذ ثلاث ساعات على الصاعد، وهي من الوقوف في مثل الحائط، وإذا أشرف الرائي على حافة هذا الشفير لم يكن أمامه العمق الهائل فقط، بل والعرض المدهش، فالنظر هناك مَدٌّ ليس له حد»[44].

ويعرف بجبل كرا الكبير، حيث يأتي الانحدار جبل كرا الصغير (كما يسمونه) منقرية الهدى إلى الطائف، وهو ذروة شاهقة في طريقنا، وشتان ما الكبير والصغير[45]، وهو ناحية الشرق عبر وادي محرم حيث يتم الصعود إلى الهدة، وعلوها بثلاثمائة متر، ومرتقاها صعب، ومسيرته نصف ساعة[46]. وتقع قرية الهدى أعلى الجبل[47]، ومن وسط قرية الهدا يتجه الطريق إلى جبل كرا الطود العملاق ليأخذ من قمته من حافة الهدّة المنحدرة غرباً[48]انحدارا خفيفا نوعا، وفي آخر الجبل مرحلة تسمى وادي خريف الرأس،وهي مرحلة محاطة بالجبال، ثم يأتي بعدها النزول في مرحلة يسار الجبلجنوب غرب[49]. ومن قممها البارزة: دُليم والحبلة وشعار ومكرس وجبل الهندي[50].

أما الطريق إلى جبال كرا يبدأ بالخروج من مكة ثم عرفة[51]، ومن عرفة إلى وادي محسر[52]، وعند مسجد الكر حيث بداية الطريق عبر جبل كرا المؤدية إلى منطقة الهدا[53]. وأول طريق جبال كرا يبدأ بالكُرّ أسفل الجبل[54]، ثم يبدأ الطريق صعودا في جبلكرا العسر[55] حيث مُهِدَت عقبة كرى من أسفل (الكُرّ)[56]. ويبدأ مسير الرحلة من الأسفل، وما بعدهما من المعسل والهدى[57].

أما تقدير المسافة بين الطائف ومكة المكرمة عبر هذه جبال كرا غربا يبدأ بعد مكة من شداد التي تبعد ٣٧ كيلاً من مكة، ثم الكُرّوتبعد 44 كيلاًمن مكة[58].والطائف على ٩٠ كيلًا من مكة[59]. ويبلغ طول الطريق من الكُرّ إلى الهدى (37) كيلو متراً[60]. ومدة اجتيازه واحدة صعودا وانحداراً[61].

أما تقدير مدة صعود الجبلفهي مسيرة يوم للطالع من مكة ونصف يوم للهابط إلى مكة[62].وكان قديماً يقدر بالبغال ما يعادل نصف نهار من أسفله إلى أعلاه[63].وقدرها بعض

الرحالة بخمس عشرة ساعة وربعا، والبعض يقطعها في ١٣ ساعة وهو أقرب طريق[64]، وقدّرها عدد من الرحّالة بثلاث ساعات[65]، ويلاحظ ان مدة السير تقل مع تقادم الزمن وقد يرجع ذلك الى التطور في رصف الطريق.

اما ارتفاع الطائف فيقدر (1700)مترا، وأعلى القمم القريبة منها ترتفع (2500) مترا[66]. ومنطقة الهدا على ارتفاع حوالي (2000) مترا فوق سطح البحر ثم إلى مدينة الطائف[67].وكانت القوافل تجد صعوبات عند مرور هذاالجبل[68]، إذ يلقى الصاعد مشقة بين أوعاره وأغواره[69]، وقد يخيل للإنسان أن نزوله عن كرا أسهل من صعوده، والحقيقة أنهما سواء لأن المصعد يتسلق، والمنحدر يزلق[70]. ومن صعد فيه أو نزل مرة لا يعود إليه لصعوبة مرقاه[71]. وكان الطريق إلى قمة جبل كرا أكثر وعورة وخطراً، وفي النهاية[72].وورد في مشقة صعوده شعرا ونثرا الشيء الكثير.

ومما قيل عن مشقته « وطوله نفى عن أعيننا الكرى، فلم نزل في نزول وصعود، وقيام وقعود إلى قريب الضحى، فصعدنا إلى أعلاه، وقد ذهب من كل منا قواه»[73]. وقال المحبي نثراً بديعاً في وصف حالهم بعد النزول: «فجلسنا بعضنا شاك فقد أحبابه، والبعض الآخر شاك من الحجارة وما أصابه، وأنا بينهم ساكت الفا، وناطق خلفا. كيف وقد خلفت ما يورث الهذيان، وتأبى مواقعه أن يحومحولهاالنسيان. ثم انكفأانكفاء الحيا ولسان الحال يقول: لا سقيا ليومنا ولا رعيا العقبة الكؤود، عقبة أكرى»[74].

«وفارقت رفيقي وأنا على عهده الأمين، وذهب ذات الشمال وذهبت ذات اليمين، وآليت لا تحريت كرى، ثانيا، ولا ألويت عنان عزمي لثنيته ثانياً ولو جُعلت الجبال دكاً، وأُعطيت أرض الحجاز مُلكاً»[75].

أما الزركلي فوصف شيئا من المشقة في الصعود فقال: «وقد عاينا الصعاب في اجتياز هذا الوادي، المشتبكة أشجاره الشائكة، بحيث كان يتعذر على الراكبين منا أن يتجاورا في طريقهما، وكثيراً ما مزق الشوك أطراف ما تحتنا من فرش وضعت لننام عليها إذا مسنا النعاس، ولولا شدة التحفظ والاحتياط والانتباه لعبث أيدي الأشواك أطراف ثيابنا وبصماداتنا»[76].

« وقد حاول بعض الرفاق أن يكابر فيصبر على الركوب فقلت له: لا تنس أن روحك الساعة في حافر بغلك: إن زلق هويت، وإن هويت فأنت ميت؟ - فنزل، وأخذنا نصعد ذلك الطود المتعلق بقرص الشمس يداعبها وتنفر منه؟ تارة نتسلق، وطوراً نحبو، وآونة نجلس ثواني أو دقائق، حتى بلغنا منصفه وقد تغير الهواء فرق وانعش»[77].

كما وصفه الرحالة شارل ديديه فقال: « وكان الطريق في كل الاتجاهات منحدراً ووعراً كل الوعورة في بعض المواضع، وإذا رأيته من الأسفل فإن سلوكه يبدوا مستعصياً أبداً، لقد وصلنا على أيه حال إلى نهايته بفضل خطوات البغال الواثقة، ونفهم لماذا لا تستطيع الجمال سلوك هذه الطريق»[78]. وللشعراء والادباء لطائف في وصف كرا منها قولهم « صعود كرا يحرم من الكرى؟»[79].

ونظمت أشعاراً فصحى تصف مشقته وصعوبة مسلكه[80]، كما نظمت أشعار نبطية في وصف وعورته[81]، وقد كفى الله الناس هذا الضيق بتعبيد الطريق[82]. وكفاهم المشقة التي كانوا

يعانونها أثناء سلوك هذه العقبة، بعد أن كانت القوافل تعاني فيه ماتجد عند الطلوع والنزول. وهو ما سيتم ذكر مراحله في العهد السعودي الزاهر.

التعريف الإداري لجبل كرا:

يقع جبل الكرا في مدينة الطائف إلى الغرب من على الطريق الذي يربط الطائف بمكة المكرمة[83]. وفي قمة جبال كرا تقع قرية الهدا، وهي من أشهر قرى الحجاز[84]، وقرية الهدا[85] تابعة إدارياً لمحافظة الطائف[86]، وقد تطورت اليوم، وتقدمت، ومدت فيها الطرق المعبدة، وقامت فيها بلدة حديثة، لها إمارة تابعة للطائف، ومدارس وشرطة[87].

وذكر في المصادر أن الطائف من مخاليف مكة، وتبعد عنها ثلاث مراحل من مكة جهة الشرق[88]. ويمثل طريق جبال كرا أحد الطريقين الرئيسين بين مكة المكرمة ومدينة الطائف وهما:

الطريق الأول: طريق السيل وهو طريق اليمانية، ومدة السير فيه بالدواب تستغرق ثلاثة أيام[89].وأول محطة من هذا الطريق تبدأ بالزيمة بعد مكة المكرمة[90] وهو منفذ الطائف إلى مكة شرقاً.

أما الطريق الثاني: يمربالهدا في جبل الكرا، وحمل الطريق اسم هذا الشعب فيسمى (خط الكُرّ السريع)[91]، ويسلكه الماشي من الطائف إلى مكة[92]. وهو منفذ الطائف من جهة الغرب إلى مكة[93].

كانت القوافل تسلك طريق جبل كرا، حيث كانت مدينة الطائف تقع على طريق الحج القديم[94]، وتوجد كثيرا من البرك التاريخية، على طريق مرور قوافل الحج[95]، وهي آخر مرحلة من طريق قافلة الحج القادمة من الشرق[96].

ومرت العديد من قوافل الحج والرحالة به دونوا مرورهم بهذا الطريق[97]. كما مرت به الجيوش العابرة[98]، كونه طريقا رئيسيا بين مدن الحجاز. كما أن لهذا الموقع المنيع أهمية أمنية حيث كانت منفى نفي إليه شخصيات كبيرة[99]، أو الفارين[100]، ومكثوا بها مدة من الدهر[101].

أهمية طريق جبل كرا:

الأهمية الزراعية والسياحية لجبل كرا:

اكتسبت مدينة الطائف من موقعها الفريد أهمية زراعية[102]، نظرا لما تتمتع به من أجواء معتدلة[103].

اشتهرت في شبه الجزيرة العربية كلها بحدائقها الجميلة الغناء، وبساتينهاالتي تقع على سفح الجبال التي تحيط بالسهل الرملي[104]، فهي قرية كثيرة الفواكه والأعناب[105] واشتهرت بذلك منذ القدم. وقمة جبل كرا مستوية[106]. وفي سطحها يفاعاً منبسط، وجنان وبساتين ناضرة تشرب بالسواني، وفي قرية الهدا جنان ومنارة[107]. وفيها بساتين وفواكه، ومزارعها كثيرة[108]. وتزدهر في الطائف العديد من أشجار الفاكهة مع حقول القمح والشعير والفاكهة، ويتميز عنب الطائف بحجم كبير وطعم لذيذ، والتين والرمان والسفرجل كما يشتهر بها جبل كرا بكل هذه المحاصيل[109]. وتكثر في هذه المنطقة الأشجار المثمرة، وخصوصاً أشجار المشمش والدراق واللوز

وتعطي غلة وافرة، وتتميز المنطقة بأنها تنتج عنباً من أفضل الأعناب وأحلاها، كما توجد حقول الشعير والقمح[110]. وذكر أحد الرحالة أن حدائق الطائف ينبت بها العديد من الأشجار والنباتات مثل أشجار التين، أشجار الخوخ، أشجار الحمضيات، أشجار الجميز، أشجار اللوز، أشجار الموز، أشجار التوت، أشجار البرقوق، أشجار التفاح، أشجار المشمش، أشجار الرومان، أشجار الكمثرى، أشجار اللوتس، أشجار النخيل[111].

كما تنبت شجر العرعر[112]، والأثل وهو أشبه بشجر الكينا، والتين البري، ويقل السلم والطلح[113]. ولاعتدال مناخها يكثر فيها شجر التين والرمان والسفرجل والصبر (التين الشوكي ويسمى البرشومي) واللوز[114]، وتنمو بها النباتات التيتكون موجودة ضمن الحدائق الأوربية[115]. وتشتهر المنطقة بنباتاتها كثيرة الأنواع منها العطري والصباغي[116]، ونباتات أخرى ذات رائحة عطرة، كالنعناع والخزامى[117]. كما اشتهر نعناع الطائف، أو الشاهي الطائفي[118]. كما تشتهر حدائقها بوفرة وكثرة ورودها[119] الذي يستخرج ماؤه على طريقة التقطير[120].

كما تزرع الحدائق على الأرض الواقعة بين الجبال والمدينة، وما هو منها خاص للأهالي يسور بأسوارٍعالية[121] واشتهرت بساتين الهدى مثل بستان المغربي، وبستان البني، وغيرهما[122]. وقال عنها الموسوي: «ثم سرنا فأتينا الهدا، وطالع الفرح والسرور علينا بدا، وهي أرض يقصر عن وصف محاسنها اللسان كأنها من رياض الجنان، بها الأشجار والأزهار، والمياه العذبة، وصنوف الأطيار والفواكه المختلفة الالوان، والبدور الساطعة الحسان وأهلها أصحاب كرم وسخاء، خيرهم مبذول في الشدة والرخاء:

لقد زاد شوقي يا أخلاي للهدا ... بلاد بها الاحسان والجود والهدى
حكت جنة الفردوس في الحسن والبهاء ... حماها إله العرش من طارق العدا»[123]

ومما قال فيه المحبي في وصفه:

لله يوم الطائف البهج الذي ... نلنا به أسنى منى وأماني
مع فتية غر الوجوه حديثهم ... مسترقص لمعاطف الأغصان(124)

أما جبل كرا لا تظهر شجرة واحدة، إلا بعض الجنيبات الشوكية، وبعض من أشجار السرو القرمة التي تظهر على مسافات متباعدة عبر الصخور[125].ويتميز جبل كرا بأهمية اقتصاديةكبيرة، فهو طريق حيوي لنقل المنتجات الزراعيةوبشكل مستمر إلى أسواق مكة المكرمة[126]، وإلى أنحاء الحجاز[127]. وكانت القوافل قديماً تصعد الجبل على الدواب وفوقها أحمال الفاكهة[128]، كما تصعد الجمال إلى الرحبة في أعلى الجبل،حيث يأتي أهل الجبال عبر هذه العقبة بوساطة الدواب لعرض بضائعهم فيفرغون ما معهم من ثمار وفواكه وبضائع لتحملها الجمال إلى أسواق مكة وغيرها وتحت هذه الرحبة حراج[129] يقال لها: (حراج الكُرّ)[130]. ويذكر بيركهارت أن مدينة الطائف كانت مركزاً تجاريا لبيع القهوة، يأتي بها البدو من جبال اليمن على الجمال، حيث يكون هذا الطريق دون الطريق الساحلي تجنباً دفع الرسوم الكبيرة المفروضة في المرافئ على ساحل شبه الجزيرة[131]. ويمارس الأهالي من سكانه من متحضرة البدو زراعة الأرض، وبعضهميمارس مهمة نقل أكياس الحبوب[132]، وبعضهم يعمل كمرافق للقوافل ودليلًا لهم على الدرب[133].

ويختص جبل كرا باعتدال الهواء في أرض الحجاز ذاتالأجواء الحارة[134]، وأجوائه منعشة صيفاً باردة شتاء[135] وهذا ما جعل مدينة الطائف أعظم مصيف في الحجاز[136]. فهي بلد طيب الهواء باردة[137].وتعد قرية الهدا مصيفا جميلا ومدينة حديثة،جوها بديع[138].

وشبه العياشي هذه المنطقة ببلاده لأنها اشبه بها في تضاريسها.ما رأينا فيما سلكنا من بلاد الحجاز مكاناً أشبه ببلادنا منه. وقال: «وما كدنا نصل أعله حتى تمكن وقت المغرب وصلیناه، وتلفعنا بثیابنا لشدة البرد، وتعجبنا من صنع الله وبدیع قدرته، فقد قاسینا أول النهار من شدة الحر وسمومه ما كادت العظام منه تذوب وتتفطر القلوب. وكابدنا من شدة البرد آخره ما ارتعدت المفاصل منه، وكلت القوى عنه»[139]. وذكر الرحالة الأوروبيين أن هذه المنطقة شبيهه بالأجواء الأوروبية وبعض المناطق في ايطاليا[140]. وهذا ما يجعل جبال كرا منتجعاً سياحياً رفيع المستوى[141]، ففيها مصايف لأهل مكة[142]، يأتي إليها سكان مكة المكرمة خلال الصيف بحثاً عن الخضرة والبرودة[143]، فهي مصيف مكة منذ الأزل. ويعد طريق جبال كرا طريقاً سياحياً[144]، حيوياً يضمن سهولة وصول السياح إلى منطقة الهدى ومنطقة الشفا والتمتع بطقسها المعتدل ومشاهدة معالمها الطبيعية والأثرية[145]. وهو اليوم متنزها ومصطافا[146] وحقق هذا الموقع ميزة سياحية[147] ليصبح بذلك وجهة سياحية دائمة. ولاتزال الطائف تحتفظ بهذه المكانة ففي الوقت الحاضر أولت الحكومة السعودية طريق جبال كرا وعناية كبرى لراحة المصطافين والقادمين الى الطائف[148]. كما كانت الطائف مصيفا لملوك المملكة العربية السعودية[149]، وتحظى بمشاريع وشبكة مواصلات مما عزز مكانتها وأهميتها كمصيف المملكة الأول[150]، حيث تم تنفيذ مشروع النقل المعلق وبلغ عدد العربات المعلقة اثنتين وخمسين عربة ويتم تشغيلها جميعاً خلال فصول السنة، وتتسع العربة الواحدة لعدد ثمانية أشخاص فقط[151]ولايزال هذا الطريق يتمتع إلى اليوم بهذه الميزة فهو المصيف الأول في الحجاز.

المياه والعيون النابعة من جبال كرا:

تنبع من جبال كرا عيون عذبة[152]،وتنزل منها الآبار والجداول التي تروي تلك الحدائق[153]، وتسيل أودية تأخذ روافدها منه، ومن أشهرها:

ماء المعسل[154]:

وهو ماء جار، في أعلى جبال الكر، وهي عين ماء جاريه تسيل من الجبل ،وتصب في حوض مبني وتتدفق منه إلى الصخور، عذب المذاق يقال عنه:» أن هذا الماء كثير الهضم جداً»[155]،وهو نبع عذب محمي تحت كتلة ضخمة من الجرانيت[156].وماؤه عذب بارد، ولا يوجد مثله في مدن الحجاز الأخرى[157].ويتوقف عنده المسافرون للتزود منه[158] وهو على يسار الصاعد[159]. واشتهر ماء المعسل بحلاوته، وأهله يبالغون في حلاوة طعمه[160]، تسميه العامة (المعسل) لعذوبته الشديدة[161]، وقيل هو مكان جنى العسل، يجلب منه العسل اللطيف[162] وقد يكون المسمى لهذا السبب. وصف المحبي للمعسل: « ماؤه يبوح صفاؤه بأسراره، وتلوح حصباه في قراره. ونحن ننفض أعطافنا أريحية، ونتهادى رياحينه تحية»[163].وقال عنه الزركلي: «قيل لنا أنها

دائمة النبع لا تجف صيفاً وشتاء فنولت إليها أبل الصدى، فرأيت ماءً يسيراً بارداً فيه أثر من طعم الطحلب، وهي صغيرة لا تتجاوز دائرتها المترين وعدنا إلى الصعود، فرأينا قبل ذروة الجبل حوضاً غير كبير يجتمع فيه ماء المطر منحدراً مما فوقه من معلاة الجبل وهو جاف لا أثر للماء فيه»[164].ويذكر المعاصرين عن ماء المعسل أنه لا يزال يجري من جبل كرا إلى وقت قريب [165]، إلا أن هذا الماء الفرات انقطع لكثرة ما ضرب بقربه الآبار[166]، وكان نبعاً ثجاجاً، في سنة 1401هـ/ 1980م، غير أنه بعد هذا التاريخ تعرض للجفاف فلم يعد له وجود، وقد هجره من كان يقيم عليه لبيع مائه على المسافرين[167]، وقد يكون لقلة الأمطار حيث ذكر بعض المعاصرين قلة أمطار قرى الهدافي بعض السنوات[168].

أما اليوم فقد أقيم فوق وادي المعسل جسراً تمر فوقه السيارات حيث يساهم هذا الجسر في ازدواج طريق جبال كرا[169]، بعد تطويره مؤخراً، ووضعت لوحات ارشادية للدلالة على وادي المعسل.

وادي ذَعْمان[170]:

تسيل صدور هذا الوادي من جبل كرا هذا الجبل الضخم[171]، تجري من جبل كرا عين وادي نعمان[172]. وفيه عيون مترعة من أصل الساقية بالجبل[173]. وتصل عين وادي نعمان إلى عرفات ثم إلى المشاعر، ثم إلى مكة[174].وعلى اليمين منه مبدأ بناء مجرى عين زبيدة[175]، وقد زود الجبل اليوم بعدد من الجسور التي تؤمن انسياب مياه الأمطار عبر وادي نعمان بشكل طبيعي[176].

وادي الكُرّ:

ينحدر من جبال كرا إلى أسفلها، وفي أسفله قرية الكُرّ[177].ويصب فيه وادي الكر وهو شعب يسيل من جبل كرا[178]، وهو أسفل الجبل[179].

وهو كما قال عنه الرحلة شارل ديديه: « لقد كان يجري في تلك الأنحاء نبع ماء بارد، وذلك كنز لا يقدر بثمن في تلك الصحراء، كان النبع يجري من أسفل الجبل"[180].

وادي الكُمَّل:

يسيل هذا الوادي من المنحدرات الشرقية لجبال كرا من وهاد الهدأة[181]، وبحذاء هذا الوادي قرى وبساتين، تسقيها النواضح، ومن الكُمَّلإلى قرية الهدا مسيرة نصف ساعة[182].

وادي نخله اليمانية:

يأخذ هذا الوادي أعلى روافده من الجبال الواقعة شمال جبلكرا[183]، حيث ينتهي إلى نخله اليمانية يدفع فيها من الجنوب في وادي الكفو[184].

وادي علق:

ينحدر من جبال كرا ويصب في الجنوب منها[185].

المقاهي والاستراحات على طريق جبل كرا:

انتشرت الاستراحاتعلى طريق جبل كرا [186]، حيث كانت القوافل تتخذها محطة لها على جانبي طريق جبل كرا لأنها ممراً وطريقاً بين مكة والطائف[187]، حيث توجد ثلاث مقاهي أسفل الجبل[188]، وأبرز هذه المقاهي على الطريق:

قهوة عرفات:

أولى هذه المقاهي قهوة عرفات وهي تلي عرفات وتقع أسفل الجبل في بداية الطريق إلى الأعلى، موجود بجوارها عساكر ضبطية للخفر[189].

وتحدث العياشي في رحلته عن النزول بها، « ونزلنا بها في أرغد عيش، حول عين من الساقية تجري على وجه الأرض، وصلينا صلاة العشاء، وتعشينا ثم أغفينا إغفاءة، ثم ارتحلنا قريباً من ثلث الليل الآخر»[190].

قهوة شداد:

وهي تلي قهوة عرفات، وتقع قبل الكُرّ على ٣٧ كيلاً من مكة[191] على نحو ثلاث ساعات من عرفات، وست ساعات من مكة للراكب[192]. ويأوي إليها الصاعدون إلى الطائف والمنحدرون إلى مكة[193]،وهو موضع به مزارع ومقاهي ويحصل به سموم عظيم، وكانت مقيلا للقوافل[194]، وقال فيه المحبي: «وسرنا إلى أن وصلنا إلى شداد، ونحن نطلب من الله تعالى أن يمدنا منه بأمداد»[195]. وهي مركبة من أربعة أخصاصّ[196] متفرقة، إحداها لصاحب الأخصاصّ، والآخر للمسافرين والبهائم، تنزل بها القوافل تنتظر زوال القيلولة[197]، أو المبيت بها إلى الفجر. وأقيم به مركزا للهاتف يربط الطائف بمكة لتوطيد دعائم الأمن في تلك المسالك[198]، ويذكر أحد المعاصرين أن هذا في عهد الشريف حسين بن على، أما اليوم فقد اندثر وجود هذه القهوة، وليس بشداد الآنإلا بعض المزارع والبيوت البسيطة المتفرقة هنا وهناك[199].

مقاهي الكُرّ:

الكُرّ قرية على سفح جبل كرا وبها ماء[200]، وهيأسفل الجبل[201]، به بئر ماء ومقاهي[202]. وتأتي بعد ساعتين ونصف من شداد، والمسافة من أول هذا الوادي « حراجل الكر[203]» إلى قرية الكر تقرب من ساعة[204]، وكانت القوافل تبات فيه وبعد الفجر يبدأ صعود جبل كرا[205].ويوجد اليوم منتزهاً حديثاً في منطقة الكُر، وقد تكون هي موقع المقهى قديماً[206]. وتظهر هذه القهوة للصاعد إلى أعلى الجبل، وهي بأصل الجبل بين صخور عظام[207]. حولها ماء صافٍ يجري على حصباء كالزبرجد، عذب بارد، سهل التناول للصادر والوارد[208]، وفيها أكواخ حجرية وأعشاش لا بأس به[209]. وبها أخصاص تقي من وهج الظهيرة[210]. وبعد ذلك يستمر الصاعد إلى أعلى الجبل فيواجه استراحات وأولى هذه الاستراحات رحبة الكُرّ، وينحدر الطريق بعدها على رحبة ثانية[211]، وبها مقاهي واستراحات يقف بها بعض المسافرين استعداداً للصعود وراحة بعد الهبوط[212]، وهو مكان واسع مسور بالأحجار بلا طين، وفي وسطه موقد مشتعل[213]. وبه بئر ماء ومقاهي[214].

قهوة المعسل:

المعسل يأتي بعد صعود ثلثي الجبل[215].وتبات به القوافل الى الفجر[216]، وبها قهوة، وبها أخصاص تنزل بها القوافل، ويذكر العياشي مناخه بها فيقول: «وطلبنا خِصا يُكننا من شدة البرد، فأخلونا محلا أوقدوا فيه نيراناً عظيمة فاصطلينا بها عامة ليلنا، وحمدنا الله على ذلك. وكان هذا في إبانالحر الشديد، ولذلك خلفنا ثيابنا في مكة، ولم نلبس منها إلا ما يوافق الوقت، وقضينا عجباً من شدة الحر والبرد معا في المكانين المتقاربين»[217]، وهي اليوم ليست سوى معبراً للسيارات[218].

مقهى الحلواني:

من المقاهي الحديثة التي عاصرت بدايات تعبيد الطريق في العهد السعودي، في بداية عهد الملك عبدالعزيز عند بداية تعبيد الطريق بالإسفلت، وأيام أشغال فتح الطريق[219]. واستمر وجود الاستراحات وآبار الماء إلى وقت قريب من مطلع القرن الخامس عشر الهجري/ ثمانينات القرن العشرين الميلادي.

ولعل مما لفت أنظار الرحالة في هذا الطريق هو النظر هو انتشار القرود، حيث أشار محمد صادق إلى كثرتها في الجبل[220]، وقال ياقوت هو موضع القرود[221]، وذكرها كثير من الرحالة أثناء مرورهم بهذا الطريق، فتظهر أسراباً[222]، كما ذكر أحد الرحالة الأوروبيين أنه يُحمل ما يقبض عليه منها إلى مكة المكرمة[223]. كما تظهر أحياناً نمور وضباع وذئاب وتقل فيه السباع[224].

ومما ذكره العياشي: «ورأينا القرود به تصيح، وتثب في أعالي تلك الصخور، فتعجبنا من ذلك، فأخبرنا أنها توجد في هذا الجبل، وما سمعنا قد أنها بأرض الحجاز، وإنما يقال أنها تجلب من الشام والروم إلى مصر والحجاز»[225].

واشتهرت بذلك عقبة كرا بانتشار القرود في جميع مدارجها بشكل بارز معروف، وكانت تؤذي الصاعدين على (الأعيرة) أو الأحمرة السود، بقذفهم بالأحجار والالتفاف حولهم والضحك عليهم.وأغلب الظن أنها إنما تحولت من مناطق (كرا) إلى ما حوله من الجبال الجنوبية[226].

-طريق جبل كرا عبر العصور التاريخية:

نبذة تاريخية عن طريق جبل كرا.

مر طريق جبل كرا بمراحل عدة من البناء والرصف، فهو منذ القدم معبرا للجمال والدواب تسير فيه من أعلى العقبة حتى أسفلها، لنقل البضائع والماء والقوافل.

ويعد النقل البري أقدم أنماط النقل التي عرفها الإنسان[227]، والطرق الجبلية يتم رصفها بتكوينات حجرية صلبة سميكة، تثبت بعمق ملائم على سطح الأرض[228]، للتمكن من الحركة فوقها بسهولة، وتمثل الطرق الجبلية تحدياً كبيراً للإنسان إذ بذل فيها المحاولات لتمهيدها لتظهر بذلك أساليب الابتكار والابداع، وتشهد بمدى تكيفه مع ظروف بيئته.

وتعرضت عقبة جبل كرا للرصففي عهودٍكثيرة[229]، حيث شهدت اهتماما من الحكام لتيسير تنقل القوافل خاصة وأنها طريقاً لمرور قوافل الحج إلى مكة.

وقد بذل خلفاء بني العباس عنايتهم في أماكن كثيرة من هذا الجبل،غير أن السيول

تركت أثرها مع تقادم الزمن، فخربت بناءه، وكثر للسالك عناءه[230].

وعمّر هذه العقبة حسين بن سلامة[231] وهو عبد نوبي وَزِرَ لأبي الحسن بن زياد حاكم اليمن في حدود سنة 430هـ/ 1038م، وقد تعرضت للخراب بعد ذلك[232].

وفي القرن الثالث عشر الهجري/ التاسع عشر الميلادي قدمت قوات السعوديين إلى الطائف[233]، كانت هذه الجبال معبراً لجيوش محمد علي باشا[234]، وشقّت هذه الجيوش طريقها عبر سلسلة لا حصر لها من الجبال[235]، أثناء مواجهته للقوات السعودية في الطائف.

وقد اهتم محمد علي باشا بعمارة هذه العقبة[236]، واستطاعت قواته تسلق هذه المنحدرات الوعرة[237]، وقام بتعبيد هذا الطريق وتجديد عمارته[238]، ومازال على الطريق آثار بعض الأعمال التي نفذت في ذلك الوقت لجعل الطريق سالكة، وتم تعبيد بعض المواقع[239]، ثم خربها السيل فبقيت آثار العامر منها[240]. وأصبحت تمثل خطورة وصعوبة لأن الأمطار أزالت ذلك التعبيد، وتحولت مواد التعبيدإلى أحجار متحركة، وأفخاخ مزروعة عمداً تحت أقدام المطايا ولم يتم إصلاحه بعد ذلك[241].

وقد مر بهذه العقبة الأمير شكيب أرسلانمشقة الرحلة في هذا الطريق، وختم مشاهدته بتوصية للحكومة فقال: «وقد كان الواجب على الحكومة وعلى أهالي القرى الكثيرة المجاورة ولا سيما وادي محرم أن يصلحوا هذا المرتقى»[242].

وكان الطريق على هذا الجبل منقسماً إلى طريقين هما:

أ- درب المشاة. **ب- درب الجمّالة.**

أ- درب المشاة[243]:

وهو مخصصا لسير المشاة الراجلين على الأقدام، وعرف باسم درب المشاة.

وهو عبارة عن درب ضيق صناعي غير منتظم كثير الانعطاف[244].وقد رصف بالحجارة على شكل درج متعرج بزوايا متقاربة[245].

والطريق نقي من الصخور العظام، ونضّدت الحجارة فيه ببناء وثيق مصفح على ممره[246]، وكان يتم إلقاء كتل من الصخور الواحدة فوق الاخرى[247].

وهذا الطريق غير مخصصا للقوافل، إنما كانت طريق المصطافين على خفاف المطايا والدواب والرجالة[248]. وفي وسط العقبة كان يتم الترجّل عن الدواب أثناء صعود الجبل[249].

ويحاذي اليوم طريق المشاة القديم (درب المشاة) مشروع النقل المعلق الذي نُفِذ في عام 1422هـ/ 2001م، ويمتد بمحاذاته[250].

ب: درب الجمّالة[251]:

أما الطريق الثاني فهو درب القوافل التي تعبر هذا الطريق.وكان يتم سلوك طريق الجمال إما لنقل الماء من الطائف إلى مكة، أو لسفر القوافل والبضائع.

وقد رصف طريق الجمال والبغال[252] بالأحجار حتى تسهل عملية النقل فوقها، حيث كانت تتم الاستفادة من دواب الحمل خاصة البغال والحمير في بعض المناطق الجبلية[253]، كما

استخدمت»البغال» في المواصلات بين مكة والطائف قديماً إلى ما قبل ألف عام وكان أكابر القوم وأهل اليسار يركبونها إلى الطائف[254].

ويصف محمد صادق باشا شدة الانحدار وصعوبته :» وكان نزول البغال من هذه البقعة المعتادة حاملة العفش بأصحابها من الغرائب لصعوبة انحدارها لولا مهارة البغال وصناعتهم العجيبة في التحميل وربط العفش، بحيث إن الراكب يستريح عليه للغاية ولا يخاف من تزحزح الأربطة عند صعود البغل وهبوطه لحصل خطر عظيم للمسافر،أما الخيل والحمير فإنها لا تركب، لشدة الصعود والانحدار وكثرة الأحجار وانعطافات الثعبان، ويتهيأ للراكب أن البهيم نازل من سلم مرتفع لكثرة صعوبة الانحدار لولا قبض الراكب على رباط البرذعة الموجودة من الخلف لانكب على الأرض مراراً عند نزول كل انحدار»[255].

وهذا الطريق مختصاً بسيرالجمال[256] ويمشي في عرضه ثلاثة جمال بأحمالها[257]ويتعجب أحد الرحالة من صعود إبل ذلك البلد فيها، وهبوطها، مع كثرة الأوعار، وتضايق الصخور الكبار، مع الاحجار المعترضة فيها، المشرفة على المهاوي البعيدة[258]، غير أن هذه الجمالكانت مدربة عليها، فكانت إذا وصلت مكانا لا تستطيع السير فيها على أخفافها، قالوا لها: حبوه حبوه.فتبرك على ركبها وتحبوا حبوا حتى تجتاز ذلك الموضع[259]. أما الهجن فهي لا تستخدم ركوبا لدى تجاوز الجبال، لأنها غير مهيأة لذلك[260]. وللبغال عادة سيئة في مثل هذه المضائق فإنها تزدحم متسابقة وهي تتكسع في الوعر، فيصطدم الراكب بالراكب، وكان البغّالة يسندونها، وأحياناً يضطرون لحملها[261] ويصدر عن حوافر البغال عند وقوعها عليها صوت يشبه صوت احتكاك المعادن، خاصة أن الأرض صلبة ووعرة[262]. ويفترق الطريقان حيث يظهر اليوم درب الجمال القديم للمسافر في جبال كرا بالسيارة على يسار الطالع وعن يمين النازل[263]، وهو على يمين طريق المشاة[264]. ثم يجتمع الدربان عند الكُرّأسفل الجبل[265].

ثانياً: طريق جبال كرا في العهد السعودي:

تميز العهد السعودي بتطور فريد من نوعه على عقبة هذا الطريق الجبلي المرتفع، الذي شهد مراحل رصفه منذ مئات السنين، بدءاً من مرحلة الرصف بالحجارة ثم تعبيده بالإسفلت ثم الطريق المزدوج اليوم.

ويعد مشروع جبال الكرا إحدى المنجزات الهندسية الفذة[266] في العهد السعودي حيث كان العزم لبناء هذا الطريق في هذا الجبل عزما مستحصداً، وارادة قوية، مع نية صالحة[267]، فلم تقف هذه العقبة المنيعة أمام مشاريع التنمية الجبارة في العهد السعودي الزاهر.

ويجب الإشارة إلى مشاريع سابقة للعهد السعودي استهدفت تطوير المنطقة، حيث مر من هذا الطريقالتلغراف الموصل بين مكة والطائف[268]، كما فتح مركزا للهاتف يربط الطائف بمكة في عهد الشريف حسين بن علي[269] وهو العهد الهاشمي السابق للعهد السعودي.

أما في العهد السعودي فقد شملت الإنجازات في العهد السعودي في جبال كرا مشاريع متعددة وهي:

1 -تعبيد الطريق وسفلتته. 2 - مشروع النقل المعلق.

3 - مشروع نفق تحلية المياه. 4 - الطريق المزدوج.

وسيتم تتبع مراحل هذا التطور في عهد ملوك المملكة العربية السعودية في العهد السعودي الزاهر.

الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود:

يعتبر إنشاء شبكة النقل البري من أهم الإنجازات التنموية التي حققتها المملكة لأنها ركيزة تنموية لتحقيق ربط أجزاء البلاد المترامية الأطراف ببعضها، توفير سبلاآمنة وميسرة لحركة المسافرين وتدفق البضائع، وتساهم بفاعلية في نقل المسافرين والبضائع، لتحقيق رفاهية المواطن بتقديم خدمة التنقل من مكان لآخر[270]. وتبدأ مسيرة الاهتمام بالمواصلات والنقل البري بتأسيس وزارة المواصلات في عام 1373هـ/ سبتمبر 1953م، لتعنى بالنقل البري إنشاءً وصيانة[271].

وقد أولى الملك عبد العزيز طريق جبال كرى عنايته واهتمامه[272]. ومُد الإسفلت على أكتاف جبل كرا[273]، وتمت سفلتته لأول مرة[274]، وعبد هذا الطريق وأصبحت تسير فيه السيارات[275].ومر بمراحل توسعة حتى أصبح يتسع لثلاث أو أربع سيارات في آن واحد[276]، وشقت الصخور الصلبة الجرانيتيه التي يتطاير الفولاذ قبل أن يفلقها[277]، ودوى صوت الألغام،ودمدمت فيها الدركترات الضخمة، وتفجر في أصلادها وصخورها البارود واقتحمها الحديد، فطوعها للسيارات[278]، والمنحدر في هذا الطريق أو الصاعد إليه لا يشعر بأنه يسلك طريقاً هذا شأنه، وينسى ما شاهد فيه، وهو في قمته أو في سفحه وكأنما يسير في طريق مألوفلأن ارتفاعه نسبيا[279].

وبدأت مراحل اصلاح طريق الهدا وتمهيده ليتسنى وصول المصطافين اليه على السيارات[280]، وصدرت عدة قرارات لتعبيد الطرق وتمهيد طريق الهدى لراحة المصطافين والقادمين الى الطائف، ومن ذلك إصدار سمو النائب العام الأمير فيصل بن عبدالعزيز أوامره بتمهيد الطريق وبدء العمل[281].

كما تم الاهتمام بطريق الهدا في جانبه الشرقي حيث أمر بإصلاح الطريق بين الطائف ووادي محرم والهدا[282]، بعد أن كان يمثل مشقة للسالكين كما ذكر أحد الرحالة الذين سلكوا الطريق- آنذاك- وأوصى بضرورة إصلاح الطريق نظرا لقيام الركبان فيه بترجل العقبة في وسط الطريق[283]. وفي عام 1356هـ/ 1937م، رست مقاولة اصلاحه على شركة المانية. غير أن إصلاحه توقف، فعند توقيع العقد تم تأجيله بعد مقاطعة الشركة من قبل الجامعة العربية فتأجل مشروع إصلاحه[284]، إثر أحداث الحرب العالمية الثانية.ولم تتوقف محاولات الإصلاح رغم ذلك ففي عام 1358هـ/ 1939م أُصلح طريق الهدا ومُهِدْ ليتسنى وصول المصطافين إليه كما أصلح الطريق مرة أخرى في عام 1359هـ/1940م[285].وتم بذل المساهمات الخاصة من الأهالي لدعم إصلاح هذا الطريق[286].وتزايدت شكوى المسافرين من تهالك هذا الطريق، مما يعوق حركة الانتقال من الطائف وإليها، وأصلح الطريق في عام 1368هـ/ 1949م، إلا أن بعض أجزاء من الطريق تعرضت للتلف والخراب،وفي عام 1369هـ/ 1950مأعيد طرح إصلاح الطريق مرة أخرى حين اقترح الأمير

فيصل بن عبد العزيز فكرة مرور طريق مكة المكرمة عبر جبل الكرا، وطلب إجراء كشف فني على هذا الطريق[287].وقررت الحكومة رصف الطريق، بالأسفلت على أحدث الطرز الفنية، وكان أقصر من سابقه بنحو النصف، إذ إن الطريق القديم يبلغ طوله حوال (130) كم، أما الجديد فيبلغ حوالي (60 – 70) كم، واستعداداً لفصل الصيف قامت مصلحة الطرق بإصلاح الطريق وتعبيده في عام 1371هـ/ 1950م، غير أن الطريق بقي على ما هو عليه، وذلك لقيام المصلحة بأعمال التعبيد دون السفلته وتضررت أجزاء منه من جراء السيول[288]. وفي عام 1372هـ/ 1952م، أعلنت وزارة المالية مناقصة تعبيد الطريق وسفلتته، وعمل الجسور والمعابر اللازمة على المواصفات الفنية، غير أنه لم يتقدم أحد من الشركات أو المقاولين لهذا العمل، واستمر تمديد لمناقصة حتى آخر رجب من عام 1372هـ/ 1952م[289]. ورغم توقف المشروع مدة من الوقت إلا أنه استكمل في عهد أبناءه من بعده.

الملك سعود بن عبد العزيز آل سعود:

استمرت مسيرة التطور في وسائل النقل البري في عهود ملوك المملكة العربية السعودية[290] ففي عهد الملك سعود صدرأمره الكريم إلى وزارة المواصلات عام 1377هـ/1958م بإنشاء وترسية مشروع طريق الطائف الهدا / مكة المكرمة بطول (67 كيلاً)[291]. وأسند تنفيذ هذا العمل إلى المعلِّم محمد بن لادن[292]، المقاول المعروف[293]، ورست مقاولة اصلاحه في عام ١٣٧٦ه/ 1956م[294]. ووجه جلالته مؤسسة محمد بن لادن بتكملة وصيانة الطريق في أثناء زيارته إلى الطائف[295].وبدأ العمل في هذا الطريق في شهر ربيع الثاني من سنة ١٣٧٩هـ/1959م[296].

الملك فيصل بن عبد العزيز آل سعود:

استكمل في عهد الملك فيصل مشروع طريق الهدا/ مكة في جبل كرا خاصة وأنه أشرف على المشروع إبان ولايته للعهد، حيث تولى متابعة تنفيذ هذا المشروع الكبير والإشراف على مراحل التنفيذ الذي صمم على أعلى المستويات العالمية للطرق[297]. ويبلغ طوله (87) كم موزعة كالتالي: (21) كيلو متر من مكة إلى عرفات. (23) كيلو متر من عرفات إلى الكر، (23) كيلو متر من الكر إلى الهدا، (20) كيلو متر من الهدا إلى الطائف[298]، واختصر هذا الطريق المسافة بين مكة والطائف إلى (89) كيلاً تقطعها السيارة في ساعة واحدة بعد أن كان السفر إلى الطائف عبر طريقه الأول مشقة وتعباً[299]. وأحيط الطريق بحواجز اسمنتية على طول الطريق بارتفاع ٧٠ سم. نسبة ال في طريق كرا 6٪ وهذه النسبة لم يسبق أن طبقت في الشرق الأوسط علما المقياس العالمي المتبع هو من ٧ ٪ إلى 9 ٪ مقياس المنسوب في طرد الطائف واحد بينما تختلف المقاييس في الطرق العالمية المماثلة، بلغ عدد الجسور والعبارات التي أنشئت في الطريق لتصريف مياه السيول ١٠٣ ما بين كبير وصغير، وبلغت كميات الديناميت التي استعملت في نسف الصخور (١٢٠٠) طن. بلغت كميات الخرسانة المسلحة التي أقيمت منها الجسور والحواجز وغيرها ثمانين ألف متر مكعبا. وبلغت كميات الخرسانات البيضاء التي استعملت في الجبل (٣٤٠) متر مكعبا. وقد قدرت التكاليف لهذا الطريق ١٠٠ مليون ريال ثم زيدت إلى أن بلغت ١٨٠ مليون ريال[300].وتم افتتاح

طريق الطائف - مكة - عبر جبل كرا بمنطقة الهدا في يوم الأربعاء 3 صفر١٣٨٥هـ/1 يونيو 1965م[301]، افتتح جلالة الملك فيصل بن عبد العزيز آل سعود هذا الطريق في حفل كبير دعي إليه أكبر عدد من المواطنين ورجال السلك السياسي والصحافة والإذاعة والتلفزيون العربي والأجنبي والمحلي لنقل صور حية للحفل التاريخي الكبير[302]، في حفل أقامته وزارة المواصلات وسط حضور شعبي جماهيري وسياسي ودبلوماسي، وألقى وزير المواصلات كلمة وضح فيها أهداف المشروع وإنجازه[303]، ونظمت قصائد في الافتتاح[304]، وخرجت الصحافة داخلياً وخارجياً تتحدث عن هذا الإنجاز الضخم[305]. ويعد الطريق معجزة تحققت في العصر السعودي وإنجاز عالمي في مجال الطرق، حيث نفذ أضخم مشروع للطرق حققته الدولة في تاريخها الحديث آنذاك، فهو الشريان الرئيسي لمدينة الطائف الذي يربطها بمكة وجدة، الذي يعد أول طريق من نوعه ليس في المملكة العربية السعودية فحسب بل في الشرق الأوسط في ذلك التاريخ[306] وتمثل هذه المرحلة الأولى من الطريق المسفلت.

كما كانت الطائف مصيفا لملوك المملكة العربية السعودية، وفكان الملك فيصل يصل الى الطائف عبر طريق الهدا لقضاء بعض الوقت بالمصيف[307].

الملك خالد بن عبد العزيز آل سعود:

استمرت المشاريع العملاقة لتطوير هذا الطريق ففي عهد الملك خالد افتتحت التوسعة الجديدة للطريق، كما شملت مشاريع تنموية تهدف إلى الرُقي بالإنسان في هذه البلاد، ومن أبرزها افتتاح جلالة الملك خالد مجموعة مشاريع بمنطقة الهدا بالطائف[308]، وأوكلت أعمال التطوير إلى شركة الهدا المحدودة[309]، وكانت تتم متابعة المشاريع بزيارات تفقدية لمنطقة الهدا والطائف[310]. مثل مشروع مياه الطائف والهدا وبلغت تكلفة المشروع ٣٢٠ مليون ريال[311]، وافتتاح مستشفى القوات المسلحة بالهدافي 28 شعبان 1400/ 11 يونيو 1980م[312].

الملك فهد بن عبد العزيز آل سعود:

قطعت المملكة العربية السعودية في عهد خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز آل سعود، خلال عقدين من الزمن خطوات مهمة في مجال التنمية والتطور، وحظي قطاع النقل البري بمراحل تطويرية هائلة انعكست على تنمية اقتصاد الوطن عبر وسائط النقل المختلفة ضمن خطة التنمية الثالثة[313]. وكان لمدينة الطائف - نظراً لأهميتها كمصيف دائم[314]- نصيبا وافرا من المشاريع التنموية والخدمية وتعزيز البنية الأساسية لها، باعتبارها واجهة سياحية كبرى ومن المناطق الرئيسية بالمملكة، وحظيت جبال كرا بذات الاهتمام.

ففي عهد خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز بدأت توسعة طريق مكة الطائف[315]، وهي مشاريع أنجزت ضمن خطة التنمية الثالثة (1400-1405هـ/ 1980-1985م) التي تسلم خادم الحرمين إبانها مقاليد الحكم، وتمثل تحولاً ملحوظاً في إنجازات الطرق حيث استكملت وزارة المواصلات خلال هذه الخطة شبكات الطرق الرئيسية، كما تم تحديث طرق أخرى في أرجاء المملكة[316]. وكانت صيانة طرق العقبات تعد الأبرز نظرا لتضاريسها الجبلية ومناخها المتقلب كثير الأمطار[317]، وأبرزها عقبة طريق الهدا. ومن هذه المشاريع:

مشروع نفق تحلية المياه.

لم تقتصر الإنجازات في جبل كرا على الطرق، بل شملت مشاريع عملاقة عبر هذا الجبل حيث تم إنشاء نفقا للمياه عبر جبل كرا[318]، يخترق قمة جبل بارتفاع عند مدخل النفق من الجهة الغربية (1170م) بينما يبلغ ارتفاعه من الجهة الشرقية (1770م) وتكلفة المشروع (250) مليون بطول (12.2) كم وارتفاع خمسة أمتار، وصدرت الموافقة السامية 11 رمضان 1403هـ/ 21 يونيو 1983م وهي تضمن إمداد مدينتي مكة المكرمة والطائف بما مقداره (40) مليون جالون من المياه في المرحلة الأولى وما يخص مدينة الطائف (15) مليون جالون عبر مشروع محطة تحلية الشعيبة[319].

مشروع النقل المعلق:

ومن المشاريع السياحية في جبل كرا مشروع النقل المعلق في منطقة الهدا وقد تم اختيار هذه لتنفيذهذا المشروع لكونها تقع على الحافة الغربية لمرتفعات الحجاز وتطل مباشرة على سهول تهامة من ارتفاع (2000) متر فوق سطح البحر[320]. وتم تشغيل النقل المعلق في منطقة الهدا عام 1422هـ/ 2001م. ويربط النقل المعلق بين المحطة العلوية التي ترتفع (2000) متر فوق سطح البحر والمحطة السفلية التي تقع في منطقة الكر على ارتفاع (900) متر فوق سطح البحر، ويمتد هذا الخط بمحاذاة طريق المشاة القديم، ويبلغ طول هذا الخط (4200) متر للاتجاه الواحد وللاتجاهين (7400) متر، وتصل السرعة إلى ستة أمتار في الثانية، وتبلغ طاقة النقل بالساعة ذهاباً وإياباً (2000) شخص. وتجري الصيانة للخط والعرباتبشكل يومي قبل وبعد التشغيل، وبشكل أسبوعي، وقبل بداية موسم الصيف وبعده، وكذلك إجراء الصيانة من قبل الشركة المنفذة للخط (دوبلماير)[321].

الطريق المزدوج:

لم تكتف الإنجازات السعودية بشق هذا الطريق عبر التفافات الجبل الملتوية وتعبيده بالإسفلت، بل شملت عمليات التطوير فيه مراحل عدة مثل مشروع ازدواج الطريق.

بدأ مشروع توسعة طريق جبل كرا وجعله مزدوجا في طريقين منفصلين كل طريق يحتوي على ثلاث مسارات بالإضافة إلى المواقف الجانبية وعمل على جانبي الطريق أسلاك شائكة لمنع دخول المواشي إليه كما عمل للطريق كباري وعبارات لتصريف مياه السيول وشجر وأضيئ بعض منه ولم يتبق الا جزء يسير في جبل كرا[322]. واستكمل المشروع في عهد الملك عبدالله.

كما شملت مشاريع التطوير الاهتمام بالجانب الشرقي لجبل كرا حيث تم إنشاء طريق الملك فهد الدائري يصل طريق الهدا بالشفا عبر الطائف ويبلغ طوله (11) كم وبلغت تكاليف إنشائه (109) مليون ريال[323].

الملك عبدالله بن عبد العزيز آل سعود:

وفي عهد خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز تم وضع حجر الأساس والتوسعة الجديدة الثانية لازدواج طريق الهدا- الكُرّ يوم 27 جمادى الآخرة 1427هـ/ 23 يونيو

2006م، وفي بداية عام 1427هـ/ 2006م بدأت المرحلة الثانية في توسعة بعض المسارات ليكون مزدوجاً لعبور السيارات[324]. وبلغت توسعة وازدواج طريق الهدا / الكُر بلغ (22) كيلًا بقيمة إجمالية تزيد عن (198) مليون ريال والطريق من اتجاهين بمسارين في كل اتجاه مع كتف خارجي بعرض (2م) وداخلي بعض (5م)، يفصل بينهما جزيرة وسطية (حواجز خرسانية) بعرض (7م)، إضافة إلى جسر فوق وادي المعسل[325]. ولعل أبدع من وصف هذا الطريق المزدوج المؤرخ العلاّمة ابن خميس في مجازه فقال:» وإذا كنت من هواة الاستطلاع وطلاب المعرفة فلك أمام هذا الجبل وقفتان: وقفة في مكانك هذا حيث تشاهد امامك هذا المنحدر السحيق يمور الغمام بينك وبين نهايته وينعقد الدخان بينك وبين أديم الأرض وترى السيارات التي تمر بك وأنت في مكانك هذا منحدرة تراها بعد فترة وقد نكبت الجبل خلفها كأنها لعيبات أطفال تمر فوق خيط أسود، أما وقفتك الثانية فحينما تكون منه في السفح ولتكن في رحبة (الكر) ارجع البصر إلى حيث كنت في وقفتك الأولى وتأمل كيف انتقلت من ذلك الارتفاع الهائل إلى حيث انت الآن بهذه السرعة والسهولة واليسر.. وإذا كان الوقت ليلاً فانظر إلى أنوار السيارات في عرض هذا الطود تمرق كالسهام وكأنك لا تشاهد منظراً طبيعياً وإنما هو أشبه بالشريط السينمائي المتلاحق» آ.هـ[326]. ولم تتوقف مسيرة الإنجازات في عهد الملك سلمان بن عبدالعزيز وهو ما سيتم في أبحاث أخرى توثق مسيرة التطور والتقدم في كل المجالات.

الخاتمة:

تناول هذا البحث طريق جبل كرا بالطائف (923- 1436هـ/ 1517-2015م) دراسة تاريخية تحليلية وتوصل البحث إلى عدة نتائج، أوضحت أهمية طريق جبل كرا نظرا لكونه المنفذ الغربي بين مدينة الطائف ومكة المكرمة وبينت الدراسة المعاني اللغوية للمسمى كما تناولت الوصف الجغرافي له وتناول أيضا البحث الوضع الإداري له, كما تتطرق الدراسة إلى أهمية الطريق في الجانب الاقتصادي كالزراعة وأهميتها كمصدر للغذاء لما حولها من المدن، إضافة إلى كونه مصيفاً دائماً نظرا للأجواء المعتدلة، مما جعله وجهة سياحية في الحجاز، وتناول البحث منابع المياه والأودية التي تسيل من هذه الجبال، إضافة إلى الاستراحات التي كان يَعْمُرُ بها الطريق بمرور القوافل والرحالة على هذه الاستراحات والمقاهي, كما أوضحت الدراسة الاهتمام التاريخي بهذا الطريق الذي حظي باهتمام الدول الإسلامية وتم تعميره في مراحل مبكرة، ثم التطور الكبير الذي شهده الطريق في العهد السعودي في عهد ملوك المملكة العربية السعودية. وما تزال تتواصل عمليات التطور في العهد السعودي الزاهر.

ومن أهم النتائج والتوصيات:

إبراز الدور التاريخي والأثري لهذا الطريق وهو ما بدأت به وزارة السياحة حيث تمت كتابة لوحات على جانبي الطريق للدلالة على بعض المعالم الأثرية غير أنها خطوة تحتاج لإبراز أكثر، ومن التوصيات عدم ردم المناطق القديمة على الجبل ومواصلة الاهتمام بإبرازها آثاراً شاهدة على الدور الحيوي الكبير لهذا الطريق، ومن أهم توصيات الدراسات ضرورة تأهيل المقاهي

والاستراحات المذكورة في كتب المعاجم والرحلات وربطها بالتطور الموجود حالياً في الطرق المزدوجة.

وحبذا لو جعلت وزارة السياحة لهذه المرافق التاريخية حظاً أكثر من الاهتمام، فشدّاد والمعسل كلها مواقع كان لها تاريخ تحكيه كتب الرحلات والقوافل وهي اليوم أماكن نائية تعبرها السيارات بدون أي انتباه، وتوصي الدراسة بإعادة تأهيلها كمعالم تاريخية.

ومن التوصيات ضرورة ربط المشاريع الحديثة اليوم في الجبل بالمواقع الأثرية وربطها بالمشاريع الحديثةالمقامة حالياً مثل نفق المياه، ومنتزه منطقة الكُرّ.وتتوجه الدراسة باقتراح لهيئة السياحة عن إبراز الدور التاريخي والآثري للمناطق: **المعسلوشدادوالكُرّوإعادة أخصّاصها**، واقتراح **إنشاء متحف الكُرّ التاريخي** في (منتزهالكُرّ)- الموجود حالياً-لإثراء الموقع سياحياً وثقافياً. ومن التوصيات تهيئة الجبل ليكون لوحة أثرية للعربات المعلقة التي تتدلى الطريق من أعلاه إلى أسفله.

الهوامش:

(1) عبدالله بن محمد ابن خميس: المجاز بين اليمامة والحجاز، (ط3، جدة، دار تهامة، الكتاب العربي السعودي، 1402هـ/ 1981م)، ص274.

(2) عبد الله بن عبد العزيز البكري الاندلسي أبو عبيد (ت 487هـ): معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، تحقيق: مصطفى السقا، (بيروت، عالم الكتب، 1368هـ / 1949م)، ج4، ص 1120

(3) عبد الله بن عبد العزيز البكري الاندلسي أبو عبيد: المصدر السابق، ج4، ص 1121.

(4) كرى، فهو كر وكريان وكرى، وهي كرية، مخففة: نعس، وعدا شديداً . وأكرى: زاد ونقص، ضد، وسهر في طاعة الله، وكغنى: المكاري، ونبت، واحدته: بهاء، والكثير من الشيء. والكروة والكراء بكسرهما أجرة المستأجر, كاراه مكاراة وكراء واكتراه، وأكراني دابته، الكروة والكرو، ويضم وجمع المكاري: أكرياء ومكارون. وقيل الكرا: فحج في الساقين، أو دقتهما، وضخم الذراعين، امرأة كرواء، وقد كريت كرا، والكروان: بطوس، والحجل، والقبج، وهي: بهاء ج: كراوين وكروان، بالكسر، ويقال للذكر: الكرا، و « أطرق كرا « يضرب لمن يُخدع بكلام يلطف له، ويراد به العائلة، والكرة، كثبةِ: ما أدرت من شيء، كرين وكرين وكرى وكرات، بضمهما وكرا بها يكرو ويكري: لعب، وكسماء. ويضاف إليه عقبة شاقة بالطائف. (مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزي أبادي (ت 817هـ): القاموس المحيط، (ط6، دمشق، مؤسسة الرسالة، 1998م)،، ص 1328).

(5) وكرى: اسم المكان المشار إليه . (محمد أمين بن فضل الله بن محب الدين المحبي (1061-1111هـ): ذيل نفحة الريحانة، تحقيق عبد الفتاح محمد الحلو، ج6، (ط1، عيسى البابي الحلبي وشركاه، 1391هـ/ 1971م)، ج6، ص477).

(6) كرى بمعنى أي النوم. (الفيروزي أبادي: المصدر السابق، ص 1328).

(7) قد يكون دلالة على علم.

(8) المكاري: الأجراء. (الفيروزي أبادي: المصدر السابق، ص 1328).

(9) فهو مثل قوله: لعزة موحشاً طلل، وقال آخر: منعناكم كراء وجانبيه كما منع العزيز وحا اللهام.(عاتق بن غيث البلادي: معجم معالم الحجاز، (ط2، مكة، دار مكة للنشر والتوزيع، 1431هـ/ 2010م)، ج1-10، ص 1437).

قال ابن أحمر:

وهُنَّ كأَنَّهُنَّ ظِباء مردٍ ببطن كراء يسفين الهدالا

وقال طُفيل:

كأغلب من أُسود كراء وردٍ يردُّ خشاته الرجل الظلومُ

وقال عُروةُ بن الورد:

تحلُّ بوادٍ من كراء مضلةٍ تُحاول سلمى أن هاب وأحصراَ

(10) عبد الله بن عبد العزيز البكري الاندلسي أبو عبيد: المصدر السابق، ج4، ص 1121).

(11) عاتق بن غيث البلادي: معجم معالم الحجاز، ص 1436.

(12) شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (ت 626ه): معجم البلدان، تحقيق: إحسان عباس، (ط2، بيروت، دار صادر، 1995م)، ج4، ص442.

(13) عبد الله بن عبد العزيز البكري الاندلسي أبو عبيد: المصدر السابق، ج4، ص 1121.

(14) الفيروزي أبادي: المصدر السابق، ص 1328.

(15) حماد السالمي : الطائف في شذراتها غزاوي، (ط1، دار ثقيف للنشر والتأليف، 1414هـ/ 1994م)، ص 77 هامش (1).

(16) اكرا هذه في الحجاز، وهي غير اكرا الواقعة جنوب دهلي في الهند – وتلفظ بالجيم المصرية – منزل اباطرة الهند المسلمين، التي بنى فيها السلطان شاهجهان تاج محل، أجمل أبنية الدنيا. (محمد بن عبد الله الحسيني الموسوي ابن كبريت (1012-1070ه): رحلة الشتاء والصيف، حققها وقدمها وفهرسها الأستاذ محمد سعيد الطنطاوي، (ط2، الطبعة على نفقة الشيخ محمد نصيف وشركاه، بيروت، المكتب الإسلامي للطباعة والنشر، 1385هـ). ص15).

(17) شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي: المصدر السابق، ج4، ص442، عبد الله بن عبد العزيز البكري الاندلسي أبو عبيد: المصدر السابق، ج4، ص 1121.

(18) شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي: المصدر السابق، ج4، ص442.

(19) عاتق بن غيث البلادي: معجم معالم الحجاز، ص 1436.

(20) نجم الدين عمارة بن علي اليمني الشاعر المشهور (ت 569هـ): تاريخ اليمن المسمى المفيد في أخبار صنعاء وزبيد وشعراء ملوكها وأعيانها وأدبائها، حققه وعلق عليه: محمد بن علي الأكوع الحوالي، (ط2، د. ن، 1396هـ/ 1976م)، ص 75 هامش 7

(21) وسميت الهدأة بهذا المسمى لأنها في وسق الجبل فإذا وصل إليها السائر كان قد كلّ فهدأة من سيرة واستراح. عاتق بن غيث البلادي: معجم معالم الحجاز: ص 1824.

(22) الهَدّةُ: بالفتح ثم التشديد، وهو الخسفة في الأرض، والهدّ الهدم، والنسبة إليها هدويّ، وقد خفّف بعضهم داله. ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج 5، ص395

(23) هَدَى: بالفتح، منقول عن الفعل الماضي من هدى يهدي إذا أرشد. ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج 5، ص394

(24) خير الدين الزركلي: ما رأيت وما سمعت، (الطائف، مكتبة المعارف، ط.ت)، ص 77.

(25) حماد بن حامد السالمي: المعجم الجغرافي لمحافظة الطائف اكثر من 4 آلاف مفردة جغرافية لأشهر وأكبر المواضع والأمكنة، (ط1، الطائف، الإدارة العامة للتعليم، لجنة المطبوعات في التنشيط السياحي، 1424هـ/ 2003م)،ج2، ص 1410.

(26) عاتق بن غيث البلادي: معجم معالم الحجاز، ص 1824.

(27) الهَـدْأةُ: ذكـره البخـاري في قتـل عاصـم قـال: وهـو موضـع بـين عسـفان ومكـة، وكـذا ضبطـه أبـو عبيـد البكـري الأندلـسي، وقـال أبـو حاتـم: يقـال لموضـع بـين مكـة والطائـف الهـدة، بغـير ألـف، وهـو غـير الأول ذكـر معـه لنفـي الوهـم. (ياقـوت الحمـوي: المصـدر السـابق، ج 5، ص395).

(28) الهَـدَةُ: بتخفيـف الـدال، مـن الهـدي أو الهـدى بزيـادة هـاء. بأعـلى مـرّ الظهـران ممدرةأهـل مكـة. (والمـدر طـين أبيـض يحمـل منهـا إلى مكـة تأكلـه النسـاء ويـدق ويضـاف إليـه الإذخـر يغسـلون بـه أيديهـم)، وادٍ فحـل يسـيل مـن الـشرق إلى الغـرب موازيـاً لـوادي مـر الظهـران مـن الشـمال تفصـل بينهـما حـرة النَّهيميـة، يأخـذ أعـلى روافـده مـن الحـمام. وهـدة الأخـرى في وادي فاطمـة يفـرق بينهـا وبـين هـذه بـأن يقـال لتلـك (هـدة) الشـام. ومعناهاالشـمال.(ياقـوت الحمـوي: المصـدر السـابق، ج 5، ص395-396؛ عاتـق بـن غيـث البـلادي: معجـم معـالم الحجـاز، ص 1826؛ بـن خميـس: المصـدر السـابق، ص274).

(29) وهـو طريـق الزائـر المـاشي عـلى الاقـدام وكان هـذا الطريـق يمـر بالهـدة، ومـا زالـت الحـرة المتصلـة بهـا مـن الغـرب والشـمال. (عاتـق بـن غيـث البـلادي: معجـم معـالم الحجـاز، ص 1828).

(30) الهـدى: وادٍ يسـيل مـن جبـل شـيبان فيصـب في وادي الصفـراء مـن مطلـع الشـمس.(عاتـق بـن غيـث البـلادي: معجـم معـالم الحجـاز، ص 1823).

(31) القـاضي عيـد، حنيـف الديـن ابـن القـاضي محمـد المشـهور بالقـاضي عيـد (ت 1143هـ): رسـالة في عـمارة العينـين عـين نعـمان وعـين حنـين، دراسـة وتحقيـق نـاصر بـن عـلي الحـارثي، (ط1، الطائـف، لجنـة المطبوعـات في التنشـيط السـياحي بمحافظـة الطائـف، 1423هـ/ 2002م)، ص 28.

(32) ابن خميس: المصدر السابق، ص -274 278.

(33) جـون لويـس بيركهـارت: رحـلات إلى شـبه الجزيـرة العربيـة يتضمـن وصفـا لمناطـق في الحجـاز، (هـنري كولـبرن، نيـو بيرلينغتـون سـتريت، سـنة 1829م، دار الانتشـار العـربي)، ص77

(34) ابن خميس: المصدر السابق، ص -274 278.

(35) حماد السالمي: الطائف في شذرات غراوي، ص38.

(36) العبـاس عـلي بـن نـور الديـن المـكي الحسـيني الموسـوي: نزهـة الجليـس ومنيـة الأدب الأنيـس، ج2، (النجـف الأشرف، المطبعـة الحيدريـة، 1386هـ 1967م)، ص 384.

(37) شـارل ديديـه: رحلـة إلى الحجـاز في النصـف الثـاني مـن القرنالتاسـع عـشر الميـلادي1854م، ترجمـة: محمـد خـير البقاعـي، (دار الفيصـل الثقافيـة، 1422ه/ 2001م، ص 283؛ موريـس تامزيـه: رحلـة في بـلاد العـرب الحجـاز الدكتـور/ محمـد بـن عبـد اللـه آل زلفـة، (دار بـلاد العـرب للنـشر والتوزيـع 1421هـ / 2001م)، ص 331، هامـش (1).

(38) موريس تامزيه: المرجع السابق، ص 331 ، هامش (1).

(39) شارل ديديه: المرجع السابق، ص 291.

(40) موريس تامزيه: المرجع السابق، ص 330.

(41) شارل ديديه: المرجع السابق، ص 284.

(42) ابن خميس: المصدر السابق، ص279.

(43) أبـو سـالم عبداللـه بـن محمـد العياشي:الرحلـة العياشـية 1661 – 1663م، تحقيـق: سـعيد الفاضـلي، وسـليمان القـرشي، ط1، (أبوظبـي: دار السـويدي للنـشر والتوزيـع، 2006م)، مـج 2، ص 178.

(44) الأمـير شـكيب أرسـلان: الرحلـة الحجازيـة المسـماة الإرتسـامات اللطـاف في خاطـر الحـاج إلى أقـدس مطـاف، قـدم لهـا وعلـق عليهـا: السـيد محمـد رشـيد رضـا، صححهـا وعلـق عليهـا: حسـن السـماحي سـويدان، (ط2، بـيروت، شركـة النـوادر اللبنانيـة، 1434هــ/ 2013م)، ص 356.

(45) خير الدين الزركلي: المرجع السابق، ص 77.

(46) الأمير شكيب أرسلان: المرجع السابق ص 356.

(47) ابن خميس: المصدر السابق، ص274.

(48) نفس المصدر، ص 278.

(49) محمد صادق: الرحلات الحجازية، (ط1، بيروت، بدر للنشر والتوزيع، 1999م)، ص 351.

(50) حماد السالمي: الطائف في شذرات غراوي، ص38.

(51) عاتق بن غيث البلادي: قلب الحجاز، ص 203.

(52) نجم الدين عمارة بن علي اليمني: المرجع السابق، ص 75 هامش 7.

(53) زهـير عبـد اللـه حسـين مـكي: النقـل البري في المملكـة العربيـة السـعودية، (الكويـت، مركـز دراسـات الخليـج والجزيـرة العربيـة، جامعـة الكويـت، 2008م)، ص 47.

(54) 54أبي العباس علي بن نور الدين المكي الحسيني الموسوي: المصدر السابق، ص 384.

(55) 55البـلادي، عاتـق بـن غيـث: قلـب الحجـاز (بحـوث جغرافيـة وتاريخيـة وأدبيـة)، (ط 1، مكـة المكرمـة، دار مكـة للنـشر والتوزيـع، 1405هــ/ 1985م)، ص 203

(56) حماد السالمي: الطائف في شذراتها غزاوي، ص 76.

(57) نفس المرجع، ص 61.

(58) عاتق بن غيث البلادي: قلب الحجاز، ص 203.

(59) نفس المرجع، ص 203.

(60) زهير عبد الله حسين مكي: المرجع السابق، ص 47.

(61) خير الدين الزركلي: المرجع السابق، ص 74.

(62) نجم الدين عمارة بن علي اليمني: المرجع السابق، ص 76.

(63) القاضي حنيف الدين ابن القاضي محمد المشهور بالقاضي عيد: المصدر السابق، ص 28.

(64) محمد صادق: المرجع السابق، ص 352.

(65) محمـد لبيـب البتنـوني: الرحلـة الحجازيـة لـولي النعـم الحـاج عبـاس حلمـي باشـا الثـاني خديـوي مـصر (سـنة 1327هــ)، مراجعـة وتدقيـق وتقديـم طـه إسـماعيل أحمـد،(ط1، الإسـكندرية، دار الوفـاء لدنيـا الطباعـة والنـشر، 2017م)، ص 51-52؛ شـارل ديديـه: المرجـع السـابق، ص288؛ موريـس تامزيـه: المرجـع السـابق، ص 330؛ الـزركلي: المرجـع السـابق، ص 74.

(66) حماد السالمي: الطائف في شذرات غراوي، ص38.

(67) زهير عبد الله حسين مكي: المرجع السابق، ص 47.

(68) بيركهارت: المرجع السابق، ص77.

(69) العياشي: المرجع السابق، ص 178.

(70) خير الدين الزركلي: المرجع السابق، ص 74.

(71) القاضي حنيف الدين ابن القاضي محمد: المصدر السابق، ص 28.

(72) شارل ديديه: المرجع السابق، ص 288.

(73) أبي العباس علي بن نور الدين المكي الحسيني الموسوي: المصدر السابق، ص 384.

(74) المحبي: المصدر السابق، ج6، ص477.

(75) نفس المصدر، ج6، ص477.

(76) خير الدين الزركلي: المرجع السابق، ص 71.

(77) نفس المرجع، ص 74.

(78) شارل ديديه: المرجع السابق، ص 285.

(79) خير الدين الزركلي: المرجع السابق، ص 73.

وهو الذي يقول فيه شاعرهم:

عج عن كرى فهو مزيج الكرى والنفس منه نفسا تخرج

وفي الهَدَى ضد الهُدى مساكن يوشك من يسلكه يخرج

(80) الأمير شكيب أرسلان: المرجع السابق ص 356.

من ذلك يقول شاعرهم من الغناء اليماني، أو الحدري:

(81) (ونيت ونة وأنا معطى كرا وارتج نعمان وارتج من ونتي كبكب وقصر العابدية). عاتق بن غيث البلادي: معجم معالم الحجاز، ص 1436.

(82) حماد السالمي: الطائف في شذرات غزاوي، ص 61.

(83) زهير عبد الله حسين مكي: المرجع السابق، ص 160.

(84) الامير شكيب أرسلان: المرجع السابق ص 356؛ حماد السالمي: الطائف في شذرات غراوي، ص38.

(85) قرية الهدا تحوي سبع قرى على عدد القبائل النازلة فيها وتسمى بأسماء قبائلها وهي: الغشامرة، بنو صخر، والقصران، والأغربة، والأخولة، واللمضة، والبنى، إضافة إلى سكان من ثقيف وقريش. (خير الدين الزركلي: المرجع السابق، ص75؛ عاتق بن غيث البلادي: معجم معالم الحجاز: ص 1824).

(86) زهير عبد الله حسين مكي: المرجع السابق، ص 160.

(87) عاتق بن غيث البلادي: معجم معالم الحجاز: ص 1824.

(88) محمد جار الله بن عبدالعزيز بن عمرو بن فهد الهاشمي القرشي المكي (ت 954م): تحفة اللطائف في فضائل الحبر ابن عباس ووجّ والطائف، تعليق ومراجعة: محمد سعيد كمال، محمد منصور الشقحاء، (الطائف، مطبوعات نادي الطائف الأدبي، د.ت)، ص41-49.

(89) محمد طاهر الكردي: التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، تحقيق عبد الملك بن دهيش، (لبنان، دار خضر للطباعة والنشر، د.ت)، ج2، ص270.

(90) بيركهارت: المرجع السابق، ص77.

(91) أبي عبدالله محمد بن إسحاق ابن العباس الفاكهي المكي: أخبار مكة في قديم الدهر وحديث، دراسة وتحقيق: عبد الملك بن دهيش، (ط1، مكة المكرمة، مكتبة ومطبعة النهضة الأخيرة، 1407هـ/ 1987م)، ص 68، هامش المحقق.

(92) ابن خميس: المصدر السابق، ص279.

(93) الامير شكيب أرسلان: المرجع السابق ص 356؛ حماد السالمي: الطائف في شذرات غراوي، ص38؛ زهير عبد الله حسين مكي: المرجع السابق، ص 160.

(94) بيركهارت: المرجع السابق، ص77؛ حماد السالمي: الطائف في شذرات غراوي، ص 45.

(95) حماد السالمي: الطائف في شذرات غراوي، ص 45 .

(96) بيركهارت: المرجع السابق، ص77.

(97) شارل ديديه: المرجع السابق، ص 291؛ موريس تامزيه: المرجع السابق، ص 282؛ المحبي: المصدر السابق، ج6، ص473؛ العياشي: المرجع السابق، ص 178؛ خير الدين الزركلي: المرجع السابق، ص75.

(98) بيركهارت: المرجع السابق، ص75-77؛ شارل ديديه: المرجع السابق، ص 285؛ خير الدين الزركلي: المرجع السابق، ص 74

(99) أشهر من نُفي إلى الطائف مدحت باشا(1238-1301هـ/ 1822-1884م) الصدر الأعظم المشهور، الذي أعلن الدستور العثماني، ومحمود باشا الداماد، وخير الله أفندي شيخ الإسلام، وقد وصل المعتقلون إلى الطائف في سنة 1297هـ/ 1880م، ثم اغتيل مدحت باشا، وظل جثمانه مدفوناً في الطائف حتى أوفدت الجمهورية التركية في عام 1370هـ/ 1950م لجنة تولت نقل جثمانه من الطائف إلى أنقرة. (أحمد السباعي: تاريخ مكة دراسات في السياسة والعلم والاجتماع والعمران، (ط4، مكة المكرمة، مطبوعات نادي مكة الثقافي، 1399هـ/ 1979م، ج2)، ص 646.

(100) نفي إلى هذه الجبال أحد قدامى ضباط الحرس الذين تورطوا في الفتنة العسكرية عام 1825م ضد القيصر الروسي ثم هرب ولجأ إلى استانبول، وأعلن اعتناقه للإسلام، وذهب للإقامة في الحجاز مدة طويلة. (شارل ديديه: المرجع السابق، ص 289.

(101) إبراهيم رفعت باشا: مرآة الحرمين أو الرحلات الحجازية والحج ومشاعرة الدينية محلا بمئات الصور الشمسية تأليف ورسم اللواء إبراهيم رفعت باشا قومندان حرس المحمل في سنة 1318هـ / 1901م، وأمير الحج في سنة 1320هـ/ 1902م، و سنة 1325هـ/ 1908م، ج2، (ط1، القاهرة، طبعة دار الكتب المصرية، 1344هـ 1925-م)،ج2، ص 106؛ شارل ديديه: المرجع السابق، ص 289

(102) 102حماد السالمي: الطائف في شذرات غراوي، ص38.

(103) خير الدين الزركلي: المرجع السابق، ص75؛ محمد صادق: المصدر السابق، ص 331؛ شارل ديديه: المرجع السابق، ص 291؛ موريس تامزيه: المرجع السابق، ص 282.

(104) بيركهارت: المرجع السابق، ص 76.

(105) محمد جار الله بن عبدالعزيز بن عمرو بن فهد: المصدر السابق، ص41.

(106) شارل ديديه: المرجع السابق، ص 291.

(107) الأمير شكيب أرسلان: المرجع السابق ص 356.

(108) عاتق بن غيث البلادي: معجم معالم الحجاز، ص 1824-1436.

(109) بيركهارت: المرجع السابق، ص 76.

(110) شارل ديديه: المرجع السابق، ص 291.

(111) موريس تامزيه: المرجع السابق، ص . 282.

(112) خير الدين الزركلي: المرجع السابق، ص 74؛ العياشي: المرجع السابق، ص 178.

(113) خير الدين الزركلي: المرجع السابق، ص 74.

(114) خير الدين الزركلي: المرجع السابق، ص75.

(115) شارل ديديه: المرجع السابق، ص 291؛ موريس تامزيه: المرجع السابق، ص 282.

(116) الزركلي: المرجع السابق، ص 74.

(117) شارل ديديه: المرجع السابق، ص 286.

(118) حماد السالمي: الطائف في شذرات غزاوي، ص64، هامش 1.

(119) بيركهارت: المرجع السابق، ص 76.

(120) خير الدين الزركلي: المرجع السابق، ص75.

(121) موريس تامزيه: المرجع السابق، ص 282.

(122) الأمير شكيب أرسلان: المرجع السابق ص 356.

(123) العباس علي بن نور الدين المكي الحسيني الموسوي: المصدر السابق، ص 384.

(124) المحبي: المصدر السابق، ج6، ص473.

(125) شارل ديديه: المرجع السابق، ص 285.

(126) زهير عبد الله حسين مكي: المرجع السابق، ص 47.

(127) بيركهارت: المرجع السابق، ص 76.

(128) العياشي: المرجع السابق، ص 178.

(129) الأحراج: المنطقة كثيفة الشجر من أحراج الطلح والسلم، شجر الأثأب والمرخ.. (ابن خميس: المصدر السابق، ص 281. الزركلي: المرجع السابق، ص71.

(130) ابن خميس: المصدر السابق، ص 281.

(131) بيركهارت: المرجع السابق، ص77.

(132) خير الدين الزركلي: المرجع السابق، ص75.

(133) شارل ديديه: المرجع السابق، ص 286.
(134) محمد صادق: المصدر السابق، ص 331.
(135) عاتق بن غيث البلادي: معجم معالم الحجاز، ص 1824.
(136) محمد طاهر الكردي: المرجع السابق، ج2، ص270.
(137) محمد جار الله بن عبدالعزيز بن عمرو بن فهد: المصدر السابق، ص49.
(138) عاتق بن غيث البلادي: معجم معالم الحجاز، ص 1436.
(139) العياشي: المرجع السابق، ص 178.
(140) شارل ديديه: المرجع السابق، ص 291 هامش (1)؛ موريس تامزيه: المرجع السابق، ص 282.
(141) حماد السالمي: الطائف في شذرات غزاوي، ص38.
(142) الأمير شكيب أرسلان: المرجع السابق ص 356؛ بيركهارت: المرجع السابق، ص 76؛ محمد طاهر الكردي: المرجع السابق، ج2، ص270.
(143) شارل ديديه: المرجع السابق، ص 291.
(144) زهير عبد الله حسين مكي: المرجع السابق، ص 47.
(145) نفس المرجع، ص 47.
(146) ابن خميس: المصدر السابق، ص274.
(147) حماد السالمي: الطائف في شذرات غراوي، ص38.
(148) جريدة أم القرى،2 جمادى الثاني 1358هـ/ 19 يوليو 1939م.
(149) آل عيسى، عيسى بن علوي القصير: أحلى اللطائف في منتجع الطائف من العصر الجاهلي حتى الدولة السعودية، (ط1، الطائف، جامعة الطائف، 1430هـ/ 2009م)، ص236.
(150) عيسى بن علوي القصير آل عيسى: المرجع السابق، ص273.
(151) زهير عبد الله حسين مكي: المرجع السابق، ص 160.
(152) البنتوني: المرجع السابق، ص 51-52.
(153) بيركهارت: المرجع السابق، ص 76.
(154) توجد لوحات تشير إلى (وادي المعسل) على طريق جبل كرا اليوم من قبل وزارة السياحة اليوم.(مشاهدات ميدانية للباحثة).
(155) محمد صادق باشا: المصدر السابق، ص 351.
(156) شارل ديديه: المرجع السابق، ص 286
(157) خير الدين الزركلي: المرجع السابق، ص75.
(158) عاتق بن غيث البلادي: معجم معالم الحجاز، ص 1621.
(159) خير الدين الزركلي: المرجع السابق، ص 74.
(160) محمد صادق باشا: المصدر السابق، ص 351 ؛ البنتوني: المرجع السابق، ص 51-52.
(161) أبي عبدالله محمد بن إسحاق ابن العباس الفاكهي: المصدر السابق، ص 68، هامش. المحقق: الشيخ عبدالملك بن دهيش.

(162) عاتق بن غيث البلادي: معجم معالم الحجاز، ص 1621؛ أبي العباس علي بن نور الدين المكي الحسيني الموسوي: المصدر السابق، ص 384.

(163) المحبي: المصدر السابق، ج6، ص 473.

(164) خير الدين الزركلي: المرجع السابق، ص 74

(165) أبي عبدالله محمد بن إسحاق ابن العباس الفاكهي: المصدر السابق، ص 68، هامش. المحقق؛ عاتق بن غيث البلادي: معجم معالم الحجاز، ص 1621؛ الزركلي: المرجع السابق، ص75

(166) أبي عبدالله محمد بن إسحاق ابن العباس الفاكهي المصدر السابق، ص 68، هامش. من رواية المحدث معالي الشيخ ابن دهيش المحقق.

(167) عاتق بن غيث البلادي: معجم معالم الحجاز، ص 1621.

(168) خير الدين الزركلي: المرجع السابق، ص75.

(169) عيسى بن علوي القصير آل عيسى: المرجع السابق، ص273.

(170) وادي نعمان الأراك، بفتح النون، وهو واد رملي، عظيم أفيح، شديد الحرارة، منحدر من جبل نجد، تنتشر فيه جُنيبات شوكية، ونباتات جميلة جداً، لها أوراق سميكة، طولها من ست إلى ثماني أقدام، ولها أزهار بيضاء وبنفسجية، بتلاتها ناعمة نعومة المخمل، وعندما ينكسر ساقها يخرج منه سائل يشيع في البلد أنه يذهب بالبصر، ويسمونها في السودان (عُشر) حيث تنتشر بكثرة،وتظهر فيه الضباع الضخمة.أكثر شعراء العرب فمن بعدهم من ذكره « وبه أدواح يانعة، يصافحها نسيم نجد فتهتز أغصانها طرباً، وتميل إلى أن تلثم أفواه الأزهار الغضة الناعمة الملتفة بحافتي ذلك الوادي. وقد كساه الخصب من مروط الزهر ألوانهاً، وعمم رؤوس هضابه أقاحي وأرجوانا». (العياشي: المرجع السابق، ص 167؛ شارل ديديه: المرجع السابق، ص281.

(171) عاتق بن غيث البلادي: معجم معالم الحجاز، ص 1436.

(172) القاضي حنيف الدين ابن القاضي محمد المشهور بالقاضي عيد: المصدر السابق، ص 28.

(173) العياشي: المرجع السابق، ص 178.

(174) القاضي حنيف الدين ابن القاضي محمد المشهور بالقاضي عيد: المصدر السابق، ص 28. محمد صادق: المرجع السابق، ص 352. العياشي: المرجع السابق، ص 167.

(175) العياشي: المرجع السابق، ص 167؛ شارل ديديه: المرجع السابق، ص 280.

(176) زهير عبد الله حسين مكي: المرجع السابق، ص 47.

(177) عاتق بن غيث البلادي: معجم معالم الحجاز، ص 1436.

(178) أبي عبدالله محمد بن إسحاق ابن العباس الفاكهي: المصدر السابق، ص 68، هامش

(179) محمد صادق: المرجع السابق، ص 352.

(180) شارل ديديه: المرجع السابق، ص 280.

(181) عاتق بن غيث البلادي: قلب الحجاز، ص11.

(182) الامير شكيب أرسلان: المرجع السابق ص 356.

(183) عاتق بن غيث البلادي: قلب الحجاز، ص13.

(184) عاتق بن غيث البلادي: معجم معالم الحجاز، ص 1824.

(185) نفس المرجع، ص 1436.

(186) حماد السالمي: الطائف في شذراتها غزاوي، ص64، هامش 1.

(187) محمد صادق باشا: المصدر السابق، ص 351؛ أبي العباس علي بن نور الدين المكي الحسيني الموسوي: المصدر السابق، ص 384؛ العياشي: المرجع السابق، ص 167؛ المحبي: المصدر السابق، ج6، ص476.

(188) محمد صادق باشا: المصدر السابق، ص 351.

(189) محمد صادق: المرجع السابق، ص 352.

(190) العياشي: المرجع السابق، ص 178.

(191) عاتق بن غيث البلادي: قلب الحجاز، ص 203.

(192) خير الدين الزركلي: المرجع السابق، ص 70.

(193) خير الدين الزركلي: المرجع السابق، ص 70.

(194) أبي العباس علي بن نور الدين المكي الحسيني الموسوي: المصدر السابق، ص 384.

(195) المحبي: المصدر السابق، ج6، ص 473.

(196) الاخصّاص مفردها خصّ، هي أماكن مظللة اشبه بالغرف وقد تكون من الخشب او العشش او غيرها. يبلغ قطر الواحد منها ثلاثة أمتار ونصف في ارتفاع متر ونصف. (محمد صادق باشا: المصدر السابق، ص 351؛ العياشي: المرجع السابق، ص 178).

(197) محمد صادق باشا: المصدر السابق، ص 351.

(198) خير الدين الزركلي: المرجع السابق، ص 70.

(199) محمد سعيد كمال: المرجع السابق، ص 117. هامش 1.

(200) خير الدين الزركلي: المرجع السابق، ص 74.

(201) أبي العباس علي بن نور الدين المكي الحسيني الموسوي: المرجع السابق، ص 111؛ شارل ديديه: المرجع السابق، ص 281.

(202) أبي العباس علي بن نور الدين المكي الحسيني الموسوي: المرجع السابق، ص 111.

(203) الحراجل الحرجل في اللغة الأرض الحرة، وقد يكون المعنى (الحراجل) أن أصلها الأحراج لكثرة ما هناك من احراج الطلح والسلم، وزيدت في آخرها اللام إلحاقاً، والحراجل في عرف أهل الطائف تعني جمع حرجلة وهي الحجارة المتراكمة وفي هذا الوادي وما يليه كثير من الحجارة في الطريق وعلى جانبيه. (خير الدين الزركلي: المرجع السابق، ص -71 هامش 1).

(204) خير الدين الزركلي: المرجع السابق، ص 74.

(205) أبي العباس علي بن نور الدين المكي الحسيني الموسوي: المصدر السابق، ص 384.

(206) من زيارات ميدانية ومشاهدات حيّة للباحثة في الموقع المذكور.

(207) العياشي: المرجع السابق، ص 167.

(208) العياشي: المرجع السابق، ص 178.

(209) خير الدين الزركلي: المرجع السابق، ص 74

(210) العياشي: المرجع السابق، ص 178.

(211) تسمى في عرف البادية بـــ (الرديفة) وهي الجبل يكون له سطح متصل بجبل آخر أكبر منه . (ابن خميس: المصدر السابق، ص 281).

(212) ابن خميس: المصدر السابق، ص 281.

(213) شارل ديديه: المرجع السابق، ص 284.

(214) أبي العباس علي بن نور الدين المكي الحسيني الموسوي: المصدر السابق، ص 384.

(215) خير الدين الزركلي: المرجع السابق، ص 74.

(216) المحبي: المصدر السابق، ج6، ص476.

(217) العياشي: المرجع السابق، ص 178.

(218) من زيارات ميدانية ومشاهدات حيّة للباحثة في الموقع المذكور.

(219) حماد السالمي: الطائف في شذراتها غزاوي، ص64، هامش 1.

(220) محمد صادق: المرجع السابق، ص 201.

(221) ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج 5، ص395.

(222) خير الدين الزركلي: المرجع السابق، ص 74.

(223) شارل ديديه: المرجع السابق، ص 287.

(224) خير الدين الزركلي: المرجع السابق، ص 74.

(225) العياشي: المرجع السابق، ص 178.

(226) حماد السالمي: الطائف في شذراتها غزاوي، ص -76 164.

(227) محمد خميس الزوكة: جغرافية النقل، (الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، 1997م)، ص 99.

(228) نفس المرجع، ص111.

(229) عاتق بن غيث البلادي: قلب الحجاز، ص 203.

(230) العياشي: المرجع السابق، ص 178.

(231) نجم الدين عمارة بن علي اليمني: المرجع السابق، ص 76.

(232) خير الدين الزركلي: المرجع السابق، ص 74.

(233) بيركهارت: المرجع السابق، ص75-77.

(234) موريس تاميزيه: المرجع السابق، ص 327؛ شارل ديديه: المرجع السابق، ص 285.

(235) موريس تاميزيه: المرجع السابق، ص 327.

(236) خير الدين الزركلي: المرجع السابق، ص 74؛ شارل ديدية: المرجع السابق، ص 285.

(237) شارل ديديه: المرجع السابق، ص 285.
(238) خير الدين الزركلي: المرجع السابق، ص 74.
(239) شارل ديديه: المرجع السابق، ص 285.
(240) خير الدين الزركلي: المرجع السابق، ص 74.
(241) شارل ديديه: المرجع السابق، ص 286.
(242) الامير شكيب أرسلان: المرجع السابق ص 356.
(243) توجد لوحات تشير إلى (درب الجمّالة) على طريق جبل كرا اليوم، وضعتها وزارة السياحة اليوم.(مشاهدات ميدانية للباحثة).
(244) محمد صادق: المرجع السابق، ص 351.
(245) حماد السالمي: الطائف في شذراتها غزاوي، ص 61 هامش (1).
(246) العياشي: المرجع السابق، ص 178.
(247) موريس تامزيه: المرجع السابق، ص 331، هامش (2).
(248) عاتق بن غيث البلادي: قلب الحجاز، ص 203.
(249) شارل ديديه: المرجع السابق، ص 281؛ العياشي: المرجع السابق، ص 178؛ الامير شكيب أرسلان: المرجع السابق ص 356.
(250) زهير عبد الله حسين مكي: المرجع السابق، ص 160.
(251) توجد لوحات تشير إلى (درب الجمّالة) على طريق جبل كرا اليوم، وضعتها وزارة السياحة اليوم.(مشاهدات ميدانية للباحثة).
(252) حماد السالمي: الطائف في شذراتها غزاوي، ص 61 هامش (1).
(253) محمد خميس الزوكة: المرجع السابق، ص 54.
(254) حماد السالمي: الطائف في شذرات غزاوي، ص 61.
(255) محمد صادق باشا: المصدر السابق، ص 351.
(256) محمد صادق باشا: المصدر السابق، ص 351؛ خير الدين الزركلي: المرجع السابق، ص 74.
(257) حماد السالمي: الطائف في شذراتها غزاوي، ص 77 هامش (1).
(258) العياشي: المرجع السابق، ص 178.
(259) عاتق بن غيث البلادي: قلب الحجاز، ص 203.
(260) شارل ديديه: المرجع السابق، ص 281.
(261) خير الدين الزركلي: المرجع السابق، ص 71.
(262) شارل ديديه: المرجع السابق، ص 284.
(263) حماد السالمي: الطائف في شذراتها غزاوي، ص 61 هامش (1).
(264) محمد صادق: المرجع السابق، ص 351.
(265) محمد صادق باشا: المصدر السابق، ص 351.

(266) حماد السالمي: الطائف في شذرات غراوي، ص38.

(267) ابن خميس: المصدر السابق، ص279.

(268) محمد صادق باشا: المصدر السابق، ص 351.

(269) خير الدين الزركلي: المرجع السابق، ص 70.

(270) علي بن سعيد الغامدي: النقل البري في عهد خادم الحرمين الشريفين إنجازات وتحديات، (الرياض، النشر العلمي والمطابع- جامعة الملك سعود، -1402 1422هـ)، ص 13

(271) علي بن سعيد الغامدي: المرجع السابق، ص 13.

(272) محمد سعيد كمال: المرجع السابق، ص 121.

(273) حماد السالمي: الطائف في شذراتها غزاوي، ص 61 هامش (1).

(274) محمد طاهر الكردي: المرجع السابق، ج2، ص270.

(275) نجم الدين عمارة بن علي اليمني: المصدر السابق، ص 75 هامش 7؛ محمد طاهر الكردي: المرجع السابق، ج2، ص270؛ حماد السالمي: الطائف في شذراتها غزاوي، ص 164؛ عاتق بن غيث البلادي: معجم معالم الحجاز، ص 1436.

(276) عاتق بن غيث البلادي: قلب الحجاز، ص 203.

(277) ابن خميس: المصدر السابق، ص279.

(278) حماد السالمي: الطائف في شذراتها غزاوي، ص 164.

(279) ابن خميس: المصدر السابق، ص279.

(280) جريدة أم القرى، ٢٥ جمادى الثاني ١٣٥٨هـ/ ١١ أغسطس ١٩٣٩م.

(281) جريدة أم القرى، 2 جمادى الثاني 1358هـ/ 19 يوليو 1939م.

(282) جريدة أم القرى، 28 رجب 1359هـ/ 31 أغسطس 1940م.

(283) الأمير شكيب أرسلان: المرجع السابق ص 356.

(284) محمد سعيد كمال: المرجع السابق، ص 121.

(285) ناصر علي الحارثي: أعمال الملك عبدالعزيز المعمارية في منطقة مكة المكرمة 1343-1373هـ/ 1924-1953م، (الرياض، دارة الملك عبدالعزيز، 1426هـ)، ص194

(286) جريدة أم القرى، 28 رجب 1359هـ/ 31 أغسطس 1940م.

(287) ناصر علي الحارثي: المرجع السابق، ص195.

(288) نفس المرجع، ص195.

(289) نفس المرجع، ص195.

(290) علي بن سعيد الغامدي: المرجع السابق، ص 13.

(291) عيسى بن علوي القصير آل عيسى: المرجع السابق ص209.

(292) المعلِّم محمد بن لادن: يرتبط اسم هذا المشروع بذكر المقاول محمد بن لادن، الذي بذل من نفسه وفكره وقته في سبيل انجاز هذا العمل الشيء الكثير. (ابن خميس: المصدر السابق، ص279؛ محمد سعيد كمال: المرجع السابق، ص 121).

(293) محمد سعيد كمال: المرجع السابق، ص 121؛ ابن خميس: المصدر السابق، ص279.

(294) محمد سعيد كمال: المرجع السابق، ص 121.

(295) عيسى بن علوي القصير آل عيسى: المرجع السابق، ص 235.

(296) نفس المرجع، ص 121.

(297) عيسى بن علوي القصير آل عيسى: المرجع السابق، ص 235.

(298) نفس المرجع، ص 235.

(299) ابن خميس: المصدر السابق، ص279.

(300) محمد سعيد كمال: المرجع السابق، ص 122.

(301) عاتق بن غيث البلادي: معجم معالم الحجاز، ص 1436؛ عيسى بن علوي القصير آل عيسى: المرجع السابق، ص 235؛ محمد سعيد كمال: المرجع السابق، ص 121

(302) محمد سعيد كمال: المرجع السابق، ص 121؛ عيسى بن علوي القصير آل عيسى: المرجع السابق، ص 235

(303) عيسى بن علوي القصير آل عيسى: المرجع السابق، ص 235-236.

(304) 304من ذلك قصيدة ألقاها الشاعر محمد سعيد حسن كمال:

كرر الحج للحمى والزيارة تدرك اليوم من كرى أوطاره
كان طوداً فصار سهلاً فسيحاً جدد الله سبله ومناره
كان صعباً فصار روضاً أنيقاً انطق الله بالشذا أطياره
إن خير الأعمال ما يتبقى شامخاً تقرأ الورى أسطاره

إلى آخر القصيدة، (خير الدين الزركلي: المرجع السابق، ص 74، (هامش)).

(305) محمد سعيد كمال: المرجع السابق، ص 121.

(306) عيسى بن علوي القصير آل عيسى: المرجع السابق، ص 235.

(307) نفس المرجع، ص236.

(308) جريدة أم القرى، ٧ رمضان ١٣٩٨هـ/ ١١ أغسطس ١٩٧٨م.

(309) جريدة أم القرى، 6 محرم 1398هـ/ 16 ديسمبر 1977م.

(310) جريدة أم القرى، ١٧ جمادى الثانية ١٤٠٠هـ/ ٢ مايو ١٩٨٠م.

(311) جريدة أم القرى، 3 رمضان 1399هـ/ 27 يوليو 1979م.

(312) جريدة أم القرى، 28 شعبان 1400هـ/ 11 يوليو 1980م.

(313) علي بن سعيد الغامدي: المرجع السابق، ص 18.

(314) عيسى بن علوي القصير آل عيسى: المرجع السابق، ص236.

(315) محمد سعيد كمال: المرجع السابق، ص 122 هامش 1.

(316) علي بن سعيد الغامدي: المرجع السابق، ص 18.

(317) نفس المرجع، ص 19.

(318) حماد السالمي: الطائف في شذراتها غزاوي، ص 61 هامش (1)؛ عيسى بن علوي القصير آل عيسى: المرجع السابق، ص256.

(319) عيسى بن علوي القصير آل عيسى: المرجع السابق، ص256.

(320) زهير عبد الله حسين مكي: المرجع السابق، ص 160.

(321) زهير عبد الله حسين مكي: المرجع السابق، ص 160.

(322) محمد سعيد كمال: المرجع السابق، ص 122 هامش 1.

(323) عيسى بن علوي القصير آل عيسى: المرجع السابق، ص256.

(324) نفس المرجع، ص 235-273.

(325) نفس المرجع، ص273.

(326) ابن خميس: المصدر السابق، ص 278.

قائمة المصادر والمراجع:

أولاً: الصحافة المجلات:

- جريدة أم القرى، الأعداد المؤرخة في:

(1) جريدة أم القرى، 2 جمادى الثاني 1358هـ/ 19 يوليو 1939م.

(2) جريدة أم القرى، ٢٥ جمادى الثاني ١٣٥٨هـ/ ١١ أغسطس ١٩٣٩م.

(3) جريدة أم القرى، 28 رجب 1359هـ/ 31 أغسطس 1940م

(4) جريدة أم القرى، 6 محرم 1398هـ/ 16 ديسمبر 1977م.

(5) جريدة أم القرى، ٧ رمضان ١٣٩٨هـ/ ١١ اغسطس ١٩٧٨م.

(6) جريدة أم القرى، 3 رمضان 1399هـ/ 27 يوليو 1979م.

(7) جريدة أم القرى، ١٧ جمادى الثانية ١٤٠٠/ ٢ مايو ١٩٨٠م.

(8) جريدة أم القرى، 28 شعبان 1400هـ/ 11 يوليو 1980م.

ثانياً: المصادر:

(1) أرسلان، الأمير شكيب: الرحلة الحجازية المسماة الارتسامات اللطاف في خاطر الحاج إلى أقدس مطاف، قدم لها وعلق عليها: السيد محمد رشيد رضا، صححها وعلق عليها: حسن السماحي سويدان، (ط2، بيروت، شركة النوادر اللبنانية، 1434هـ/ 2013م).

(2) البتنوني، محمد لبيب: الرحلة الحجازية لولي النعم الحاج عباس حلمي باشا الثاني خديوي مصر (سنة *1327*هـ)، مراجعة وتدقيق وتقديم طه إسماعيل أحمد،(ط*1*، الإسكندرية، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، *2017*م).

(3) ابن كبريت، محمد بن عبد الله الحسيني الموسوي (1012-1070ه): رحلة الشتاء والصيف، حققها وقدمها وفهرسها الأستاذ محمد سعيد الطنطاوي، (ط2، الطبعة على نفقة الشيخ محمد نصيف وشركاه، بيروت، المكتب الإسلامي للطباعة والنشر، 1385هـ).

(4) البكري، عبد الله بن عبد العزيز الاندلسي أبو عبيد (ت 487ه): معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، تحقيق: مصطفى السقا، (بيروت، عالم الكتب، 1368ه / 1949م)، ج4.

(5) بن فهد، محمد جار الله بن عبدالعزيز بن عمرو الهاشمي القرشي المكي (ت 954م): تحفة اللطائف في فضائل الحبر ابن عباس ووجّ والطائف، تعليق ومراجعة: محمد سعيد كمال، محمد منصور الشقحاء، (الطائف، مطبوعات نادي الطائف الأدبي، د.ت).

(6) 6. الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي (ت 626ه): معجم البلدان، تحقيق: إحسان عباس، (ط2، بيروت، دار صادر، 1995م)، ج4.

(7) صادق باشا، محمد: الرحلات الحجازية، (ط1، بيروت، بدر للنشر والتوزيع، 1999م).

(8) العياشي: أبو سالم عبدالله بن محمد، الرحلة العياشية 1661 – 1663م، تحقيق: سعيد الفاضلي، وسليمان القرشي،(ط1، أبوظبي: دار السويدي للنشر والتوزيع، 2006م)، مج 2.

(9) رفعت باشا، إبراهيم: مرآة الحرمين أو الرحلات الحجازية والحج ومشاعرة الدينية محلا بمئات الصور الشمسية تأليف ورسم اللواء إبراهيم رفعت باشا قومندان حرس المحمل في سنة 1318هـ / 1901م، وأمير الحج في سنة 1320هـ/ 1902م، و سنة 1325هـ/ 1908م، ج2، (ط1، القاهرة، طبعة دار الكتب المصرية، 1344هـ 1925-م).

(10) الفاكهي،أبي عبدالله محمد بن إسحاق ابن العباس المكي: أخبار مكة في قديم الدهر وحديث، دراسة وتحقيق: عبد الملك بن دهيش، (ط1، مكة المكرمة، مكتبة ومطبعة النهضة الأخيرة، 1407هـ/ 1987م).

(11) الفيروز أبادي: مجد الدين محمد بن يعقوب(ت 817هـ): القاموس المحيط، (ط6، دمشق، مؤسسة الرسالة، 1998م).

(12) القاضي عيد، حنيف الدين ابن القاضي محمد المشهور بالقاضي عيد (ت 1143هـ): رسالة في عمارة العينين عين نعمان وعين حنين، دراسة وتحقيق ناصر بن علي الحارثي، (ط1، الطائف، لجنة المطبوعات في التنشيط السياحي بمحافظة الطائف، 1423هـ/ 2002م).

(13) المحبي، محمد أمين بن فضل الله بن محب الدين (1061-1111ه): ذيل نفحة الريحانة، تحقيق عبد الفتاح محمد الحلو، ج6، (ط1، عيسى البابي الحلبي وشركاه، 1391هـ/ 1971م).

(14) الموسوي: العباس علي بن نور الدين المكي الحسيني: نزهة الجليس ومنية الأدب الأنيس، ج2، (النجف الأشرف، المطبعة الحيدرية، 1386هـ 1967م).

(15) اليمني، نجم الدين عمارة بن علي الشاعر المشهور (ت 569هـ): تاريخ اليمن المسمى المفيد في أخبار صنعاء وزبيد وشعراء ملوكها وأعيانها وأدبائها، حققه وعلق عليه: محمد بن علي الأكوع الحوالي، (ط2، د. ن، 1396هـ/ 1976م).

المراجع العربية:

(16) ابن خميس، عبدالله بن محمد: المجاز بين اليمامة والحجاز، (ط3، جدة، دار تهامة، الكتاب العربي السعودي، 1402هـ/ 1981م).

(17) آل عيسى، عيسى بن علوي القصير: أحلى اللطائف في منتجع الطائف من العصر الجاهلي حتى الدولة السعودية، (ط1، الطائف، جامعة الطائف، 1430هـ/ 2009م)

(18) البلادي، عاتق بن غيث: قلب الحجاز (بحوث جغرافية وتاريخية وأدبية)، (ط 1، مكة المكرمة، دار مكة للنشر والتوزيع، 1405هـ/ 1985م).

(19) البلادي، عاتق بن غيث: معجم معالم الحجاز، (ط2، مكة، دار مكة للنشر والتوزيع، 1431هـ/ 2010م)، ج1-10.

(20) الحارثي، ناصر بن علي: أعمال الملك عبدالعزيز المعمارية في منطقة مكة المكرمة 1343-1373هـ/ 1924-1953م، (الرياض، دارة الملك عبدالعزيز، 1426هـ).

(21) الزركلي، خير الدين: ما رأيت وما سمعت، (الطائف، مكتبة المعارف، ط.ت).

(22) 22. الزوكة، محمد خميس: جغرافية النقل، (الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، 1997م).

(23) 23. السالمي، حماد بن حامد: الطائف في شذراتها غزاوي، (ط1، دار ثقيف للنشر والتأليف، 1414هـ/ 1994م).

(24) السالمي، حماد بن حامد: المعجم الجغرافي لمحافظة الطائف اكثر من 4 آلاف مفردة جغرافية لأشهر وأكبر المواضع والأمكنة، ج2 س-ل، (ط1، الطائف، الإدارة العامة للتعليم، لجنة المطبوعات. في التنشيط السياحي، 1424هـ/ 2003م).

(25) أحمد السباعي: تاريخ مكة دراسات في السياسة والعلم والاجتماع والعمران، (ط4، مكة المكرمة، مطبوعات نادي مكة الثقافي، 1399هـ/ 1979م، ج2).

(26) الغامدي، علي بن سعيد: النقل البري في عهد خادم الحرمين الشريفين إنجازات وتحديات، (الرياض، النشر العلمي والمطابع- جامعة الملك سعود، -1402 1422هـ).

(27) لكردي،محمد طاهر: التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، تحقيق عبد الملك بن دهيش، (لبنان، دار خضر للطباعة والنشر، د.ت)، ج2.

(28) مكي، زهير عبد الله حسين: النقل البري في المملكة العربية السعودية، (الكويت، مركز دراسات الخليج والجزيرة العربية، جامعة الكويت، 2008م).

المراجع المعربة:

(29) بيركهارت، جون لويس: رحلات إلى شبه الجزيرة العربية يتضمن وصفا لمناطق في الحجاز، (هنريكولبرن، نيو بيرلينغتون ستريت، دار الانتشار العربي، سنة 1829م).

(30) تاميزيه: موريس: رحلة في بلاد العرب الحجاز، ترجمة محمد بن عبد الله آل زلفة، (دار بلاد العرب للنشر والتوزيع 1421هـ / 2001م).

(31) ديديه، شارل: رحلة إلى الحجاز في النصف الثاني من القرنالتاسع عشر الميلادي1854م، ترجمة: محمد خير البقاعي، (دار الفيصل الثقافية، 1422هـ/ 2001م).

(32) وسلام على المرسلين وآخر دعوانا الحمد لله رب العالمين

الأزمة الاقتصادية وأثرها في قيام الأنظمة الدكتاتورية في أوروبا (1929- 1939م)

د. محمد أحمد ضوالبيت رابح

أستاذ مساعد - قسم الجغرافيا والتاريخ
كلية التربية حلفا الجديدة ــ جامعة كسلا

د. عزة محمد موسى محمد

أستاذ مشارك - قسم الجغرافيا والتاريخ
كلية التربية الحصاحيصا- جامعة الجزيرة

المستخلص:

هدف البحث إلى دراسة الفترة التي أعقبت الحرب العالمية الأولى ،وما تبعها من تطورات في العلاقات السياسية بين الدول بعد حدوث الأزمة الاقتصادية العالمية التي أثرت في العلاقات الدولية ، والتي كان لها أثراً كبيراً في نشأت الأنظمة الديكتاتورية في أوروبا ، واتبع البحث المنهج التاريخي الذي يقوم بسرد الوقائع والأحداث التاريخية وتحليلها ،والمنهج الوصفي . وتوصل البحث إلى عدد من النتائج ،أهمها أن الأزمة الإقتصادية جاءت نتيجة لقرارات مؤتمر الصلح ،وكذلك ساهم تدهور النشاط الاقتصادي في الولايات المتحدة في زيادة حدة الأزمة الاقتصادية العالمية ،ولعبت الأزمة الاقتصادية دوراً مباشراً في تغير أنظمة الحكم في ايطاليا وألمانيا ،و تمكن النظام الفاشي في ايطاليا والنازي في ألمانيا من إحداث بعض الإنعاش الاقتصادي في دولهم. وخرج البحث بعدد من التوصيات أهما دراسة التاريخ الأوروبي الحديث والوقوف على العلاقات السياسية بين الدول الأوروبية في الفترة بين الحربين لما لها من أثار على مستقبل العلاقات بين دول العالم ،ودراسة الأسباب السياسية التي أدت إلى توتر العلاقات بين دول أوروبا ،ودراسة العلاقات السياسية بين دول أوروبا والولايات المتحدة الأمريكية.

The economy recession and its effect on the appearance of Dictatorship in Europe (1929- 1939)

Dr.Mohamed Ahmed Daw Elbat Rabih
Dr. Azaa Mohamed Musa Mohamed

Abstract:

The thesis aimed to study the period of time that followed the 'I World War' and the development of the political relations between the states which followed it, after the international economy recession took place which affected the states relations that has an effect in the appearance of dictatorship in Europe. The study used the historical approach that list the historical events and evaluate them and the descriptive approach. The reached many results; the economy recession happened on account of the decisions made by the reconciliation conference , the United Nation economy recession also played a role in increasing the economy recession, the economy recession played a direct role in inversing the governing systems in German and Italy, 'Alfashi' system and 'Alnazi' in German did some economic flourishing on their states. The study recommended; to study the modern history of Europe, consider the political relations between the states during the 'I World War' and the II World War' , study the political causes which result in tense of relations between Europe states and to study political relations between Europe and U.S.A

أهمية البحث:

يستعرض البحث فترة عشر سنوات من تاريخ أوروبا الحديث ،وهي الفترة التي أعقبت الحرب العالمية الأولى ،وما تبعها من تطورات في العلاقات السياسية بين الدول بعد حدوث الأزمة الاقتصادية العالمية ،خاصة تلك الدول التي فرضت عليها تعويضات نتيجة للتدمير الذي قامت به في الحرب العالمية الأولى وما كان لذلك من أثر على أوضاعها الاقتصادية مما تسبب في قيام الأنظمة الديكتاتورية في ايطاليا وألمانيا ،وما لذلك من أثر في إندلاع الحرب العالمية الثانية.

أسباب اختيار البحث:

- الرغبة الذاتية في دراسة وتحليل تلك الفترة من التاريخ الأوروبي .
- التعرف على أوضاع أوروبا الاقتصادية والسياسية في الفترة موضع الدراسة.
- الوقوف على أهم أسباب الأزمة الاقتصادية العالمية التي كان لها أثر في توتر العلاقات بين الدول الأوروبية.
- الرغبة في دراسة الأحوال التي دفعت إلى قيام الأنظمة الدكتاتورية في ايطاليا وألمانيا.

مشكلة البحث:

من خلال هذا البحث الذي يستعرض فترة مهمة من تاريخ أوروبا الحديث والتي تتعلق بدراسة الأزمة الاقتصادية وأثرها في نشأت الأنظمة الديكتاتورية تأتي مشكلة البحث في طرح التساؤلات الآتية :

- ما هي الأسباب التي أدت إلى حدوث الأزمة الاقتصادية العالمية ؟
- هل كان لمؤتمر الصلح الذي عقد في باريس عقب الحرب العالمية الأولى أثراً في هذه الأزمة؟
- كيف كانت الأجواء السياسية والاقتصادية في أوروبا بين الحربين العالميتين ؟
- فيما أثرت الأزمة الاقتصادية على قيام الأنظمة الدكتاتورية ،وهل كان لها أثر في اندلاع الحرب العالمية الثانية؟

حدود الحث :

- قارة أوروبا بحدودها الجغرافية المعلومة.
- الزمانية: 1929م ــ 1939م.

منهجية البحث:

إن طبيعة البحث هي التي تحدد المنهج المُتبع ،خاصة في مجال الدراسات التاريخية لذلك تطلب البحث استخدام المنهج التاريخي المعتمد على سرد الأحداث التاريخية وتحليلها ،وكذلك تطلب البحث إتباع المنهج الوصفي الذي يقوم بوصف الأحداث التاريخية وتحليلها لغرض الوصول إلى الخلاصة المهمة.

مقدمة :

شهدت الفترة التي أعقبت الحرب العالمية الأولى والتي تسمى بفترة العالم بين الحربين العديد من الأحداث والتطورات الاقتصادية والسياسية بين الدول الأوروبية خاصة الدول التي اشتركت في الحرب ،والدول التي نشأت نتيجة لمؤتمر الصلح ،إذ شهدت هذه الفترة أزمة اقتصادية عالمية حادة لم يشهد العالم الأوروبي مثيلها ،وذلك لأن بعض الدول كانت أوضاعها الاقتصادية سيئة للغاية خاصة تلك التي فُرضت عليها تعويضات خسائر أحداث الحرب ،فانتشرت البطالة بين شعوب الدول الأوروبية ،وتردت الأوضاع في كل مناحِ الحياة ،فعّم السخط والغضب شعوب ألمانيا وايطاليا اللتان شهدتها عدم الاستقرار السياسي ،وكان ذلك سبباً في بروز بعض الشخصيات القومية التي استطاعت أن تجعل الشعوب تلتف حولها ،وتُسخر لها كل السبل من أجل الخروج من تلك الأوضاع ،لذلك نشأ النظام الفاشي في ايطاليا ،والنظام النازي في ألمانيا ،الأمر الذي جعل الفترة موضع البحث عبارة عن فترة تجهيز واستعداد لرد الاعتبار بحرب عالمية ثانية.

التغييرات الاقتصادية قبل الأزمة العالمية :

شهدت الفترة التي أعقبت الحرب العالمية الأولى العديد من التطورات الاقتصادية، ونتجت هذه التطورات بسبب القرارات التي صدرت عن مؤتمر الصلح والمعاهدات الموقعة مع الدول المنهزمة.

مشروع داوز:

تم وضع هذا المخطط سنة 1923م من أجل تسوية التعويضات التي تم فرضها على الدول المنهزمة في الحرب ،وذلك بتشكيل لجنة من الخبراء العالميين في 9 ابريل 1924م ،ترأسها شارل داوز ،وهو خبير في الشؤون المالية ،الذي فرض إصلاح الميزانية المالية لألمانيا وتثبيت استقرار المارك الألماني ،وقد نصت قرارات هذا المشروع بجلاء القوات الفرنسية من منطقة الروهر ،ودفع ألمانيا مبلغ مقدر ب 250 مليون دولار ،ويزداد سنوياً حتى يبلغ بعد أربعة سنوات 625 مليون دولار ،ولضمان هذا الدفع وجب على ألمانيا أن تقوم بتأمين خطط السكك الحديدية والصناعات الألمانية[1]. وأيضاً نصّ المشروع على إنشاء بنك مركزي يحتكر إصدار الأوراق المالية لمدة 50 سنة ،وكانت نتائجه إيجابية على ألمانيا ،حيث تمكنت الصناعات الألمانية من تسديد ديونها المشتركة جراء انهيار النقد واقتراض ملايين الدولارات وتحديد آلياتها ،وتنظيم عملاتها الإنتاجية ،ونتيجة لذلك تطورت الصناعات الألمانية الحربية ودفعت التعويضات لمدة خمس سنوات[2].

مشروع يونغ(*):

هو المشروع الذي تم فيه تخفيض التعويضات الألمانية بمقدار 17% ،و نصّ على تقسيم هذه التعويضات إلى 37 قسطاً سنوياً تبلغ قيمة كل منها مليون جنيه تتبعها 22 دفعة سنوياً مع إنشاء مصرف دولي للتسويات ،وإلغاء ضمانة المبالغ التي تؤمنها من واردات السكك الحديدية التي فرضت على المشروع ،وتمكنت ألمانيا من تحقيق نوع من الانتعاش الاقتصادي ،فحدثت بذلك تحولات كبرى في ألمانيا في عام 1929م ،حيث تخلصت من القيود التي فرضت عليها في معاهدة فرساي ،وقبلت كعضو في عصبة الأمم[3].

الأزمة الاقتصادية العالمية 1929م :

بدأت في عام 1929م ،حين انخفضت أسعار الأسهم المالية في بورصة نيويورك (وول ستريت* ،بعد أن ساد جو من التشاؤم في عدم إمكانية حدوث انتعاش اقتصادي في الولايات المتحدة الأمريكية ،وامتد أثره إلى باقي دول العالم وخاصة أوروبا ،حيث انخفض الإنتاج الصناعي بسبب عدم القدرة على تصريف المنتجات ، فانخفضت الأسعار وتضاءل حجم التجارة العالمية ، حدث ذلك في القطاع الزراعي الأمريكي الذي شهد تكدس في البضائع الزراعية مقابل النقص الحاد في الطلب عليها ، وبالتالي إحجام المزارعين عن طلب المنتجات الصناعية [4]. وبدأت الأزمة الاقتصادية في يوم الخميس 24أكتوبر 1929م ، ،حيث اندفع مالكو الأسهم والسندات في بورصة نيويورك إلى بيع تلك الأوراق والتي تمثل رؤوس أموال الشركات الكبرى ،وقد أدى ذلك إلى انهيار أسعار تلك الأوراق وحدوث أزمة سيولة نقدية ،ثم انتقلت عدوى الأزمة إلى الخارج نتيجة ارتباط النشاط الاقتصادي الأمريكي بدول أوروبا فترك ذلك أثراً على الأنظمة الرأسمالية [5]. وأصبح بسبب الأزمة الاقتصادية أن تحول النظام الاقتصادي الرأسمالي الحر إلى اقتصاد موجه ،مما أدى إلى تدخل الاستثمارات الأمريكية في البلدان الأوربية (ألمانيا والنمسا وبريطانيا) ،هذا ما جعل رجال الأعمال والمصارف يضطرون لتصدير رؤوس الأموال المقترضة في شكل قروض صغيرة المدى ،نتج عنها تعطيل

حركة الرأسمال وقد أثر ذلك سلباً على النشاط الاقتصادي العالمي ، فبدأت الدول الأوروبية تتساقط الواحدة تلو الأخرى ،بدءاً بالنمسا ثم تبعتها ألمانيا ،وقد حاولتا الخروج من هذه الأزمة عبر إقامة اتحاد جمركي نمساوي ألماني عام 1931م [6]. وفي عام 1931م اقترح الرئيس الأمريكي هوفر* تأجيل دفع قروض الحروب والتعويضات لمدة عام ،وأعلن أن الولايات المتحدة الأمريكية لن تطالب فرنسا وبريطانيا بالديون المجحفة عليها شرط أن لايطاليا وألمانيا بدفع التعويضات ،وفي عام 1932م عقد مؤتمر لوزان ،حيث قبلت الدول الدائنة لألمانيا إنها دفع التعويضات[7]. وعلى الرغم من هذه المحاولات التي قام بها الخبراء إلا أن الأزمة الاقتصادية استمرت في حدتها وأسهمت في تدهور الأوضاع الاقتصادية وانتشار البطالة وتعاظم التضخم ،وانتشر العنف السياسي في معظم الدول الأوروبية ،وفقدت الثقة في الأنظمة الديمقراطية الرأسمالية لتحقيق الاستقرار السياسي ،وبالتالي فتح مجال واسع لوصول الأنظمة الديكتاتورية إلى السلطة باعتبارها الطريق إلى الخلاص من هذه الأزمة واستعادة هيبة الدولة[8].

نشأت الأنظمة الديكتاتورية في أوروبا:

لقد أسهمت مجموعة من العوامل السياسية والإقتصادية في الفترة التي أعقبت الحرب العالمية الأولى ،إلى تغير بعض أنظمة الحكم في أوروبا ،فقد ظهرت الأنظمة الديكتاتورية التي تمكنت من الوصول إلى مقاليد الحُكم في بلدانها ،ومن أهم هذه العوامل فقدان الثقة بالنظام الرأسمالي البرلماني الذي تسبب في ويلات عديدة ،تمثلت في تخريب المُدن والممتلكات وفقدان الأرواح ،وظهور بعض الإتجاهات الإجتماعية ،وكذلك الإحتكارات الإقتصادية الصناعية والتجارية التي سببت الحروب[9].

النظام الفاشي في ايطاليا:

تمكنت ايطاليا من تحقيق وحدتها الجغرافية خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر وتحديداً خلال الأعوام 1859م ــ 1816م ، فانتصرت على القوى الخارجية المؤثرة على الولايات الايطالية كالنمسا وفرنسا فضلاً عن القوى الداخلية المساندة لها ،وقد حاولت مع بداية القرن العشرين بأن يكون لها موقعاً في التنافس الاستعماري الذي احتدم في تلك المرحلة ،وتوجت مجهوداتها بالاستيلاء على ارتريا والصومال الايطالي ومن ثم احتلال ليبيا في عام 1911م ،كما إنها عملت على أن يكون لها موقعاً في الصراع والتنافس الأوروبي ،فدخلت في تحالفات عديدة منها الحلف الثلاثي مع النمسا وألمانيا في العام 1882م ،والذي تجدد في عام 1887م ،وكان الهدف من تحركاتها وتحالفاتها هو الحصول على المكاسب المادية والإقليمية[10]. وهكذا فقد كان دخول ايطاليا إلى الحرب العالمية الأولى جاء بعد مساومات طرفي الحرب انتهت بعقد اتفاقية لندن في عام 1915م بدخولها الحرب إلى جانب بريطانيا وحليفاتها ،فكانت تأمل بالحصول على جزء مناسب من التعويضات المادية ،إلا أن واقع الحال بعد انتهاء الحرب كان يشير إلى خيبة أمل كبيرة للشعب وللحكومة الايطالية التي لم تحقق الشيء الكثير من أحلامها التوسعية لا سيما في النمسا والدولة العثمانية ،ونتيجة لذلك انسحب الوفد الايطالي من مؤتمر الصلح في محاولة منه للضغط على

الأطراف المشاركة ،إلا أن هذا الانسحاب لم يؤثر شيئاً على أعمال المؤتمر[11]. واعتمدت ايطاليا على أمل أن مشاركتها للحلفاء ستعود عليها بالخير الوفير ،وذلك لما قدمته من تضحيات وأموال ما أثقل كاهل خزانتها ،وما قدمته من خيبة أمل كبيرة إلى حليفتها الأولى ألمانيا التي كان من المتوقع مشاركتها لها في الحرب ضد الحلفاء ،ثم خرجت من الحرب منتصرة مع المنتصرين ،إلا أن الحلفاء همشوا حصتها في مؤتمر الصلح ،ولم يعترفوا لها بكل ما قدمته في الحرب ،ولم يقُر المؤتمر وجهة نظرها فيما تطالب به من وعود وعدت بها قبيل الحرب من جانب الحلفاء وقد بزل مندوبو ايطاليا في المؤتمر جهوداً كبيرة في سبيل تحقيق المطالب الايطالية ،والتي من أهمها أن يعترف لها الحلفاء بميناء فيومي* الذي يشكل موقعا استراتيجيا هاما على صعيد التجارة البحرية ،حيث يربط ايطاليا بشرق أوروبا ،لكن هذا الطلب قوبل بالرفض ،خاصة من جانب الرئيس الأمريكي ويلسن[12].

خرجت ايطاليا من المؤتمر بخيبة أمل كبيرة ،فكان شعبها يأمل في أن تتحصل البلاد على مكانة دولية رفيعة ومكاسب أرضية واسعة ،مع تحسين مستويات الدخل الفردي ،فاعتقد الايطاليون أن الحلفاء كانوا أنانيين في توزيع أسلاب الحرب ،ومع ذلك فإن ايطاليا قد ضمت في تسوية الصلح حوالي تسعة آلاف ميل مربع من الأراضي في أوروبا ولكنهم اعتبروا هذا النصيب من القسمة ضئيلاً لا يوازي ما قدموه من تضحيات خلال الحرب ،ولا يوازي ما تركته الحرب من سوء الأحوال من ارتفاع في أسعار السلع الاستهلاكية وازدياد الضرائب ،فلم تحصل من معاهدات الصلح على موارد جديدة تعيد بها مجدها[13]. وكان من نتيجة ذلك أن سادت موجة عارمة من الاضطرابات بين الفلاحين والعمال اتسمت بالعنف وبمحاولة السيطرة على الأراضي والمصانع ، فانتشرت المنظمات السياسية ذات العقائد المختلفة من اشتراكية وشيوعية وغيرها ، فاتخذ بعضها الاحتجاج المسلح أسلوباً في التعبير عن آرائهم ومطالبهم ، وكان قد تعاقب على رئاسة ايطاليا في سنوات الحرب الأخيرة حكومات ضعيفة غير مستقرة لم تكن لأي منها سياسة مرسومة في الداخل أو الخارج ، فأخذت الجماهير تميل إلى الاشتراكية المتطرفة[14]. وعليه تطلع أصحاب الأملاك والرأسماليون إلى حكومة تؤويهم شر ذلك التدهور والفساد والبطالة وتردئ الأوضاع السياسية في البلاد مما جعل الشعب الايطالي يلتف حول موسوليني(*) وحركته الناشئة في عام 1919م ،سيما وأنه رفع شعار إعادة الهيبة الايطالية والعمل على تحسين الوضع الاقتصادي بعد إخفاقات القادة السياسيين القدامى في تحقيق أهداف ايطاليا ،ومن هنا أصبحت مسؤولية موسوليني تحقيق تلك الأهداف الداخلية والخارجية لذلك شرع في تنظيم الفاشية(*) متخذاً من الحزمة شعاراً لها مع تبني التحية الرومانية القديمة ،فعمل موسوليني على تكوين مجموعات من أعضاء مخلصين يكرهون الفكر السياسي القديم والفكر الاشتراكي المتطرف ،حيث أن الفاشية تقوم على العصبية البرجوازية والعناصر العمالية أركانها الأساسية[15].

فأصبحت الفاشية في ايطاليا بقيادة موسوليني حركة سياسية منظمة ،لها قوات من المحاربين القوميين الذين أشادوا بعظمة ايطاليا وبناء أمة قومية مناهضة للديمقراطية ،وبالفعل

تمكنت من الوصول إلى السُلطة بفضل حنكة موسوليني السياسية التي جعلته يحقق أهدافه في إعادة الهيبة الايطالية من جديد ،وظهورها كقوة ،إلا أنه كان يدرك أن بقائه في السلطة مشروط بتحسين الوضع الاقتصادي في البلاد[16]. ولهذا بادر موسوليني حكمه بإنشاء المشاريع العمرانية الضخمة المتمثلة في بناء الأبنية العامة وتوسيع الطرق وبناء الجسور وتحسين الزراعة في المناطق الجنوبية ،فأدت هذه المشاريع إلى انتعاش الاقتصاد ،وتقليل البطالة ،وقضى على الحياة البرلمانية ،وقام بفرض رقابة الدولة على كل القطاعات ،وفي الوقت نفسه تم إصدار المنظمة التعادلية بين العمال وأرباب العمل وذلك في سنة 1926م وفق التشريعات الاقتصادية الفاشية ،حرمت أرباب العمل من حق إغلاق المصانع كما منعت إضرابات العمال[17]. وهكذا استطاع موسوليني توطيد حكمه في ايطاليا وذلك ما جعله يصوب اهتمامه نحو علاقاته الخارجية ،فقد وفق في مجال العلاقة بين الحكومة الايطالية والفاتيكان ،أي بين الأمة الايطالية والبابا ،وفي الثلاثينيات بدأ التقارب بينه وبين ألمانيا ،فتوحدت مواقفهم من الأزمات الدولية ،حيث أيدت ألمانيا احتلال ايطاليا للحبشة في عام 1935م ،وفي المقابل أيدت ايطاليا إجراء ألمانيا تعديلات في معاهدة فرساي ،خاصة فيما يتعلق بإزالة القيود العسكرية وإعادة تسليح ألمانيا واستعادتها لإقليم السوديت من تشيكوسلوفاكيا مما يدل مدى تقارب وجهات النظر السياسية بين الدولتين. ومن أهم الأعمال التي قام بهام موسوليني على الصعيد الداخلي أن ركز السلطة في يده ،واتخذ لنفسه لقب الزعيم ،واعتبر أن سلطة الزعيم هي بديلاً عن الديمقراطية الغربية التي اعتبرها نوع من الأنانية والعبث والنزاع الطبقي ،كما اختط لنفسه منهجاً خاصاً في نقد الأنظمة الليبرالية والشيوعية وأكد على وجوب قيام النقابات التي تقوم على تشكيل برلمان يمثل النقابات الحرفية العاملة في المجتمع الايطالي ،إلى جانب أنه بدأ في وضع خطة شاملة لإصلاح الاقتصاد بهدف بناء الدولة وتحقيق الاكتفاء الذاتي ،وذلك بتوسيع الأراضي الزراعية ،الأمر الذي انعكس على إنتاج تلم الأراضي من الحبوب وخاصة القمح ،فضلاً عن محاولته لبناء صناعة وطنية والتوسع في إنتاج الكهرباء الضرورية للصناعة[18]. وأما على الصعيد الخارجي فقد حاول بعث النزعة القومية الايطالية بهدف تحفيز الشعب الايطالي لتقبل طموحاته التوسعية ،إذ بدأ ذلك بتشديد قبضته على ليبيا في عام 1931م ،ثم تحول للتفكير في احتلال الحبشة وتمكن من ذلك بعد أن سنحت له الفرصة في عام 1936م ،في محاولة منه لترسيخ وجوده في أفريقيا ومنافسة كل من ألمانيا وفرنسا وبريطانيا التي لها مستعمرات داخل أفريقيا ،كما عمل على إيجاد صلات مع الأنظمة المشابهة لتوجهاته السياسية والاستعمارية فكان ذلك سبباً في تأسيس محور روما ـ برلين ـ طوكيو ،إذ اجتمعت هذه الأنظمة على أسس مشتركة سوف تكون قاعدتها في شن الحرب العالمية الثانية[19].

النظام النازي في ألمانيا:

لقد جاءت نتائج الحرب العالمية الأولى بتداعيات خطيرة على الواقع الأوروبي بشكل عام وألمانيا بشكل خاص ،فبالإضافة إلى الانهيار الاقتصادي والدمار الذي لحق بالبني العمرانية والصناعية للدول المتحاربة كان هناك خطر أكبر يهدد الدول الأوروبية المنتصرة والمنهزمة تمثل في

الحركات الثورية التي تتبنى الأفكار الفاشية أو الشيوعية كبديل للأنظمة الليبرالية السائدة وقتها في أوروبا ،وقد لقيت هذه الحركات قبولاً لدى أعداد كبيرة من الشعوب الأوروبية عدا (بريطانيا) ،وذلك نتيجة لخيبة الأمل التي عاشتها تلك الشعوب من أنظمتها ،ومن حالة الانهيار الدمار والانهيار الشامل الذي انعكس بشكل كبير على الحياة اليومية([20]).

فبعد الهزيمة التي مُنّيت بها ألمانيا في الحرب العالمية الأولى ،وفقدانها لمستعمراتها ،والخسائر التي تكبدتها أصبحت عُرضة للأزمات الداخلية السياسية والاجتماعية والاقتصادية ،خاصة وأن معاهدة فرساي أرغمتها على دفع تعويضات باهظة إلى الحلفاء ،كما أدت الأزمة الاقتصادية العالمية إلى انهيار الإنتاج الصناعي ،فحدثت الفوضى في الأسواق ،وفشلت الحكومة الألمانية في إيجاد الحلول لها ،كل هذه العوامل أدت إلى ظهور أدولف هتلر[*] وحزبه النازي[21]. وجد هتلر ألمانيا مكسورة الجانب ،متدهورة الأوضاع ،ذليلة من واقع دفعها لتعويضات الحلفاء جراء الخسائر التي تكبدوها في الحرب العالمية الأولى ،مقيدة بقيود معاهدة فرساي ،تلك المعاهدة التي لم يرى العالم مثلها في العصر الحديث ،فكان الشعب الألماني مغلوباً على أمره يتحمل نفقات جيوش الحلفاء في الوقت الذي انتشرت فيه البطالة بين كل فئات الشعب الألماني ،وبدأ أدولف هتلر في التفكير لوجود طريقة للتخلص من عار الهزيمة والانتقام ممن تسببوا بها ،فأراد ضرب الشيوعيين واليهود الذين خانوا ألمانيا ،فكان مصمماً لإيجاد حل لإنقاذ ما تبقى من الأمة الألمانية[22]. وعندما سقطت الإمبراطورية في ألمانيا وبعد قيام الجمهورية ،سُمح بقيام الأحزاب السياسية وحرية التعبير ،فالتحق هتلر بحزب العمال في يوليو من العام 1919م ، ومن ثم أصبح رئيساً له وغير اسمه إلى حزب العمال الوطني ،والذي يختصر في مصلح نازي متخذاً من الصليب المعقوف رمزاً له [*] ،وقد كان هتلر خطيباً مفوهاً من الطراز الأول يعرف كيف يثير عاطفة الجماهير ويحركها ،وفي عام 1933م أصبح مستشاراً لألمانيا[23].

هتلر عمل منذ البداية على تطبيق مبادئ حزبه التي أوردها في كتابه (كفاحي) ،وهي مبادئ تقوم على أساس القومية العنصرية التي كانت تؤمن بتفوق العنصر الجرماني ،وإنشاء ألمانيا الكبرى التي تضم كل الأمان ،وتطالب بامتلاك الدولة لكل الشركات الاحتكارية الكبرى في ألمانيا ،وإلغاء معاهدة فرساي ،واستعادة المستعمرات الألمانية ،هذا إلى جانب إيجاد مجال حيوي لتوسيع ألمانيا ،فكانت لدى هتلر قناعة راسخة أن هذه الأهداف لا تتحقق إلا بالحرب ،وسعى مخلصاً لتحقيق هذه الغايات مما أدى إلى قيام الحرب العالمية الثانية[24]. وعلى هذا الأساس ظهر الحزب الوطني (النازي) ،والذي كانت أهدافه تقوم على إعادة القوة العسكرية الألمانية ،وإعادة مستعمراتها وإلغاء معاهدة فرساي وكل التنازلات التي حوتها ،فضلاً عن محاربة اليهود باعتبارهم سبباً للأزمات التي عانى منها المجتمع الألماني ،وقد وجد هتلر المناخ الملائم لتحقيق أهدافه التي تتعلق بالطموح الشخصي أكثر من الطموح الوطني ،لذا أن الأوضاع في ألمانيا بعد الحرب وشخصية هتلر هي التي طبعت المرحلة ما بين الحربين ليس في ألمانيا فحسب وإنما في كل أوروبا والعالم[25]. وفي العام ـ1923م حاول هتلر وحزبه النازي القيام بانقلاب عسكري ضد حكومة فيمار ،إلا أن هذه

المحاولة فشلت وسجن هتلر لعدة أشهر ،وفي خلال الفترة من 1923م إلى 1929م ونتيجة لاستقرار الأوضاع في ألمانيا وأوروبا بشكل عام ،لا سيما بعد تطبيع العلاقات الألمانية الأوروبية وحصول حالة من الانتعاش الاقتصادي في ألمانيا فقدت النازية وهتلر التأييد الذي كانت تتمتع به في المرحلة التي أعقبت انتهاء الحرب ،ولكن مع بوادر ظهور الأزمة الاقتصادية العالمية في العام 1929م وتأثر ألمانيا بها بشكل مباشر نتيجة لقرار الولايات المتحدة إيقاف القروض والمساعدات ازدادت نسبة البطالة وتردي الأوضاع كل ذلك أدى إلى ازدياد نشاط الحزب النازي[26].

لقد عد المؤرخون وصول هتلر والنازية إلى السلطة كارثة حقيقة ليست على الشعب الألماني فحسب وإنما على السلام الأوروبي والعالمي بشكل عام ،فبالنسبة لألمانيا فقد عمل هتلر ومنذ أيامه الأولى على إبعاد خصومه والانفراد بالسلطة ،فعمل على التنكيل بالحزب الشيوعي وقادته وصحفه ،كما استغل هذا النشاط لتعطيل الحريات لباقي الأحزاب ،الأمر الذي سمح للنازيين بالحصول على الأغلبية في البرلمان ،كما تمكن هتلر من الحصول على صلاحيات واسعة سمحت له بالإنفراد بالسلطة والقيام بحملة تطهير المؤسسات الألمانية من جميع المعاديين للنازية فتم حل أغلب الأحزاب السياسية وتم الاستيلاء على مراكزها[27].

كما وضع هتلر العديد الأهداف التي سعى إليها وضمّنها في برنامجه السياسي وهو الاستعداد التام لإعادة قوة ألمانيا ،وتنمية قدراتها ،والعمل على التوسع وإعادة المناطق التي سُلبت منها ،لذلك عمد إلى إعداد الشعب إعداداً عسكرياً ،فأخضع العمال في المصانع الرئيسية إلى قيود عسكرية ،كما عمد إلى عسكرة التعليم فأعدّ برنامجاً ينشئ الطلبة ليكونوا مقاتلين في المستقبل ،كما عمل على بناء قواته العسكرية بشكل يُهيئها للمهمات التي تُخطط لها ،فأعاد نظام التجنيد الإجباري ،وإعادة بناء القوات البرية والبحرية والجوية ،وفي جانب العمران عمل على تأسيس طرق مواصلات حديثة تربط شرق ألمانيا بغربها من خلال بناء الطرق والسكك الحديدية[28].

الخاتمة:

شهدت الفترة التي أعقبت الحرب العالمية الأولى والتي يطلق عليها فترة العالم بين الحربين العديد من التطورات السياسية والإقتصادية ارتبطت بشكل مباشر بنتائج مؤتمر الصلح الذي عُقد في باريس ،حيث شهد العالم أزمة اقتصادية كان لها أثراً في توتر العلاقات بين الدول،خاصة تلك التي فُرضت عليها تعويضات الحرب العالمية الأولى ،ونتج عن ذلك تردي في كل مناحِ الحياة بالنسبة لشعوب هذه الدول ،فانتشرت البطالة ،وكان ذلك سبباً في بروز بعض الشخصيات القومية التي استطاعت أن تجعل الشعوب تلتف حولها ،وتسخر لها كل السبل من أجل الخروج من تلك الأوضاع ،لذلك نشأ النظام الفاشي في ايطاليا بقيادة بينتو موسوليني ،والنظام النازي في ألمانيا بزعامة أدولف هتلر ،الأمر الذي جعل تلك الفترة عبارة عن فترة تجهيز واستعداد لرد الاعتبار بالنسبة لألمانيا وايطاليا تجاه الدول المنتصرة في الحرب العالمية الأولى.

النتائج:

(1) جاءت الأزمة الإقتصادية العالمية كنتيجة لقرارات مؤتمر الصلح في باريس ومعاهداته.

(2) كان لتدهور النشاط الاقتصادي في الولايات المتحدة أثراً كبيراً في الأزمة الاقتصادية العالمية خاصة بالنسبة لدول أوروبا.

(3) لعبت الأزمة الاقتصادية دوراً مباشراً في تغير أنظمة الحكم في ايطاليا وألمانيا.

(4) تمكن النظام الفاشي في ايطاليا والنازي في ألمانيا من إحداث بعض الإنعاش الاقتصادي في دولهم.

التوصيات:

(1) دراسة التاريخ الأوروبي الحديث والوقوف على العلاقات السياسية بين الدول الأوروبية في الفترة بين الحربين لما لها من أثار على مستقبل العلاقات بين دول العالم.

(2) دراسة وتحليل الأسباب المنطقية التي أدت إلى توتر العلاقات بين دول أوروبا والتي كان لها أثر في إشعال الحرب العالمية الثانية.

(3) دراسة العلاقات السياسية بين دول أوروبا والولايات المتحدة الأمريكية.

الهوامش:

(1) أ.ج. جرانت :أوروبا في القرنين التاسع عشر والعشرين ،الجزء الثاني ،ترجمة محمد على أبو دُرة ،القاهرة ،1978م ،ص 356.

(2) الصمد ،رياض: العلاقات الدولية في القرن العشرين ،ج 1 ،بيروت ،لبنان ،1983م ،ص 487.

* يونغ: هي خطة لتسوية التعويضات الحربية ألتي فرضت على ألمانيا من قبل الحلفاء ،وقد وضعت الخطة على يد لجنة دولية برئاسة أوين يونغ الأمريكي 9291ــ 0391م ،عقب فشل مشروع داوز 4291م ،قضى مشروع يونغ أن تدفع ألمانيا تعويضات.000 362.000 دولار سنوياً خلال العام 0391م ،غير أنه لم ينفذ قط بسبب الكساد الهائل الذي حلّ بألمانيا عقب أزمة 9291م العالمية ،ثم جاء هتلر وأعلن أن ألمانيا لا تنوي الدفع .

– البطريق ،عبد الحميد :التيارات السياسية المعاصرة ،دار النهضة العربية للنشر والطباعة ،بيروت ،0691م ،ص 412.

(3) السيد ،محمود :تاريخ الأمريكتين ،ط1 ،مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية ،2000 ،ص 113.

* وول ستريت :هو شارع في الجزء الأسفل من جزيرة مانهاتن ،حيث تقوم مدينة نيويورك أحد المراكز المالية الرئيسية في العالم ،تضم بورصة نيويورك للأسهم الأمريكية ،بالإضافة إلى عدد من المكاتب الرئيسية للمصارف الكبرى وشركات التأمين وبورصات تبادل السلع ،له السيطرة على الأسواق المالية في كافة أنحاء العالم الرأسمالي ،شهد الأزمة الاقتصادية 1929م عندما تدهورت أسعار الأسهم وأفلست المصارف .

– المرجع السابق ،ص 119.

(4) جلال ،يحي :التاريخ الأوروبي الحديث والمعاصر ،الطبعة الأولى ،دار الحامد للنشر والتوزيع ،الأردن ،2002م ،ص 387.

(5) الكيالي ،عبد الوهاب :مرجع سبق ذكره ، ص361.

(6) الكيالي ،عبد الوهاب :مرجع سبق ذكره ص 361.

* هوفر (4781ـ 4691م): هو الرئيس ال13 للولايات المتحدة الأمريكية ،عين وزير التجارة حتى عام 8291م ،نجح في الانتخابات الرئاسية ضد المرشح الديمقراطي (الفرنيست) ،فشلت سياسته في معالجة الأزمة الاقتصادية ،كما فشل أيضا في تجديد انتخاباته عام 1932م ضد روزفلت .

– المرجع نفسه ،ص 563

(7) ونستون ،تشرشل :مصدر سبق ذكره ،ص 320.

(8) المصدر نفسه ،ص 320.

(9) البطريق ،عبد الحميد :مرجع سبق ذكره ،ص 258.

(10) طويرش ،موسى محمد :العالم المعاصر بين حربين من الحرب العالمية الأولى إلى الحرب الباردة 1914 ــ 1991م ،1430هـ ــ2009م ،مؤسسة مصر مرتضى للكتاب العراقي ،العراق ـ بغداد ،ص 75 ــ76.

(11) طويرش ،موسى محمد : مرجع سبق ذكره ، ص 76.

(12) البطريق ،عبد الحميد :مرجع سبق ذكره ،ص 59.

* هو الميناء الرئيسي وأكبر مدينة في كرواتيا ،يقع بين خليج كفارنير في مدخل البحر الأدرياتيكي ،وكان إقتصاده يعتمد على بناء السفن والنقل البحري ،ويخضع للحكم النمساوي في القرن التاسع عشر ،شهد الميناء منافسة كبيرة بين الكروات والطليان ،كما طالبت به أيضاً يوغسلافيا ،وقد تم مناقشة أمره في مؤتمر الصلح 9191م في باريس ،وتم وضعه تحت الإنتداب الفرنسي البريطاني حتى يتقرر مصيره النهائي

– أبي فضل ،وهيب :موسوعة عالم التاريخ والحضارة ،الجزء الثاني ،الطبعة الثانية ،دار نوبيلس، 5002م ،ص 821.

(13) السيد ،محمود :مرجع سبق ذكره ،ص 258.

(14) أحمد ،مصطفي ،وآخرون :مرجع سبق ذكره ،ص 19.

* بنيتو موسوليني (3881ـــ5491) :هو سياسي ايطالي ولد في عام 3881م لأب حداد وأم معلمة ،تعرض للسجن مرتين في حياته ،عمل في الصحافة ،ثم التحق بالجيش أثناء الحرب العالمية الأولى ، وصل إلى السلطة كقائد للحزب الفاشي في أكتوبر 2291م ،وكان لشخصيته وطموحه في جعل ايطاليا دولة في مصاف الدول العظمى سببا في حصوله على الولاء والطاعة من معظم فئات الشعب الايطالي ، خاصة وأن الشعب الايطالي في تلك الفترة قد عانى الأمرين من تردئ الأوضاع السياسية والاقتصادية وتفشي البطالة بين الفئات الشابة ،فأصبح ديكتاتور لايطاليا ،شارك في الحرب العالمية الأولى والثانية مع هتلر بعد أن وجد في حليفه الألماني ما يتطلع إليه من السيطرة وبسط النفوذ ،فكان من أبرز الشخصيات في القرن العشرين ،دخل الحرب العالمية الثانية كحليف وشريك رسمي لألمانيا بعد أن وقع معها ميثاق محور برلين روما ،تم إلقاء القبض عليه في نهاية الحرب العالمية الثانية وأعدم من قبل الحلفاء .

– سيلي ،ليونارد :موسوعة عالم المعرفة مشاهير الرجال والنساء ،ج 5 ،نوبليس للنشر والتوزيع ،لبنان ،2002 ،ص 674.

(15) * الفاشية :هي كلمة رومانية الأصل ،بمعنى العصا ،والتي ترمز للسيطرة والسُلطة ،وهي أيديولوجية وحركة سياسية قومية توسعية ،ظهرت لأول مرة في ايطاليا ألتي أوجدها موسوليني عام 1919م ،والتي استطاع بواسطتها الوصول إلى السُلطة عام 1922م.

– كول ،ج ،هـ :الاشتراكية والفاشية في الثلاثينيات من القرن العشرين ،ترجمة عبد الحميد الإسلامبولي، الدار المصرية للتأليف والترجمة ،مصر ،1960 ،ص 80.

/ بنيتو موسوليني :خواطر زعيم ،دار مجلتي للطبع والنشر ، القاهرة ،بدون تاريخ ،ص 70.

(16) كول ،ج ،هـ :مصدر سبق ذكره ،ص 88ـــ 89.

(17) المصدر نفسه ،ص ـ ص 70ـ71.

(18) بنيتو موسوليني :مصدر سبق ذكره ، ص 97.

(19) طويرش ،موسى محمد : مرجع سبق ذكره ، ص 79 ــ 80 .

(20) آلان ،نـد :ديمقراطيـات وديكتاتوريـات سـادت في أوروبـا والعـالم 1919 ـ 1989م ، ط1 ،تعريـب مـروان أبـو نجيـب ،شركـة الحـوار الثقـافي ، بـيروت ،2004م ،ص 163.

* أدولـف هتلـر :ولـد في قريـة برونـو بالإمبراطوريـة النمسـاوية المجريـة في 03أبريـل 0981م ،عـاش حيـاة مضطربـة ،عمـل والـده موظفـا في مصلحـة الضرائـب ،كان هتلـر ابـن الزوجـة الثالثـة لأبيـه ،لم يوفـق في تكملـة دراسـته ،تـوفي والـداه وجميـع إخوتـه سـوى شـقيقته بـاولا ،انتقـل للعيـش في ألمانيـا في إقليـم بارفاريـا (ميونـخ) ،انضـم للجيـش الألمـاني في الحـرب العالميـة الأولى ،كان ضمـن القـوات ألتـي أرسـلت إلى الجهـة الغربيـة ،والتـي كانـت أصعـب جبهـات الحـرب ،أصيـب بالعمـى جـراء إصابتـه بالغـاز السـام ،بعـد هزيمـة ألمانيـا وتوقيـع معاهـدة فرسـاي ،تـألم كثـيراً للشـعب الألمـاني الـذي كان في نظـره أنـه مـن أنقـى الشـعوب ،وأنـه خلـق ليكـون في مقدمـة دول العـالم ،تميـز هتلـر بفـن الخطابـة وإلهـاب حـماس الجماهـير فانضـم لحـزب العـمال الوطنـي ،ولقدرتـه في الخطابـة تمكـن مـن التقـدم داخـل الحـزب حتـى ترأسـه ،وقـام بمحاولـة انقـلاب عـلى حكومـة فيـمار لكنـه فشـل وأودع السـجن ،وهـي الفـترة ألتـي وضـع فيهـا أسـس الحـزب النـازي ،أصبـح زعيـماً لألمانيـا في 1933م.

– أدولـف هتلـر :مذكـرات أدولـف هتلـر «كفاحـي» ،ط1 ،ترجمـة هشـام الحيـدري ،دار الأهليـة للنـشر والتوزيـع ،الأردن ،2008 ،ص 15.

(21) المصدر نفسه ، ص 95 .

(22) أدولف هتلر : مصدر سبق ذكره ، ص 19 .

* الصليـب المعقـوف :أصلـه مـن الهنـد ،يرمـز إلى الخـير ،اسـتعمله هتلـر باعتبـاره يرمـز إلى العنـصر الآري ،الـذي يعـود إلى الشـعوب الهندوأوروبيـة ،وفي عـام 5391م جعلـه علـم لألمانيـا بموجب مرسـوم أصـدره هتلـر بعـد أن كان شـعار الحـزب النـازي ،فقـد ألغـى هـذا الشـعار بعـد هزيمـة ألمانيـا في الحـرب العالميـة الثانيـة ،لكـن مـا زال النازيـون الجـدد يسـتعملونه في اجتماعاتهـم .

– جرانـت ،أ،ج :أوروبـا في القرنـين التاسـع عـشر والعشريـن ،الجـزء الثـاني ،ترجمـة محمـد عـلي أبـو دُره، القاهــرة ،1978م،ص 321.

(23) آلان ،ند :مصدر سبق ذكره ، ص 178.

(24) فرنر ،فيكتور :الحرب العالمية الثالثة ،ترجمة هيثم الكيلاني ،بيروت ،1980م ، ص50 ـ 54 ـ 60.

(25) فرنر ،فيكتور :مصدر سبق ذكره، ص 63.

(26) أدولف هتلر :مصدر سبق ذكره ، 37.

(27) بوند ،براين :مصدر سبق ذكره ،ص 157.

(28) بوند ،براين :مصدر سبق ذكره ،ص 158.

المصادر والمراجع:

(1) جرانت ،أ،ج :أوروبا في القرنين التاسع عشر والعشرين ،الجزء الثاني ،ترجمة محمد علي أبو دُره ،القاهرة ،1978م.

(2) أدولف هتلر :مذكرات أدولف هتلر «كفاحي» ،ط1 ،ترجمة هشام الحيدري ،دار الأهلية للنشر والتوزيع ،الأردن ،2008.

(3) آلان ،نـد :ديمقراطيات وديكتاتوريات سادت في أوروبا والعالم 1919 ـ 1989م ، ط1،تعريب مروان أبو نجيب ،شركة الحوار الثقافي ، بيروت ،2004م

(4) بوذينة ،محمد :أحداث العالم في القرن العشرين ،(1910ــ 1919م) ،ج 2.

(5) بنيتو موسوليني :خواطر زعيم ،دار مجلتي للطبع والنشر ، القاهرة ،بدون تاريخ

(6) بيير ،رونفن :تاريخ القرن العشرين ،ترجمة نور الدين حاطوم ،ط2، دار الفكر، دمشق ،1980م.

(7) تشرشل ،ونستون :مذكرات تشرشل ،ج1،منشورات مكتبة المنار ،بغداد ،بدون تاريخ.

(8) دريفوس ،فرانسوا جورج ،وآخرون :موسوعة تاريخ أوروبا العالم ،ج3 ،ط1 ،ترجمة حسين حيدر ،منشورات عويدات ،بيروت ،باريس ،1995.

(9) ج، ب ،تايلور :أصول الحرب العالمية الثانية ،ترجمة مصطفى كمال خميس ،الهيئة المصرية العامة للكتاب ،1990.

(10) كول ،ج ،هـ :الاشتراكية والفاشية في الثلاثينيات من القرن العشرين ،ترجمة عبد الحميد الإسلامبولي ،الدار المصرية للتأليف والترجمة ،مصر ،1960م.

(11) فرنر ،فيكتور :الحرب العالمية الثالثة ،ترجمة هيثم الكيلاني ،بيروت ،1980م.

(12) يدر ،لويس سنا :العالم في القرن العشرين ،ترجمة سعيد عبود لسامراني،مطبعة سميا ،بيروت ،1955م.

(13) البطريق ،عبد الحميد: التيارات السياسية المعاصرة ،دار النهضة العربية للطباعة والنشر ،بيروت ،1815ـ 1960م.

(14) الجمل ،شوقي عطا الله ،عبد الرازق إبراهيم :تاريخ أوروبا من النهضة الى الحرب الباردة ،المكتب المصري للتوزيع والمنشورات ،القاهرة ،2000م.

(15) الجابري، محمد :موسوعة دول العالم ،ط1 ،مجموعة النيل العربية ،القاهرة ،2000م.

(16) أحمد ،مصطفى ،وآخرون :الموسوعة الجغرافية ،ج2 ،ط1 ،دار العلوم ،القاهرة ،2004م.

(17) العقاد ،محمود عباس :الحكم المطلق في القرن العشرين ،مؤسسة هنداوي ،القاهرة ،2012م.

(18) حسنين ،فاضل ،وآخرون :التاريخ الأوروبي الحديث ،1815ـ 1939 ،ط1 ،1982م.

(19) رمضان ،عبد العظيم :تاريخ أوروبا والعالم الحديث من ظهور البرجوازية إلى الحرب الباردة (من قيام النازية الألمانية إلى ظهور البرجوازية) ج3 ،ط1 ،الهيئة المصرية العامة ،1997.

(20) شاكر ،محمود :موسوعة الحضارات القديمة والحديثة وتاريخ الأمم ،ج2 ،ط1،دار أسامة للنشر والتوزيع ،الأردن ،2002م.

(21) فرغلي،علي تسن:تاريخ أوروبا الحديث والمعاصر،دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر،الإسكندرية،2001م.

(22) نوار ،عبد العزيز سليمان ،وآخرون: التاريخ المعاصر أوروبا من الثورة الفرنسية الى الحرب العالمية الثانية ،ط1 ،دار النهضة العربية ،لبنان ،2000.

الخطوات التي أدت إلى استقلال السودان

باحث

د. أيمن كمال أمين السيد

المستخلص:

تتناولت الورقة الخطوات التي أدت إلى استقلال السودان وتحتوي على: موقف مصر وبريطانيا من السيادة على السودان والتي كانت مصر تطالب بها في المفاوضات مع بريطانيا وتوّجت موقفها في عام 1951م بعد فشل كل المفاوضات مع الجانب البريطاني بإعلان الملك فاروق الأول ملكا على مصر والسودان وإلغاء اتفاقيتي 1899م و 1936م إلى أن جاءت ثورة 23 يوليو 1952م والتي تخلت عن مبدأ السيادة على السودان، ثم تم التطرق لاتفاقية الحكم الذاتي والذي يشرح الخطوات التي قامت بها مصر بعد ثورة 23 يوليو 1952م لتوحيد السودانيين بتوقيع اتفاقية 10 يناير 1953م لمواجهة بريطانيا في المفاوضات والتي أثمرت عن اتفاقية 12 فبراير 1953م لتقرير المصير للسودان والتي ترتب عليها منح السودان استقلاله التام أو إعلان الوحدة مع مصر حسب نتيجة الاستفتاء على الوحدة ،وتم تناول خطوات مهام الحكومة الانتقالية التي تمثلت في السودنة والجلاء وتقرير المصير واختار رئيس الوزراء إسماعيل الأزهري لمبدأ الاستقلال التمام للسودان وإلغاء مبدأ الوحدة مع مصر نتيجة لعدة عوامل منها إقالة اللواء محمد نجيب عن الحكم في مصر وتدخل صلاح سالم في شؤون السودان الداخلية بالإضافة إلى ضغط السيدين علي الميرغني وعبد الرحمن المهدي عبر لقاء السيدين على إسماعيل الأزهري الذي أنهى الفترة الانتقالية بإلغاء الوحدة وإعلان استقلال السودان من داخل البرلمان في 19 ديسمبر 1955م وبعدها رفع علم السودان في الأول من يناير 1956م .

The Steps that led to the Independence of Sudan

Dr. Aimn Kamal Amin Elsayed

Abstract:

The paper addressed the steps that led to the independence of Sudan and contains three axes -The first axis :The stance of Egypt and Britain towards Sovereignty over Sudan which Egypt was demandingit in the negotiation with Britain and it implied its stance in the year 1951 after the failure of the negotiations with the British side to announce King Farouk the first king of Egypt and Sudanand abolishing the two agreements of 1899 and 1936 until the advent of the revolution of 23 July which abandoned the principle of dominion over Sudan .The second axis: The self governance agreement which explains the steps taken by Egypt after the revolution of 23 July 1952 for unifying the Sudanese people by signing the agreements of 10 July 1953 for facing Britain in the negotiations published in the agreement of 12 February 1953 for self-determination of Sudan which resulted in offering Sudan its full independence and announcing the unity with Egypt according to the resultof the referendum on unity .The Third axis: touches on the steps of the tasks of transitional government which were represented in Sudanization, clearance and self determination and the Prime Minister Ismail Al Azhari selected the principle of total independence and canceled the principle of unity with Egypt due to many factors including relieving brigadier Mohamed Najib from governance in Egypt and the meddling of Salah Salim in the internal affairs of Sudan in addition to the pressure of the two Masters on Almirghani and Abdul Rahman Al mahadi through the meeting of the two Masters Ali and Ismail Al Azhari which ended the transitional period byending the unity and declaring independence from within the Parliament on 19 December 1955 andafter thatraising high the flag of Sudan on the firstof January of the year 1956.

مقدمة :

عقب قيام الثورة المهدية في السودان عملت الحكومة البريطانية بنصيحة اللورد كرومر[1] المندوب السامي البريطاني في مصر التي أشارت إلى أن الوقت غير مناسب لإنهاء الثورة المهدية في السودان ، وأوصت بإخلائه لأن حالة مصر الاقتصادية لم تكن تسمح بحكم السودان والانفاق عليه ، وأشار إلى أن قيام الدولة المهدية في السودان لن يشكل خطرا على أمن مصر . [2]

رفض رئيس وزراء مصر شريف باشا اقتراح بريطانيا بالانسحاب من السودان على أساس أن مصر تعتبر السودان أرض ضرورية من أجل أمن ووجود مصر ، إلا أن إصرار بريطانيا على تحقيق اقتراحها دفعه إلى تقديم استقالته ، وخلفه على الوزارة نوبار باشا في 1884/1/17م والذي وافق على تنفيذ الانسحاب التركي المصري من السودان . [3]

عينت الحكومة البريطانية غردون باشا لتنفيذ إخلاء السودان ووصل في يناير 1884م ، إلا أن الموقف في السودان تدهور إثر سقوط المدينة تلو الأخرى وبسط الإمام محمد أحمد المهدي سيطرته على كل المدن ، ودخل الخرطوم في يناير 1885م وقتل الأنصار غردون باشا . [4]

عقب محاولة الخليفة عبد الله التعايشي احتلال مصر في مايو 1889م بقيادة عبد الرحمن النجومي الذي وصل إلى جنوب أرقين في أول يوليو ، واشتبك في معركة مع الجيش المصري وواصل التحرك إلى مصر ، والتقى مرة ثانية في معركة توشكي في 1889/8/3م ودارت معركة بين الطرفين قتل فيها عبد الرحمن النجومي وعدد كبير من الأنصار[5]، وعقب هزيمة جيش المهدية بدأت بريطانيا تفكر في إعادة فتح السودان وذلك لحماية حدود مصر الجنوبية من هجوم جيش المهدية مرة أخرى ، بالإضافة إلى تخوفها من تحكّم الدولة المهدية في مياه النيل . [6]

قررت بريطانيا في مارس 1896م دون استشارة الحكومة المصرية إعداد حملة عسكرية بريطانية مصرية للقضاء على دولة المهدية ، ويرجع هذا القرار إلى تخوّف بريطانيا عقب هزيمة إيطاليا على يد الأحباش في معركة عدوة في 1896/3/1م من إقامة حلف أفريقي بين السودان والحبشة ضد النفوذ الأوروبّي في القارة الأفريقية ، بالإضافة إلى ظهور الخطر الفرنسي في أعالي النيل والذي يهدد مصالح بريطانيا في وادي النيل . [7]

واجهت بريطانيا عند فتح السودان عدّة صعوبات تمثلت في الآتي :

أولا : السيادة وهي التي كانت لمصر على السودان قبل إخلائه .

ثانيا : الانفراد بإدارة السودان وتمثلت هذه المشكلة في استعادة مصر لسلطاتها الإدارية على السودان، التي فقدتها إبان أحداث الثورة المهدية والمستمدة من سيادتها على السودان .

ثالثا : قلقاللورد كرومر من سيادة تركيا وحقوقها في السودان ، لاسيما أنها لا تزال تمارس سيادتها على مصر . [8]

تولدت فكرة رفع العلم البريطاني بجانب العلم المصري في خطاب بعث به اللورد سالسوري إلى اللورد كرومر في 1898/6/3م يحذّره من أن تعترف بريطانيا بالحقوق المصرية في السودان ، وقد حققت عملية رفع العلمين على السودان هدفين لبريطانيا الأول تمثّل في مشروعيتها

في إدارة السودان ، والهدف الثاني القضاء على ما كان شائعا بين المصريين في أن استرجاع السودان هو إعادة السلطة فيه لمصر وحدها . [9]

مصر وبريطانيا والسيادة على السودان:

عقب فتح السودان عام 1898م تم التوقيع على اتفاقية الحكم الثنائي [10]والتي أهملت مسألة السيادة على السودان ، ولم تشر إليها مما أوجد فيهما خطأ بأن الاتفاقية خلقت سيادة مشتركة ارتكزت على المادة التي نصت على رفع العلمين البريطاني - المصري على السودان ، كما لم تشر الاتفاقية إلى السلطان العثماني [11]، الذي كانت له السيادة الإسمية على السودان في السابق . [12]

يعتبر رجال الفقه الدستوري المصري أن السيادة المصرية [13] على السودان لم تنقطع إبان الحكم حكم الدولة المهدية بحجة أنه لم يحدث تنازل قانوني عنها من قبل الباب العالي في الدولة العثمانية ومصر الدولة الحاكمة [14] ، لذلك فهي تعتبر الثورة المهدية حركة تمرد داخلية اجتاحت السودان فترة من الزمن . [15]

تمسكت مصر بتفسير اتفاقية 1899م على أنها مشاركة في الإدارة لا في السيادة ، وأن النوع الأول مرهون بالاحتلال البريطاني لمصر وأن نهاية هذا الاحتلال تنهي هذه المشاركة ، أما الاشتراك في السيادة فهو يمنح صاحبه حقوقا دائمة وانعكس هذا الفهم على وضع السودان في العلاقات المصريةالبريطانية[16]، وتأكيدا لهذا الموقف كانت جميع الأحزاب السياسية المصرية باستثناء القوى التقدمية واليسار المصري ، ترفض طرح مسألة السودان خارج إطار وحدة وادي النيل في كل المفاوضات مع بريطانيا ، منذ عام 1919م وتصر على أن السيادة المصرية على السودان حق تاريخي لمصر اكتسبته منذ فتح السودان عام 1820م وسيطرتها عليه لمدة خمس وستين عاما ، بجانب مشاركتها في إعادة احتلال السودان عام 1898م . [17]

كانت عدم رغبة بريطانيا في تحويل السودان بطريقة مباشرة إلى مستعمرة بريطانية جعل المسئولين البريطانيين ، يعملون من خلال أجهزة الحكم الثنائي على تشكيل سياسات تؤدي إلى عزل السودان سياسيا عن مصر ، وكانت تلك السياسة تفترض أنه بإحكام إغلاق السودان في وجه مصر ، فسيفضل السودانيون الحكم البريطاني على مصر ، وخير ما يمثل هذه الفكرة ما كتبه السير ونجت باشا قائلا « لقد وضّحت مرارا أن السودانيين شعب ذو إخلاص فريد لبريطانيا وهم راضون تماما عن الحكم الذي أقمناه « . [18]

كانت السياسة الجديدة ترمي إلى إقامة حماية على السودان بعد الحرب العالمية الأولى تتخذ أشكالا مختلفة ، منها تشجيع المشاعر والدعايات المناهضة للمصريين ، وحجز الزاوية في تلك السياسة خلق تحالفا ضمنيا بين الإدارة البريطانية ورجال الإدارة الأهلية في السودان ، حيث كان رجال الدين وشيوخ القبائل يدفعون ويشجعون دائما على الحديث باسم البلاد فيما يختص بالعلاقات مع مصر ، حيث كانوا يركّزون على اختلاف السودان عن مصر وانفصاله السياسي عنها . [19]

نظم حزب الوفد المصري في أبريل 1919م احتجاجا وأصر على أن يُنص في الدستور أن يكون مُلك مصر مُلكا على مصر والسودان ، وكان الحزب يرى أن مصر والسودان لا يمكن فصلهما ، وأن السودان أهم لمصر من الإسكندرية ، وتمثل رد فعل حكومة السودان على احتجاجات الحركة الوطنية المصرية فيما يختص بالسودان فقد عبر عنه القادة الدينيون وشيوخ القبائل [20] في برقية لحاكم عام السودان في أبريل 1919م جاء فيها « ... لكي لا يتطرق إلى مسامع السلطات البريطانية في مصر ولندن ما يجعلهم يعتقدون أننا هنا على اتفاق تام مع الحركة الوطنية المصرية ، نحن ونيابة عن الشعب السوداني نعبّر للحكومة البريطانية في الآتي :-

أولا : عن امتنانا التام لكل ما قام به المسئولون البريطانيون في السودان لخير السودان .

ثانيا : عن ولائنا العظيم والصادق للحكومة البريطانية الذي لا يتغير .

ثالثا : عن تأكيدنا الكامل والقاطع بأنه لا يد لنا ولا صلة تربطنا بالحركة التي تجري في مصر ، وأن تلك الحركة لا تمثل تطلعاتنا « . [21]

قررت حكومة السودان إرسال وفد إلى بريطانيا لتهنئة الملك جورج ملك بريطانيا على الانتصار في الحرب العالمية الأولى وغادر الوفد [22] في يوليو 1919م ، وفكرة الوفد كانت التعبير عن الولاء لبريطانيا والتنصل من الروابط مع مصر ، وقد ألقى علي الميرغني خطبة أمام الملك قائلا « فليرفرف العلم البريطاني أبدا على السودان رمزا للسلام والاستقرار « بينما أعرب الملك جورج عن أمله في أن يواصل الزعماء الدينيين تأييد حكومته في المستقبل . [23]

صاغ السير ونجت باشا شعار « السودان للسودانيين « وكان يعتقد أن سياسة تسير في هذا الاتجاه لهي خير ما يلائم حالة البلاد ، وأشار إلى أن العداء العنصري بين السودانيين والمصريين من العمق بدرجة يصعب معها القضاء عليه بسهولة ، وأن سياسة السودان للسودانيين أفضل فكرة تناسب ظروف البلاد . [24]

خلال وضع دستور 1923م نشبت أزمة حول السيادة على السودان فقد أصرّ اللورد اللنبي المندوب السامي البريطاني في مصر على حذف المادتين (29) و (145) من مشروع الدستور حيث نصت أُولاها على أن « المَلك يلقب بملك مصر والسودان « ، والثانية على أن « تجري أحكام هذا الدستور على المملكة المصرية بدون أن يخل ذلك مطلقا لما لمصر من الحقوق في السودان « ، وكانت تلك الخلافات سببا في استقالة وزارة توفيق نسيم . [25]

بعد إعلان استقلال مصر الأسمى في 1923/2/28م أصبحت مسألة السودان إحدى النقاط الأربعة [26] التي احتُفِظ بها في المفاوضات المستقبلية بين الحكومتين البريطانية والمصرية ، وقد شكلت مسألة السودان عقبة أساسية في التوصل إلى اتفاق في جميع المفاوضات ، وذلك لإصرار المفاوض المصري على الاعتراف بسيادة مصر على السودان . [27]

فشلت معاهدة 1936م [28] في إيجاد تسوية سياسية لمسألة السودان [29] ، ترضي الجانب المصري إذ تُجنِّبَ الاعتراف بمزاعم الحكومة المصرية في السيادة على السودان ومنحها دورا مؤثرا في إدارته [30]، وقد ظل المفاوض المصري يؤكد في جميع المفاوضات التي جرت مع بريطانيا بشأن

السودان على الاعتبارات التاريخية والقانونية التي تربط بين مصر والسودان ، وينادي بوحدة وادي النيل ، وإنه لا ينظر إلى السودان بوصفه مستعمرة بل امتداد طبيعي لمصر ، وجزء لا يتجزأ منها ويطالب بريطانيا بعدم المساس بحق مصر في السيادة على السودان ، واشراكها الفعلي في إدارة شئونه . [31]

استغلت حكومة السودان تشدد الحكومة المصرية بالمطالبة بالسيادة على السودان ووحدة وادي النيل تحت التاج المصري ، ومطالبة ملك مصر بحقه في أن يصبح ملكا على السودان ، لإثارة مخاوف السودانيين من المطامع المصرية في السودان . [32] وفي 1946/10/25م خلال المفاوضات بين إسماعيل صدقي والمستر إرنست بيفن تم الاتفاق حول السودان على « إن السياسة التي يتعهد الطرفان المتعاقدان باتباعها في السودان في نطاق الوحدة بين مصر والسودان تحت تاج مشترك هو تاج مصر ، سيكون هدفها الأساسي رفاهية السودانيين وتقدم مصالحهم وتهيئتهم تهيئة جادة للحكم الذاتي ومزاولة ما يترتب عليه من حق اختيار نظام الحكم مستقبلا « . [33] وصل إسماعيل صدقي إلى القاهرة في 26 أكتوبر 1946م وقال « اليوم أقر بأنني نجحت في مهمتي ذلك أن الوحدة بين مصر والسودان تحت التاج المصري قد تقررت بصفة نهائية « ، إلا أن رئيس الوزراء البريطاني المستر كلمنت أتلي بادر بتكذيب تصريح إسماعيل صدقي في اجتماع مجلس العموم البريطاني يوم 1946/10/28م ، ووصف تصريحات إسماعيل صدقي بأنها مغرضة ومضللة ، وأن المتفق عليه بينهما لا يعدو أن يكون محادثات تمهيدية بحتة وأنه لم يتم إقرار صيغة نهائية لمشروع الاتفاق . [34]

كلف إرنست بيفن السير هيربرت هدلستون حاكم عام السودان بتصريح على لسان الحكومة البريطانية بأنها لن تسمح بأي تغيير في نظام الحكم بالسودان ، وأن المحادثات الأخيرة لم تتعرض لحكومة السودان أو سلطتها بأي تغيير[35]، وقد عقد عبد الرحمن المهدي محادثات في لندن مع المستر كلمنت أتلي رئيس الوزراء البريطاني في 1946/11/28م أشار فيها إلى أن السيادة المصرية بالمعنى الذي نفهمه نحن يتعارض مع ما نأمله من الحرية ، لذلك فقد أجمع السودانيون على معارضة هذا الوضع المقترح ، وأن نظرية وحدة وادي النيل تتعارض مع حق السودانيين في تقرير مصيرهم . [36]

قدم السفير المصري محمود حسن في 1947/7/11م عريضة دعوى مصر إلى مجلس الأمن تشكو مشاركة بريطانية مصر في حكم السودان ، واحتلالها غير المشروع لمصر والسودان ، وأعلنت بريطانيا تمسكها بمعاهدة 1936م مع مصر والتي حاولت عن طريق المفاوضات الوصول إلى حل النزاع حول السودان ، وامتنع مجلس الأمن عن إصدار قرار بجلاء القوات البريطانية عن مصر والسودان . [37]

فيما يختص بالسودان فقد كان موقف محمود النقراشي ضعيفا حيث كان مبدأ الأمم المتحدة الحرية ومبدأ تقرير المصير للشعوب وكانت مصر في الواقع ترمي إلى حرمان السودانيين من تلك الحرية ، وأن الدفع الخاطئ الذي أوردته مصر لتعزيز دعواها في أحقية شعبي وادي النيل في الوحدة لم يجد التأييد من أعضاء مجلس الأمن . [38] وفي 9 ديسمبر 1950م أوضح محمد

صلاح الدين وزير الخارجية المصري في المفاوضات مع الحكومة البريطانية وجهة النظر المصرية بشأن الوضع في السودان ، وأشار إلى أن مصر تتمسك بأنها مع السودان بلد واحد له تاج واحد هو التاج المصري ، وهذه الوحدة طبيعية يؤيدها التاريخ منذ القدم ، فقد كان السودان دائما في وحدة مع مصر وتؤيده الجغرافيا إذ يجمع بينهما النيل ولا يفصلهما أي حدود طبيعية فضلا عما يربط أهل مصر والسودان من اللغة والدين والعادات والتقاليد . (39)

أكّد السفير البريطاني في مصر السير رالف استفنسون أن إعلان سيادة مصر أو أي سيادة أخرى على السودان لن تجد قبولا لدى أكثرية السودانيين وأن على الحكومة المصرية أن تواجه حقائق معينة تتمثل في الوعي القومي السوداني الذي ظهر في الست سنوات الأخيرة ، بالإضافة إلى وجوب معاملة السودانيين باعتبارهم جماعة قومية فلا يحدث تغيير في وضعهم دون استشارتهم ، ويجب أن يكون لهم حق تقرير المصير . (40)

اقترحت الحكومة المصرية في 6 يوليو 1951م أن يحتوي بيان المبادئ بين مصر وبريطانيا على الآتي :

أولا : وحدة مصر والسودان تحت التاج المصري .

ثانيا : تمتع السودانيين في نطاق هذه الوحدة وعلى مدى عامين بالحكم الذاتي .

ثالثا : انسحاب القوات البريطانية والموظفين البريطانيين وانهاء الحكم القائم في السودان بمجرد انقضاء العامين . (41)

رفضت بريطانيا طلب الحكومة المصرية بوحدة مصر والسودان تحت التاج المصري ، واعتبرته مطلب سياسي ليست بريطانيا على استعداد للمشاركة فيه(42)، وألقى مصطفى النحّاس باشا رئيس الوزراء المصري في 1951/10/8م خطابا أمام البرلمان المصري أعلن فيه إقرار اللوائح التي سوف تلغى من طرف واحد المعاهدة البريطانية المصرية لعام 1936م واتفاقيتي الحكم الثنائي في عام 1899م ، واستأذن النحّاس باشا الملك فارق الأول في أن تخطو حكومته الخطوات التي تعتزم إجرائها في إلغاء المعاهدة ، وإعلان وحدة وادي النيل ووافق الملك فاروق على تلك الخطوات . (43)

قدمت السفارة البريطانية في القاهرة مقترحات بخصوص السودان في 1951/10/13م تضمنت انشاء لجنة دولية تقيم في السودان لمراقبة التطور الدستوري بمشاركة دولتي الحكم الثنائي والولايات المتحدة والسودانيين ، وإصدار بيان بريطاني مصري مشترك بالمبادئ المشتركة الخاصة بالسودان ، وضمان دولي لاتفاقية مياه النيل ، إلا أن مجلس الوزراء المصري رفض في 1951/10/14م المقترحات البريطانية ، حيث أكدت مصر أنها لا تستطيع أن تنظر في أي مقترحات بريطانية ما دامت هناك قوات بريطانية في مصر والسودان ، وأن المقترحات التي قدمتها بريطانيا لا تختلف عن التي سبق أن قدمتها الحكومة البريطانية في يونيو 1951م . (44)

أصدرت حكومة السودان في 1951/10/14م بيانا اعترضت فيه على إلغاء معاهدة 1936م واتفاقيتي الحكم الثنائي ، وأشار البيان إلى أنه لا يمكن إلغاء هذه المعاهدات من جانب واحد ، لذا فهي ستظل سارية المفعول وأن الإدارة البريطانية بموجب سلطة الحاكم العام ستظل قائمة بإدارة

البلاد وستمضي في سبيل تحقيق الحكم الذاتي للسودان . [45] وفي 1951/10/15م أصدر الملك فاروق الأول القانون رقم 175 لسنة 1951م حيث نصت فيه المادة الأولى على أن « يلغى القانون رقم 80 لسنة 1936م بالموافقة على معاهدة الصداقة والتحالف بين مصر وبريطانيا العظمى الموقعة بلندن في 1936/8/26م ، ومن ثم ينتهي العمل بأحكام تلك المعاهدة والاتفاق المرافق لها ، وينتهي العمل كذلك بأحكام اتفاقيتي 19 يناير و10 يوليو 1899م بشأن إدارة السودان « . [46]

كما أصدر ملك مصر القانون رقم 176 لسنة 1951م بتعديل المادتين (159) و (160) من الدستور حيث جاء في المادة (159) « تجري أحكام هذا الدستور على المملكة المصرية جميعها ومع أن مصر والسودان وطن واحد يُقرّر نظام الحكم في السودان بقانون خاص « ، وأما المادة (160) من الدستور فتم استبدالها « الملك يلقب بملك مصر والسودان « [47] ، كما صدر قانون رقم 177 لسنة 1951م الخاص بوضع دستور ونظام حكم خاص بالسودان نصّت فيه المادة الأولى « يكون للسودان دستور خاص تعده جمعية تأسيسية تمثل أهالي السودان ، وينفذ بعد أن يصدق عليه الملك ويصدره وتتولى الجمعية التأسيسية كذلك إعداد قانون انتخاب يعمل به في السودان بعد التصديق عليه وإصداره « . [48]

أشار الحاكم العام السير روبرت هاو في برقية إلى وزير الخارجية بشأن اعتراف بريطانيا بالملك فاروق ملكا على مصر والسودان ، وبما ورد في خصوص السودان بعد إلغاء مصطفى النحّاس الاتفاقيات البريطانية المصرية إلى أن هذين التنازلين من بريطانيا لا يتفقان مع الوعود الصارمة التي أعطتها بريطانيا في مجلس العموم بأنها لن توافق على أي تغييرات في وضع السودان دون استشارة شعبه في تحديد مستقبل بلادهم . [49]

طالب حزب الأمة مصر بإلغاء المرسومين اللذين أصدرتهما حكومة الوفد في أكتوبر 1951م بشأن إسناد لقب ملك مصر والسودان للملك فاروق ووضع دستور ونظام حكم خاص بالسودان ، وأشار إلى أن التفسير الوحيد للتاج المصري الرمزي على السودان هو السيادة وليس هناك ما يبرر هذا نسبة لفترة الانتقال الدستوري في السودان ، ومن الممكن استبدال التاج المصري الذي تطالب به مصر بلجنة ثلاثية للحاكم العام تتكون من عضو مصري وبريطاني وسوداني تعمل مع الحاكم العام في فترة الانتقال . [50] وفي مارس 1952م عرض رئيس الوزراء نجيب الهلالي على بريطانيا التشاور بشأن السودان وأوفدت مصر إلى لندن السفير عمرو باشا للتفاوض ، إلا أن انتوني ايدن رفض الاعتراف بالملك فاروق ملكا على مصر والسودان إلا بعد استشارة السودانيين خلال فترة الانتقال ، وأوضح أن الحكومة ستستشير السودانيين خلال فترة الانتقال للبحث عن وسائل للاعتراف باللقب الملكي إلا أن مصر رفضت القرار البريطاني . [51]

اتجهت معظم الأحزاب السودانية في صيف 1952م إلى مصر للبحث حول مستقبل السودان في أروقة السياسة المصرية ، وهناك عقدت مفاوضات بين الأحزاب السودانية مهدت الطريق لمزيد من التقارب ، إلا أن سقوط الوزارات المصرية لم يجعلها تحقق شيئا ملموسا عن الوضع في السودان[52]، ولم يكن أمام الحكومة المصرية خيارات سوى أن تستمر في سياستها السابقة

وتعارض مشروع الدستور الذي يوشك الحاكم العام أن يطبقه في نوفمبر 1952م ، أو أن تركز جهودها لتعديل مشروع الدستور وأن تتنازل عن المطالبة بوحدة وادي النيل والموافقة على الاستفتاء على الوحدة أو الاستقلال التام للسودانيين حتى يتحقق الحكم الذاتي للسودان .

في 1952/7/21م اقترح هنري بايرود الوكيل المساعد لوزارة الخارجية الأمريكية على حكومته بأن تعترف بالملك فاروق ملكا على مصر والسودان ، إلا أنه في ليلة 23 يوليو 1952م قام الضباط الأحرار بقيادة اللواء محمد نجيب بانقلاب عسكري أطاح بعرش الملك فاروق الأول . [53]

اتفاقية الحكم الذاتي:

لم يكن أمام مصر بعد ثورة 23 يوليو 1952م سوى طريقين لحل مسألة السودان تمثل في الآتي :

الأول : أن تستمر سياستها السلبية الماضية وتعارض مشروع الدستور الذي يوشك الحاكم العام على تطبيقه في شهر نوفمبر 1952م ، وهو يمكّن السودان من حكم ذاتي تظل بريطانيا في السودان كحليف له .

الثاني : تركيز كل الجهود لتعديل مشروع الدستور ليعطي أكبر قسط من السلطات للشعب السوداني وحكومته بدلا من الحاكم العام ، والإصرار على خروج الإنجليز من السودان في أقرب فرصة ممكنة ، ليقرر شعب السودان مصيره بمحض اختياره . [45] وصل مجلس الثورة المصري إلى حل مشكلة السودان بعد أن وافق على مبدأ الاستفتاء وتقرير المصير للسودان، حيث يبدو أن اهتمام مجلس الثورة بمسألة السودان لم يكن كبيرا باستثناء اللواء محمد نجيب [55]وجمال عبد الناصر [56] وكانت هذه الخطوة مهمة لإحداث تحولات تاريخية في الموقف المصري تجاه السودان[57]، واقتضى قرار مجلس الثورة اطلاع الشعب المصري بالقرار والظروف التي أملته بصورة تستحوذ قبوله للقرار إذ كانت قناعته قائمة على الوحدة [58] أو الموت الزؤوم ، وبعد ذلك اقترح حسين ذو الفقار صبري [59]دعوة كل الأحزاب السياسية السودانية لتوحيد موقفها بصورة تكفل لمصر الدخول في مفاوضات مع بريطانيا بتأييد من الأحزاب السودانية . [60]

حدد مجلس قيادة الثورة الغرض الذي هدف إليه في المفاوضات بين مصر وبريطانيا والذي تمثل في الآتي :-

أولا : الاعتراف بحق السودان في تقرير مصيره ووقف سياسة استجداء بريطانيا في أمور العلاقة بين مصر والسودان والتي لا تملك بريطانيا قانونا وشرعا أمر البت فيه .

ثانيا : زوال الحكم الإنجليزي المدني والعسكري من السودان شرط أساسي لممارسة السودانيين لحق تقرير المصير .

ثالثا : العمل على تعديل مشروع الدستور المقدم من الحاكم العام لضمان أكبر قدر من السلطات للسودانيين خلال فترة الانتقال . [61]

أوضح اللواء محمدنجيب للسفير البريطاني بالقاهرة السير رالف استفنسون أنه يواجه ثلاث عقبات في طريق المفاوضات ، أولها إلغاء اتفاقية الحكم الثنائي قبل عام وأنه سيتخطاها

بمساعدة مستشاريه القانونيين ، والثانية المعارضة القوية للأحزاب الوحدوية في السودان لإجراء الانتخابات وإصرارهم على إجراء استفتاء على غرار ما اقترحه محمد صلاح الدين في الأمم المتحدة العام الماضي ، والعقبة الثالثة هي شعار وحدة وادي النيل الذي يثير مشاعر جيّاشة في مصر . [62]

دعا اللواء محمد نجيب ممثّلِين عن جميع الأحزاب السودانية إلى مصر للنظر في الطرق التي تتمكن مصر بواسطتها مساعدة السودانيين في انجاز مشروع الحكم الذاتي وتقرير المصير ، وأوضح محمد نجيب أن مصر تخلت عن الادعاء الملكي القديم بالسيادة على السودان الذي هو حر في تقرير مستقبله السياسي[63] ، وبدأت الاجتماعات الرسمية بين مصر وحزب الأمة واتفقت وجهات النظر بين الطرفين وتم توقيع اتفاقية بين الطرفين [64]تضمنت الآتي :-

أولا : تقرير السودانيين مصيرهم في حرية تامة إما بإعلان السودان استقلاله عن كل من مصر وبريطانيا وأي دولة أخرى ، أو الارتباط مع مصر على أن يسبق ذلك قيام الحكم الذاتي الكامل في السودان فورا .

ثانيا : رغبة في تمكين السودانيين بالتمتع بحكم ذاتي تمهيدا لممارستهم هذا الحق تكون هناك فترة انتقال تهدف إلى تمكين السودانيين من ممارسة حكم ذاتي كامل ، وتهيئة الجو الحر المحايد لتقرير المصير . [65]

تم عقب ذلك اتفاقية وِد بين الطرفين سميت الجنتلمان [66] ، ساهمت بحسم الخلافات بين السودان ومصر حول مياه النيل والمشروعات التي ستقام عليه [67]، كذلك قامت حكومة مصر بجهود لتوحيد صفوف الأحزاب الاتحادية التي كانت منقسمة فيما بينها ، فكان حزب الأشقاء يتكون من جناحين الأول برئاسة إسماعيل الأزهري والثاني بقيادة محمد نور الدين ، أما حزب وحدة وادي النيل بقيادة الدرديري أحمد إسماعيل ، والجبهة الوطنية (الختمية) برئاسة الدريري محمد عثمان فكانت هذه الأحزاب الاتحادية تؤمن بمبدأ الوحدة مع مصر إلا أنها تختلف فيما بينها حول تطبيق وحدة وادي النيل . [68]

تم تكوين لجنة ثلاثية برئاسة ميرغني حمزة وعضوية كل من خضر حمد والدرديري أحمد إسماعيل ومنحهم تفويضا لتكوين الحزب الوطني الاتحادي [69] ، وقررت اللجنة تعيين أعضاء الهيئة العامة للحزب من تسعين عضوا [70]واختارت إسماعيل الأزهري رئيسا للحزب الوطني الاتحادي ومحمد نور الدين وكيلا له وخلف الله خالد أمينا للصندوق وخضر حمد السكرتير العام للحزب . [71] وقع الاتحاديون بيانا مع حكومة مصر في 1952/11/1م جاء فيه « مع احتفاظنا بمبادئنا التي تقوم أساسا على الجلاء والاتحاد مع مصر عن طريق تقرير المصير للسودانيين ، فإننا لغرض تنظيم الجلاء وإيجاد الجو الحر الملائم لممارسة تقرير المصير ارتضينا أن تكون هناك فترة انتقال لا تزيد عن ثلاث سنوات لتصفية الإدارة الحالية على أن نشترك اثنائها في انتخابات البرلمان . [72]

ثم نجحت مصر في توقيع اتفاقية مع الأحزاب السودانية [73] في 10 يناير 1953م [74] ، جاء في نص الاتفاق أن السودان سيدعم مصر من أجل تشكيل لجنتين عالميتين الأولى لجنة الحاكم العام ومهمتها إسداء النصح والمشورة للحاكم العام لحين تقرير المصير ، والثانية للإشراف على الانتخابات

العامة لتأسيس برلمان سوداني[75]، وقد بعثت الحكومة المصرية بمذكرة إلى الحكومة البريطانية حول الحكم الذاتي للسودان تضمنت الآتي :

أولا : التعبير عن الاعتقاد الجازم في حق تقرير المصير للسودانيين .

ثانيا : لتحقيق هذا الهدف يجب البدء فورا في الإجراءات لفترة انتقالية لتأمين الحكم الذاتي الكامل للسودانيين .

ثالثا : توفير الجو الحر المحايد المطلوب لممارسة تقرير المصير .

رابعا : تنتقل السيادة إلى السودان في الفترة الانتقالية .

خامسا : تكون السيادة للحاكم العام بمعاونة لجنته الخماسية المكونة من عضوين سودانيين وعضو مصري وبريطاني وهندي .

سادسا : تكوين لجنة دولية لانتخاب البرلمان السوداني .

سابعا : تكوين لجنة للسودنة من عضو بريطاني ومصري وثلاثة أعضاء سودانيين لسودنة الإدارة والقوات النظامية في السودان .

ثامنا : جلاء القوات البريطانية المصرية عن السودان قبل عام من انتخابات الجمعية التأسيسية .

تاسعا : أن لا تزيد الفترة الانتقالية عن ثلاث سنوات . [76]

في 12 يناير 1953م بدأت المفاوضات بين مصر وبريطانيا حول السودان ، قدم فيها الجانب البريطاني مسودة الاتفاقية التي أعدها السير رالف استفنسون وافتتحت المسودة باعتراف الحكومتين البريطانية والمصرية بحق الشعب السوداني في الحكم الذاتي وتقرير المصير وقيام فترة انتقالية أقصاها ثلاثة أعوام وأكدت المسودة المقترحات المصرية الخاصة بتكوين لجنة خماسية لمعاونة الحاكم العام ولجنة الانتخابات ولجنة السودنة . [77]

رفضت مصر المسودة البريطانية لعجزها عن تبني وجهة النظر المصرية فيما يتعلق بجنوب السودان [78] والسودنة بالإضافة إلى عدم وضعها اعتبارا لاتفاقية 1953/1/10م مع الأحزاب السودانية[79]، واستغربت بريطانيا رفض مصر لمسودتها ووضعت المسودة المصرية الحكومة البريطانية أمام خيارين ، إما قبول وجهة نظر مصر أو قطع المفاوضات ، وأخيرا وافقت على قبول وجهة نظرهالجمعها مجموعة من الاتفاقيات مع الأحزاب السودانية في مواجهة بريطانيا الأمر الذي جعل موقف الحكومة البريطانية ضعيف جدا في المفاوضات . [80]

اجتمع مجلس الوزراء البريطاني في أوائل فبراير 1953م وأعاد النظر في موقفه ، وقرر حسم المفاوضات البريطانية المصرية وهذا التحول مكّن الجانبان المصري والبريطاني من تقريب وجهات النظر بين المسودتين المصرية والبريطانية خاصة في جنوب السودان والسودنة ، وقبلت بريطانيا اقتراح الحاكم العام بإعادة صياغة المادة (100) ليتم بموجبها منح الحاكم العام مسئولية خاصة في جميع أنحاء السودان ، وأن يخضع ذلك إلى مشورة لجنته وهو اقتراح أفضل من مطالبة مصر بحذف هذه المادة كلية من الدستور ، واستبدالها بمادة تكفل لدولتي الحكم الثنائي التعهد بالحفاظ على وحدة السودان . [81]

تمت تسوية موضوع السودنة على أساس الاقتراح المصري بتشكيل لجنة دولية لدراسة تقدم السودنة على ضوء التقارير التي ترفعها لجنة السودنة ، وذلك للتأكد من وجود الجو الحر المحايد لتقرير المصير[82]، ورفض الجانب المصري الاقتراح البريطاني بأن تبقى القوات المصرية والبريطانية في السودان إذا وافق البرلمان السوداني على ذلك ، وأشار إلى أن ذلك لا يتوافق مع تهيئة الجو الحر المحايد كما اعترضت الحكومة البريطانية على أن يتقلد مجلس الوزراء السوداني القيادة العليا لقوة دفاع السودان خلال المرحلة الأخيرة للفترة الانتقالية لأنه ستكون هناك فوضى في حالة وقوع طوارئ دستوريةولن يكون هناك مجلس وزراء في مثل هذه الحالة ، واتفق الجانبان على ترك المسألة للبت فيها بواسطة اللجنة الدولية التي ستشرف على مراحل تقرير المصير .[83]

وقعت اتفاقية الحكم الذاتي للسودان [84] في 12 فبراير 1953م وكانت في مجملها متناسقة مع ما أُتفِق عليه بين الحكومة المصرية والأحزاب السياسية السودانية ، وضمن ما ورد في المذكرة المصرية إلى بريطانيا في 1952/11/2م مدعوما باتفاقية 1953/1/10م .

الخطوات التي أدت إلى استقلال السودان:

انتخابات 1953م :

نصت المادة السابعة من اتفاقية الحكم الذاتي للسودان على تشكيل لجنة للانتخابات من سبعة أعضاء ثلاثة منهم سودانيين يعينهم الحاكم العام بموافقة لجنته ، وعضو مصري وعضو من المملكة المتحدة وعضو من الولايات المتحدة وعضو من الهند تعينهم حكوماتهم على أن يكون العضو الهندي رئيسا للجنة .[85]

وقد نص الملحق الثاني من الاتفاقية على مهام وسلطات اللجنة التي تمثلت في الآتي :-

أولا : الاشراف على الإعداد للانتخابات وإجراؤها وكفالة حيادتها .

ثانيا : دراسة مشروع قواعد الانتخابات وإعادة النظر فيه إذا اقتضى الأمر ذلك ، ومن ثم إصدار القواعد اللازمة لإجراء الانتخابات في أقرب فرصة ممكنة بحيث تتم في وقت واحد في جميع أرجاء السودان إذا كان ذلك عمليا .

ثالثا : الفصل في مؤهلات الناخبين لمجلس الشيوخ وفي عدد مقاعد الخريجين ، على ألا تزيد عن خمسةوتحديد دوائر الانتخاب غير المباشر لمجلس النواب .

رابعا : إجراء انتخابات مباشرة في كل حالة تقرر فيها إمكان ذلك عمليا .

خامسا : رفع تقرير لحكومتي مصر وبريطانيا عن سير الانتخابات .[86]

وفي 19 أبريل 1953م عيّن الحاكم العام لجنة الانتخابات التي ترأَّسَها المستر سوكومارسن من الهند وعبد الفتاح حسن ممثلا لمصر و ج. بني ممثلا للمملكة المتحدة وريك بيركنز ممثلا للولايات المتحدة الأمريكية ، وثلاثة أعضاء سودانيين هم عبد السلام الخليفة من حزب الأمة وخلف الله خالد من الحزب الوطني الاتحادي ، وغردون بولي من جنوب السودان .[87]

قامت اللجنة بطواف على جميع أقاليم السودان وبموجب السلطات الممنوحة لها قامت بتعديل قانون الانتخابات تضمن الآتي :

أولا : أن تكون الانتخابات لمجلس النواب مباشرة في ثمان وستين دائرة بدلا عن سبع وخمسين دائرة ، كما ورد في قانون الحكم الذاتي .

ثانيا : وسّعت اللجنة مدى تمثيل الناخبين المؤهلين في مجلس الشيوخ بإدخال المجموعات المهنية التي كانت مبعدة والتي شملت الخريجين من معلمي المدارس الوسطى .

ثالثا : قررت اللجنة زيادة عدد دوائر الخريجين من ثلاث دوائر إلى خمس دوائر . [88]

قررت لجنة الانتخابات في 1953/5/5م تأجيل الانتخابات إلى ما بعد موسم الأمطار ، على أن يجري الاقتراع في كل الدوائر خلال خمسة أسابيع تبدأ من منتصف أكتوبر 1953م [89]، ونال الحزب الوطني الاتحادي في مجلس الشيوخ اثنين وعشرين مقعدا وحزب الأمة والأحرار الجنوبي ثلاثة مقاعد لكل منهما والمستقلون مقعدين ، أما الأعضاء المعينون فقد وزعهم الحاكم العام ولجنته حيث نال الحزب الوطني الاتحادي عشرة مقاعد وحزب الأمة أربعة مقاعد والحزب الجمهوري الاشتراكي مقعد واحد ، والمستقلون مقعدين وأبناء الجنوب ثلاثة مقاعد . [90]

حقق الحزب الوطني الاتحادي فوزا ساحقا في انتخابات مجلس النواب حيث أحرز واحد وخمسين مقعدا من سبعة وتسعين مقعدا ، يليه حزب الأمة باثنين وعشرين مقعدا والمستقلون أحد عشر مقعدا وأبناء الجنون تسعة مقاعد والحزب الجمهوري الاشتراكي ثلاثة مقاعد والجبهة المعادية للاستعمار مقعد واحد . [91]

في السادس من يناير 1954م رشح ميرغني حمزة إسماعيل الأزهري لرئاسة الوزراء وثنّاه بولين اليز ومن الجانب الآخر رشح الصديق المهدي محمد أحمد محجوب ، ونال إسماعيل الأزهري ستة وخمسين صوتا مقابل سبعة وثلاثين صوتا لمحمد أحمد محجوب .

وفي التاسع من يناير 1954م أعلن تشكيل الحكومة من الآتية أسماءهم :-

إسماعيل الأزهري	رئيسا للوزراء ووزيرا للداخلية
محمد نور الدين	وزير الأشغال
ميرغني حمزة	وزير المعارف والزراعة والري
حمّاد توفيق	وزير المالية
محمد أمين السيد	وزير الصحة
مبارك زرّوق	وزير المواصلات
إبراهيم المفتي	وزير التجارة والاقتصاد
خلف الله خالد	وزير الدفاع
علي عبد الرحمن	وزير العدل

سانتينو دينق	وزير دولة
داك دي	وزير دولة
بلن أليو دي بيور	وزير الإنتاج الحيواني [29]

السودنة :

بدأت الحكومة الوطنية الأولى بالمهام الموكلة إليها لتنفيذ الفترة الانتقالية لتصفية الوجود البريطاني المصري وأول هذه المراحل قيام لجنة السودنة ، حيث نصت المادة الثامنة من اتفاقية الحكم الذاتي على « من أجل تهيئة المناخ الحر والمحايد الضروري لتقرير المصير سوف يتم انشاء لجنة للسودنة تتكون من :-

أولا : عضو مصري وعضو من المملكة المتحدة تختارهما حكومتهما ويعينهما الحاكم العام ، إضافة إلى ثلاثة أعضاء سودانيين يختارهم الحاكم العام من ضمن قائمة تتضمن خمسة أسماء يرفعها إليه رئيس الوزراء السوداني ، ويجب أن يحظى اختيار وتعيين الأعضاء بموافقة لجنة الحاكم العام .

ثانيا : عضو أو أكثر من لجنة الخدمة العامة بصفة استشارية بدون التمتع بحق التصويت « . [93]

رشحت بريطانيا المستر روبرت ريتشارد سون بيرنيت ممثلا لها في لجنة السودنة ، وكذلك رشحت مصر عبد الحميد داؤود ممثلا لها في اللجنة ، وقد أرسل وزير الخارجية البريطاني خطابا إلى المستر بيرنيت أخبره فيها بأن اختياره هو جزء من سياسة حكومة بريطانيا تجاه السودان ، بهدف ضمان نيل السودانيين الفرصة لتقرير مصيرهم ، وأشار إلى أن بريطانيا لا تتبع سياسة عرقلة عملية السودنة والتي يجب أن تجرى بطريقة متوازنة طول الفترة المحددة ليس بغرض تأخير تقرير المصير ، بل لتقليل ارتباك الجهاز الإداري . [94]

اقتصرت عضوية لجنة السودنة على أعضاء الحزب الوطني الاتحادي الحاكم وطالبت المعارضة بضم أعضاء مستقلين للجنة السودنة ، إلا أن الحكومة رأت الإسراع في سودنة الوظائف في فترة الانتقال فجاءت برجال من الحزب الحاكم لتنفيذ سياستها الخاصة ، لأن الحكومة مسئولة أولا وأخيرا عن الفترة الانتقالية لتصفية الإدارة الثنائية في السودان . [95]

قدّم إسماعيل الأزهري رئيس الوزراء قائمة من خمسة أعضاء ضمت عثمان أبو عكر – محمود الفضلي – إبراهيم يوسف سليمان – محمد أمين حسين – تون أتيل [96] ، وقد رفض الحاكم العام ترشيح تون أتيل بحجة ضعف مستواه الأكاديمي ، وترى ناهد عثمان أبو عكر أن تون أتيل تم ترشيحه من قبل الجنوبيين بالحزب الوطني الاتحادي وأن إسماعيل الأزهري لم يكن أمامه خيار سوى الموافقة ، ربما كان واثقا من رفضالحاكم العام لافتقاره المؤهلات لكنه أراد اثبات حسن النية لأعضاء الحزب من الجنوبيين وحزب الأمة وبريطانيا[97] ، وقد استاء الحاكم العام من ترشيحات إسماعيل الأزهري ووصف الأشخاص الذين رشحهم بتدني الكفاءة والتعصب الحزبي ، وقال « إن الاتفاقية لم تجعل لي مخرجا من مذلة الاضطرار لاختيار ثلاثة من هذه المجموعة لكي يقوموا

بتصفية أفضل من في الخدمة المدنية السودانية « . [98]

في أول اجتماع للجنة السودنة في 1954/4/7م تم اختيار الدكتور عثمان أبو عكر [99] رئيسا للدورة الأولى ، وتقرر أن يتبادل إبراهيم يوسف سليمان [100] ومحمود الفضلي [101] رئاسة اللجنة بالتناوب ، وقد اتخذ العضو المصري عبد الحميد داؤود [102] بناء على قرار الحكومة المصرية بمسايرة لجنة السودنة ، والوقوف إلى جانب الأعضاء السودانيين ودعمه ، بينما شكل المستر بيرنيت[103] جانب المعارضة داخل اللجنة . [104]

نصت الاتفاقية في الملحق الثالث في الفقرة الثالثة جاء فيها « تتخذ اللجنة قراراتها بأغلبية الأصوات وترفعها إلى مجلس الوزراء السوداني فإذا لم يوافق الحاكم العام على أي من هذه القرارات أو على رأي مجلس الوزراء جاز له لموافقة لجنته أن يمتنع عن الموافقة عليها ، أما إذا اختلف الحاكم العام ولجنته فإنه يجب رفع الأمر إلى الحكومتين ويبقى قرار اللجنة نافذا ما لم تتفق الحكومتان على خلاف ذلك « . [105]

بدأت لجنة السودنة عملها بسودنة قوة دفاع السودان واستدعت الجنرال اسكونز القائد العام لقوة دفاع السودان الذي أفاد أن عدد الضباط في القوة مائة وسبعة وثلاثون ضابطا منهم ستة وعشرون بريطانيا ومائة وسبعة وأربعون ضابطا سودانيا ، بالإضافة إلى أربعة عشر تلميذا حربيا أكملوا تدريبهم في الكلية الحربية في فبراير 1954م ، إلا أنهم لم يلتحقوا بعد بالوحدات العسكرية ، ليصبح عدد قوة دفاع السودان من السودانيين مائة وتسعة وخمسين ضابطا .

أوصت لجنة السودنة باستبدال ثلاثة وعشرين ضابطا بريطانيا من أصل خمسة وعشرين استبدالا فوريا خلال شهرين وهم قادة الفيالق وكبار ضباط هيئة الأركان ، وتم اقتراح زيادة قوة دفاع السودان من خمسة آلاف إلى ثمانية آلاف جندي وهي تشمل ثمانية سرايا ، وبعد ستة أشهر يتم إضافة ثمان سرايا أخرى ليصبح قوام القوة ثمانية آلاف جندي . [106]

أشار الجنرال اسكونز إلى أن عدد الضباط المطلوب لست عشرة سرية هو أربعة وثمانون ضابطا أي بمعدل خمسة ضباط لكل سرية إضافة إلى هيئة الأركان ، بينما أوضح اللواء إبراهيم عبود بأن أربعة ضباط لكل سرية سيكون مناسبا ، ليصبح عدد القوة مئتين وسبعة وعشرين ضابطا في أول عام 1955م ، حيث اقترح الضباط السودانيون اختصار مدة التدريب إلى ثمانية عشر شهرا ، وبذلك يكون هناك عشرون ضابطا جاهزا للعمل في أغسطس 1955م ، واختيار أربعين ضابط صف لتدريبهم وتخريجهم في سبتمبر 1954م ، بالإضافة إلى الاستعانة ببعض الضباط القدامى لأداء بعض الواجبات الإدارية . [107]

بعد مناقشة وافية لآراء القائد العام الجنرال اسكونز وكبار الضباط السودانيين وافقت اللجنة على السودنة الكاملة لقوة دفاع السودان فورا وشملت وظيفة القائد العام وخمسة من الضباط برتبة أميرالاي لقيادة الفرق ، واستطاعت لجنة السودنة في وقت قصير سودنة الجيش وتم تعيين الفريق أحمد محمد باشا القائد العام لقوة دفاع السودان واللواء إبراهيم عبود نائبا له . [108]

قررت لجنة السودنة في اجتماعها الثاني يوم 1954/3/8م سودنة قوة بوليس السودان ، إذ كان عدد أفراد البوليس عندئذ مائة وستة عشر ضابطا وست ألف ومائتين وتسع من الرتب الأخرى ، بالإضافة إلى ثمانية بريطانيين يتولون الوظائف القيادية في المديريات ، وفي نهاية عام 1954م اكتملت سودنة وظائف القمندانات بالمديريات المختلفة بما في ذلك المديريات الجنوبية . [109] وفي الجلسة السابعة يوم 1954/3/17م بدأت اللجنة في سودنة وظائف الإدارة التي بلغ عدد وظائفها سبع وتسعون واستمرت جلسات اللجنة حتى 1954/4/1م ، عقدت خلالها أحد عشر اجتماعا[110]، وأبدت حكومة السودان قلقها من سودنة وظائف الإدارة فقد أشارت إلى أن تطوير مجالس المدن والمجالس الريفية سيتيح للسودان إمكانية تقليص العديد من المهام الإدارية لمفتش المركز ، وتتركز مخاوف حكومة السودان في أن المجالس الريفية التي تتجمع فيها معظم الثروات لا تزال في بدايتها وأن مناطقها شاسعة وأن الضباط التنفيذيين السودانيين يحتلون مواقع بالغة الأهمية وهمبلا خبرة ، ولا يتوقع أن يحافظوا على تماسك النظام دون أن يتلقوا بعض المساعدة ، بالإضافة إلى عزوف الموظفين الشماليين عن العمل بعيدا عن الخرطوم ليكونوا قريبين من مركز النشاط السياسي ، وأبانت حكومة السودان أن جودة الحكم ستكون ضحية للسودنة خاصة في المراكز . [111]

استدعت اللجنة محمد عثمان يسن الذي أفاد أنه من الممكن العمل بمائة وسبعة وتسعين إداريا سودانيا لملء الخانات الشاغرة وأن يتم استيعاب موظفين من خريجي الجامعات المصرية وكلية الخرطوم الجامعية وسد النقص بأرباب المعاشات ، بينما طالب داؤود عبد اللطيف إعطاء وقت كاف لسودنة الإدارة حتى يتم عمل الترقيات اللازمة لوظائف الإدارة ، وقررت لجنة السودنة إجراء سودنة سريعة لأربع وتسعين وظيفة وإلغاء ثلاث وظائف رأت اللجنة أنها غير مهمة . [112]

قرر مجلس الوزراء إيقاف تعيين الموظفين الأجانب في حكومة السودان حتى تنتهي أعمال لجنة السودنة كما قرر عدم تمديد خدمة أي موظف أجنبي ، إلا بموافقة مجلس الوزراء كما أجاز مجلس الوزراء قانون تعويض الموظفين الأجانب الذين تقرر سودنة وظائفهم حرصا على توفير الجو الحر المحايد ، وتعويضهم عن الفترة المتبقية لهم في خدمة السودان ، وبلغ جملة ما دفعته الخزينة العامة تعويضا للأجانب ثلاثة ملايين ونصف المليون جنيه جمعت من الحكومة وأموال تبرع بها الشعب السوداني سميت بمال الفداء . [113]

في مارس 1955م تقدم ستة من أعضاء مجلس الشيوخ والنواب باقتراح إخطار الحاكم العام بالشروع في ترتيبات تقرير المصير ، واستفسر كاتب المجلس رئيس لجنة السودنة الذي أشار إلى أن السودنة لم تكتمل بعد ورفض الاقتراح وهذا على ما يبدو العجلة نحو إعلان الجلاء دون انتظار قرار لجنة السودان بانتهاء أعمالها . [114]

عقدت لجنة السودنة مائة وخمسة عشر اجتماعا بحثت فيها ألف ومئتان واثنان وعشرون وظيفة منها ألف وست وتسعون يشغلها بريطانيون ومائة وثلاث وخمسون يشغلها مصريون ، وسودنت اللجنة ستمائة سبع وأربعون في القسم الأول ، وسبع وثمانون في القسم الثاني ،

وبلغ مجموع الوظائف المسودنة سبعمائة أربع وثلاثون وبذلك أصبحت الوظائف غير المؤثرة على الجو الحر المحايد أربعمائة وثمانية وأربعون كلها من الوظائف الفنية . [115]

بعد عام ونصف انهت لجنة السودنة مهامها وأعلنت في 1955/8/2م أنها سودنت جميع الوظائف حسب نص اتفاقية الحكم الذاتي للسودان ، واختصرت الفترة الزمنية المحددة لها بمقدار النصف فتمت سودنة القوات النظامية في شهرين والإدارة في أربعة أشهر ، وبقية المصالح الحكومية [116] في شهرين وتمت سودنة الإدارة والقوات النظامية والعلاقات العامة والخطوط الجوية السودانية والجمارك والتعاون والمخازن والمهمات بنسبة مائة في المائة ، وبذلك انتهت المرحلة الأولى من تنفيذ اتفاقية الحكم الذاتي للسودان . [117]

الجلاء :

بدأت المرحلة الثانية من اتفاقية الحكم الذاتي التي تشتمل جلاء القوات البريطانية والمصرية عن السودان وبموجب اتفاق بين الحكومة والمعارضة قرر في 1955/8/16م أن يقدم إسماعيل الأزهري رئيس مجلس الوزراء اقتراحا في مجلس النواب يثنّيه الصديق المهدي بمخاطبة الحاكم العام عن الجلاء [118]ونص الاقتراح « نحن أعضاء مجلس النواب في البرلمان مجتمعا نعرب عن رغبتنا في اتخاذ التدابير لتقرير المصير فورا ، ونرجو من معاليكم اخطار الحكومتين المصرية وحكومة المملكة المتحدة لبريطانيا وشمال ايرلندا بتاريخ 12 فبراير 1953م بشأن الحكم الذاتي وتقرير المصير « . [119]

أوضح إسماعيل الأزهري أن الاحتلال قعّد كثيرا من الأمم والشعوب عن الاستقلال التام والسيادة الكاملة وبالجلاء تتقلص الإرادة الأجنبية الاستعمارية ، ثم أعقبه الصديق عبد الرحمن المهدي (كوستي شمال) فقال إن جلاء الجيوش المحتلة لا يعني توفر الجو الحر المحايد بل يعني إحساس الأمة باسترداد كرامتها المسلوبة[120]، وأشار محمد أحمد محجوب إلى أن السودانيين يقفون دائما كتلة واحدة كلما حزب الأمر وجد الجد ، لأنهم يقدمون مصالح بلادهم فوق مصالحهم الخاصة والمصلحة القومية على المصلحة الحزبية . [121]

تفاوضت مصر مع بريطانيا على تحديد موعد للجلاء استجابة لطلب البرلمان السوداني وتم الاتفاق بينهما على أن يكون يوم 13 نوفمبر 1955م آخر يم لمغادرة قواتهما السودان وقد طلبت وزارة الاشغال انتداب مهندسين من الوزارة ليقوموا بعملية تسليم المباني التي يحتلها الجيش البريطاني كأول خطوة للجلاء ومن ثم غادر أول فوج من الجيش البريطاني عائدا لبلاده عن طريق ميناء بورتسودان في 1955/8/31م ، بينما غادر أول فوج من الجيش المصري يوم 1955/9/14م وتمت مغادرة آخر جندي للسودان يوم 1955/11/9م . [122]

تقرير المصير :

بعد أن أجاز البرلمان الجلاء داخل السودان وهو المرحلة الأخيرة من تنفيذ اتفاقية الحكم الذاتي والتي تقتضي في هذه المرحلة بتقرير المصير ، فقد نصت المادة العاشرة من الاتفاقية على تكوين لجنة دولية لتأمين حرية الانتخابات أو أي إجراءات أخرى تتخذ لضمان الجو الحر المحايد .

بـدأت في 8 يونيـو 1955م المفاوضـات المصريـة البريطانيـة بشـأن تشـكيل اللجنـة الدوليـة التـي تـشرف عـلى تقريـر المصـير في السـودان وقـد اقترحـت بريطانيـا تكويـن لجنـة تضـم ممثلـين مـن بورمـا وباكسـتان وسـويسرا والسـويد وإيـران ، إلا أن مـصر رفضـت الاقـتراح بحجـة أن هـذه الـدول تقـع تحـت النفـوذ البريطـاني وطالبـت بتشـكيل لجنـة تضـم دولتـين مـن الـدول الغربيـة ودولتـين مـن الـدول الشرقيـة عـلى أن يكـون رئيـس اللجنـة مـن آسـيا . [123]

كانـت بريطانيـا تـرى عـدم تمثيـل أي مـن دولتـي الحكـم الثنـائي في اللجنـة الدوليـة بـل تدخُلُهـا دول محايـدة لا علاقـة تاريخيـة لهـا بالسـودان ، بينـما أصرت مـصر عـلى اشراك دولتـي الحكـم الثنـائي في اللجنـة الدوليـة وكانـت تخـشى أن تعطـى سـلطات تقديريـة واسـعة للجنـة ليـس لهـا ممثـل فيهـا ، وفي 16 يوليـو 1955م صوتـت حكومـة السـودان لصالـح الاقـتراح البريطـاني فاقترحـت مـصر بصـورة مفاجئـة في 13 أغسـطس 1955م أن يـترك أمـر تشـكيل اللجنـة الدوليـة إلى البرلمـان السـوداني ليتخـذ القـرار المناسـب وقـد قبلـت الحكومـة البريطانيـة بالاقـتراح المـصري . [124]

عقـد البرلمـان جلسـة في 22 أغسـطس 1955م وقـد اقـترح مبـارك زرّوق مـا يـلي « إنـه مـن رأي هـذا المجلـس ألا تمثـل مـصر وبريطانيـا العظمـى في اللجنـة الدوليـة المشـار إليهـا في المـادة العـاشرة مـن الاتفـاق « [125] ، وقـد اقـترح مبـارك زرّوق تعيـين الـدول الآتيـة أعضـاء في اللجنـة الدوليـة باكسـتان – الهنـد – السـويد – سـويسرا – النرويـج – يوغسـلافيا – تشكوسـلوفاكيا[126]، وفي يـوم 29 أغسـطس 1955م اقـترح ميرغنـي حمـزة « إنـه مـن رأي هـذا المجلـس أن الاسـتفتاء الشـعبي هـو أنجـح الوسـائل للتحقـق مـن رغبـة السـودانيين الحقيقيـة في تقريـر مصيرهـم ويطلـب المجلـس مـن الحكومـة أن تتخـذ كل الإجـراءات اللازمـة لتبليـغ هـذه الرغبـة للدولتـين المتعاقدتـين « ، وقـد أجيـز القـرار بالإجـماع وكان الاسـتفتاء يقـرر أحـد أمريـن إمـا الارتبـاط بمـصر عـلى أي صـورة أو الاسـتقلال التـام . [127]

وافقـت بريطانيـا ومـصر عـلى قـراري البرلمـان السـوداني في 1955/8/22م و1955/8/29م ، ثـم بعثـت مـصر بمذكـرة شـفوية لمجلـس النـواب يـوم 1955/10/6م جـاء فيهـا مـا يـلي :-

أولا : إن مـن بـين المسـائل التـي تبحثهـا اللجنـة الدوليـة التـي ستشـكل بمقتـضى البنـد العـاشر مـن الاتفاقيـة مسـألة القيـادة العليـا للقـوات المسـلحة السـودانية عنـد وبعـد سـحب القـوات المصريـة والبريطانيـة ، لـذا مـن الـضروري أن تبـاشر اللجنـة أعمالهـا قبـل الجـلاء الـذي سـيتم في يـوم 1955/11/12م .

ثانيا : ترغب مصر في الاتصال بالدول التي تم الاتفاق عليها بواسطة البرلمان لبحث مسألة القيادة.

ثالثـا : تـرى مـصر أن يكـون الاسـتفتاء في وقـت واحـد مـع انتخـاب جمعيـة تأسيسـية بواسـطة اقـتراع شعبي مباشر . [128]

أحـس الحاكـم العـام نوكـس هلـم بأنه سـوف يُجـرّد من السـطلة بعـد انسـحاب القـوات البريطانية وأن الموقـف سـيصبح في يـد السـودانيين خـلال فـترة قصـيرة ، فاقـترح أن تنهـي دولتـا الحكـم الثنائي هـذا الحكم وتعلـن اسـتقلال السـودان فوافقـت بريطانيـا عـلى الاقـتراح ، إلا أن الرئيـس جـمال عبـد النـاصر رفضـه لأسـباب داخليـة رغـم قناعتـه أنـه إذا أُجـرِيَ اسـتفتاء في السـودان سـيختار الشـعب الاسـتقلال . [129]

اقترحت وزارة الخارجية البريطانية بتأييد من الحاكم العام أن تعلن بريطانيا منفردة استقلال السودان وإلغاء الحكم الثنائي ، إلا أن هنري تريفليان حذر بريطانيا بأن مثل هذه الخطوة تعتبر من مصر خرقا للاتفاقية مما قد يدفع بها لإلغاء اتفاقية قناة السويس المبرمة في عام 1954م، فصرفت النظر ثم جاءت برأي آخر يسانده الحاكم العام وهو أن تقترح على إسماعيل الأزهري إعلان الاستقلال على أن تلتزم بريطانيا بتأييده ، إلا أن إسماعيل الأزهري أخبر وليم لوس بأن هناك اتجاها عاما بين الأحزاب السودانية للإسراع بعملية تقرير المصير . [130]

أجرى إسماعيل الأزهري رئيس الوزراء مشاورات مع الأحزاب السياسية لضمان إعلان الاستقلال ، وكانت آراء الأحزاب قد تضمنت وجهات النظر الآتية :-

أولا : اعترض حسن الطاهر زرّوق ممثل الجبهة المعادية للاستعمار على إعطاء حق المناداة للاستقلال للبرلمان الحالي ، وعلل اعتراضه بأنه ربما يقع بعض أعضاء البرلمان تحت تأثير ما وأنه لا بد من إجراء الاستفتاء الشعبي المباشر .

ثانيا : وافق حزب الأمة على إعلان الاستقلال بواسطة البرلمان ، على أن تتوفر الضمانات للفترة التي تعقب هذا الإعلان كنظام للحكم أثناء هذه الفترة وإذا لم تتوفر هذه الضمانات [131] فإنه يفضل تنفيذ الاتفاقية .

ثالثا : رأى الحزب الجمهوري الاشتراكي أنه يفضل إجراء الاستفتاء الشعبي ، الذي أصبح رغبة الشعب وإذا لم توافق عليه الدولتان يفضل الحزب على أن ينادي البرلمان بالاستقلال .

رابعا : رأت الحكومة أن يعلن البرلمان الحالي استقلال السودان بعد أن تتوفر جميع الضمانات كالحصول على موافقة الدولتين منح البرلمان هذا الحق . [132]

كان إسماعيل الأزهري قد تحدث مع وليم لوس مستشار الحاكم العام ومساعده كنريك حول الوحدة مع مصر فقال « إنه لا يعقل أن يتخلص المرء من سيد ثم يضع نفسه تحت سيد جديد وأن معظم الناس في البلاد شعروا لبعض الوقت أنه من الأسهل والعملي التحالف بشكل مؤقت مع مصر ليتخلصوا من البريطانيين ، غير أن هذا لا يعني أنهم كانوا يرغبون في وضع أنفسهم تحت المصريين « . [133]

كانت السياسة التي انتهجها صلاح سالم التي اعتمدت على أسلوب الرشوة لتقريب بعض العناصر السودانية على حساب الأخرى بالإضافة إلى موقفه المتطرف من محمد نجيب ، الذي تمت إقالته في عام 1954موالتي كان لها أكبر الأثر في نفوس السودانيين الموالين لمصر وتحولهم عن طريق الوحدة ، وباءت جهود صلاح سالم بالفشل تجاه تحطيم شعبية إسماعيل الأزهري بتأليب أهل الجنوب عليه ، ومساندة خصمه محمد نور الدين جعلت إسماعيل الأزهري يشحذ فكرة الانفصال في نفوس السودانيين بعد وضوح اتجاهات ثورة 23 يوليو في مصر [134] ، وقال إسماعيل الأزهري إنه كان يؤيد الاتحاد في ظل حكومة ملكية دستورية ، ولكن الحوادث في مصر غيرت رأيه وأنه يأمل أن لا تتبع مصر أساليب الطابور الخامس . [135]

ظهر عداء وغضب مصر على إسماعيل الأزهري عندما شارك في احتفالات ثورة 23 يوليو المصرية ، فقد تم وضع إسماعيل الأزهري مع الوزراء المصريين ولم يجلس مع رؤساء الجمهوريات ورؤساءالوزارات ، ثم هاجمت مظاهرة إسماعيل الأزهري في الاحتفال وكانت تنادي بوحدة وادي النيل . [136]وافقت اللجنة التنفيذية للحزب الوطني الاتحادي على قرار اللجنة البرلمانية للحزب بأن يكون السودان جمهورية مستقلة ذات سيادة ، وعن العلاقة مع مصر أعلنت اللجنة الآتي :-

أولا : يشكل مجلس استشاري بعدد متساو بين البلدين لبحث المواضيع الدفاعية .

ثانيا : تتعاون الدولتان في مسألة مياه النيل .

ثالثا : يصدر السودان عملة خاصة به بدلا من العملة المصرية . [137]

بدأ إسماعيل الأزهري يشعر بالضيق من تدخل صلاح سالم في شئون السودان ، ومن ثم بدأ يسير في اتجاه الاستقلاليين وإجراء مشاورات مع حزب الأمة ، وأدى هذا إلى توتر في العلاقات بين إسماعيل الأزهري وعلي الميرغني الذي أدرك خطورة هذه الاتصالات على الختمية ، ونشب خلاف بين الطرفين حول الاستفتاء [138]والحكومة القومية [139] التي كانت تنادي بها المعارضة ، وفي يوم 1955/11/10م وهو اليوم الذي أُبلِغ فيه مجلس النواب بقبول دولتي الحكم الثنائي لقراريه بشأن الاستفتاء ، وتشكيل اللجنة الدولية سقطت حكومة إسماعيل الأزهري في القراءة الثانية للميزانية ، بإيعاز من علي الميرغني . [140]

قدم إسماعيل الأزهري استقالته للحاكم العام في 1955/11/10م فاندلعت المظاهرات مؤيدة لرئيس الوزراء فعاد مجلس النواب للانعقاد في 1955/11/15م حيث تقدم عبد الله خليل بمقترح ترشيح ميرغني حمزة لرئاسة الوزراء وثناه محمد أحمد محجوب ، بينما رشح مبارك زرّوق إسماعيل الأزهري الذي فاز بثمانية وأربعين صوتا مقابل ستة وأربعين صوتا لميرغني حمزة ، وكان سبب فوز إسماعيل الأزهري عودة النواب الأربعة [141] الذين خرجوا عن الحزب الوطني الاتحادي . [142]

زار عبد الرحمن المهدي في يوم 1955/12/1م علي الميرغني بمنزله بحلة خوجلي واستمر اللقاء حوالي خمسين دقيقة بقى فيها السيدان على انفراد ، وقد رد علي الميرغني الزيارة لعبد الرحمن المهدي بمنزله بالخرطوم وأصدرا بيانا قالا فيه « ... كما نأمل أن يمكّن التقاء الأحزاب في الحال على قيام حكومة قومية « . [143]

دعت قيادة الحزب الوطني الاتحادي إلى اجتماع لمناقشة الاحتمالات المترتبة على لقاء السيدين ودعوتهما لإقامة حكومة قومية ، وقد رأى بعض النواب إمكانية استمرار الحزب منفردا بالحكم باعتباره صاحب الأغلبية ورغم ذلك دخل الحزب في مفاوضات مع الأحزاب السياسية [144] ، ولما لم يتم الاتفاق مع الأحزاب حول الحكومة القومية أوقفت الحكومة المشاورات مع الأحزاب السياسية[145] ، وأيقنت الأحزاب السودانية أن إجراء الاستفتاء قد يترتب عليه إثارة كثير من المشاكل فضلا عن استحالة إجراء الاستفتاء في الجنوب إذ تسبب التمرد عن انهيار في مجالي الأمن والإدارة ونتيجة لذلك صرف البرلمان السوداني النظر عن الاستفتاء الشعبي . [146]

استقال الحاكم العام السير نوكس هلم في 1955/12/12م من منصبه وأعلن في القاهرة أن السفير البريطاني أبلغ الحكومة المصرية أن بريطانيا لا تنوي ترشيح بريطاني آخر ليحل مكانه ، ويرى د. فيصل عبد الرحمن علي طه أن الحكومة البريطانية عمدت إلى إخلاء منصب الحاكم العام لسببين أولهما تهيئة الجو للسودانيين لإعلان استقلالهم من داخل البرلمان ، وثانيهما سد الذرائع المصرية بأن بريطانيا ترمي من إعلان الاستقلال من داخل البرلمان إلى مد فترة عمل الحاكم العام بعد الاستقلال وخلال فترة إعداد الدستور وإبقاء القيادة العليا لقوة دفاع السودان في يده . [147]

فاجأ إسماعيل الأزهري الأحزاب السياسية في يوم 1955/12/19م حيث قدم أربع اقتراحات هي :-

أولا : أن تعطى الجمعية التأسيسية الاعتبار الكافي لمطالب الأعضاء الجنوبيين بتكوين حكومة فيدرالية للمديريات الجنوبية الثلاث .

ثانيا : الاعتراف باستقلال السودان فورا .

ثالثا : تشكيل هيئة تقوم مقام رئيس رأس الدولة .

رابعا : قيام جمعية تأسيسية منتخبة لوضع وإقرار الدستور الدائم للسودان ، وقانون الانتخابات للبرلمان المقبل . [148]

أثار التمرد المشاعر في الشمال ولفت الانتباه إلى الجنوب للوصول معهم إلى اتفاق عن طريق التنازلات السياسية ، ونتيجة لذلك وافقت الأحزاب الشمالية على دراسة المشروع لإقامة اتحاد فيدرالي في السودان ووافق ممثلو الجنوب في البرلمان استنادا لهذا الوعد على إعلان الاستقلال . [149]

اقترح عبد الرحمن محمد إبراهيم (بقارة نيالا غرب) أن يقدم خطاب [150]إلى الحاكم العام نصه « نحن أعضاء مجلس النواب في البرلمان مجتمعا نعلن باسم شعب السودان أن السودان قد أصبح دولة مستقلة كاملة السيادة نرجو من معاليكم أن تطلبوا من دولتي الحكم الثنائي الاعتراف بهذا الإعلان فورا « . [151]

ثم تقدم حسن جبريل سليمان (دار مساليت جنوب) بالاقتراح التالي « بما أنه يترتب على الاعتراف باستقلال السودان قيام رأس دولة سوداني فإنه من رأي هذا المجلس أن ينتخب البرلمان لجنة من خمسة سودانيين وتمارس سلطات رأس الدولة بمقتضى أحكام دستور مؤقت يقره البرلمان الحالي حتى يتم انتخاب رأس الدولة بمقتضى أحكام الدستور السوداني النهائي ، كما أنه من رأي هذا المجلس أن تكون الرئاسة في اللجنة دورية من كل شهر ، وأن تضع اللجنة لائحة لتنظيم أعمالها « . [152] واقترح محي الدين الحاج (تقلي جنوب) الآتي « إنه من رأي هذا المجلس أن تقوم جمعية تأسيسية منتخبة لوضع وإقرار الدستور النهائي للسودان وقانون الانتخاب للبرلمان السوداني المقبل «[153] ، وفي يوم 1955/12/26م تقدم مبارك زرّوق بالاقتراح التالي « إنه من رأي هذا المجلس أن يكون الآتية أسماؤهم أعضاء في اللجنة الخماسية لممارسة سلطات رأس الدولة لموجب دستور مؤقت يقرره البرلمان الحالي ، أحمد محمد صالح – أحمد محمد يسن – الدرديري محمد عثمان – عبد الفتاح المغربي سرسيو ايرو « . [154]

عجلت عدة عوامل بوضع الدستور المؤقت تمثلت في ملء الفراغ الدستوري الناتج عن انتهاء فترة الانتقال والإسراع بالحصول على اعتراف مصر وبريطانيا بالاستقلال ، لذلك رأت الحكومة أن أقصر الطرق هو تعديل قانون الحكم الذاتي [155] حتى يسير مع الوضع الدستوري الجديد للسودان . [156] وفي 1955/12/31م قدم مبارك زرّوق الاقتراح التالي « نحن أعضاء مجلس الشيوخ والنواب في جلسة مشتركة للمجلسنقرر الموافقة على الأحكام المرفقة ونصدرها دستوريا سودانيا مؤقتا يرعاه الشعب السوداني ويطيعه إلى أن تصدر في الحين المرتقب أحكام أخرى « . [157]

في اليوم الأول من يناير 1956م أنزل العلمان البريطاني والمصري من قصر الحاكم العام ورفع بدلا منهما العلم السوداني إيذانا بمولد جمهورية السودان المستقلة ، وصدر بيان من السفارة البريطانية والمصرية اتفقتا على الاعتراف باستقلال السودان الذي أعلنه البرلمان السوداني في 1955/12/19م وأن الاتفاق يقوم على عدة قواعد هي :-

أولا : الاعتراف باستقلال السودان .

ثانيا : انهاء الحكم الثنائي المعقود في عام 1899م وهو الاتفاق الذي حكمتا مصر وبريطانيا السودان بموجبه .

ثالثا : الغاء الاتفاق الذي عقد بين مصر وبريطانيا في 1953/2/12م والذي خول السودان حق تقرير المصير في فترة تنتهي عام 1957م .

رابعا : إلغاء اللجنة الدولية السباعية التي كانت مكلفة بالإشراف على تقرير المصير .

خامسا : إلغاء منصب الحاكم العام . [158]

اعترفت مصر باستقلال السودان وجاء في خطاب الحكومة المصرية « إن الحكومة المصرية عملا بنواياها التي جاهرت بها وبمسعاها الذي جاهدت من أجله لتحقيق الحرية لشعب السودان تعلن فورا الاعتراف بالسودان دولة مستقلة ذات سيادة « [159] ، كما سلمت وزارة الخارجية البريطانية اعترافها جاء فيه « تسلمت حكومة الملكة المتحدة لبريطانيا العظمى وشمال ايرلندا قرار البرلمان السوداني الذي يعلن فيه أن السودان قد أصبح دولة مستقلة ذات سيادة والذي يطلب فيه السودان من دولتي الحكم الثنائي الاعتراف بذلك الإعلان إجابة لهذا الطلب فقد خولتني حكومة المملكة المتحدة بأن أحيطكم علما بأنها تعترف منذ تاريخ اليوم بأن السودان قد أصبح دولة مستقرة حرة ذات سيادة « . [160]

عقب استقلال السودان بشهرين تجددت دعوة الأحزاب السياسية وزعماء الطائفية بتكوين حكومة قومية وضغطت جميع الأطياف السياسية على إسماعيل الأزهري الذي وافق على قيام الحكومة القومية في فبراير 1956م إلا أنها لم تستمر أكثر من أربعة أشهر فسقطت الحكومة في 1956/6/20م بعد انشقاق علي الميرغني من الحزب الوطني الاتحادي وتكوين حزب الشعب الديمقراطي ، وتم تشكيل ائتلاف بين حزبي الأمة والشعب الديمقراطي لتشكيل حكومة سميت بحكومة السيدين برئاسة عبد الله خليل ، بينما أصبح إسماعيل الأزهري زعيم المعارضة . [160]

الخاتمة:

عقب احتلال بريطانيا ومصر السودان عام 1898م وقعت اتفاقية الحكم الثنائي في يناير 1899م لإدارة الحكم في السودان وبعد ذلك أصبحت مصر تطالب بحقوق السيادة على السودان التي تدعي بأنها اكتسبتها منذ عام 1821م التي تقول السودان أراض لا مالك لها واستمرت هذه المطالبة عبر المفاوضات بين بريطانيا ومصر حتى ألغى مصطفى النحّاس معاهدتي 1899م و 1936م وأعلن الملك فاروق الأول ملكا على مصر والسودان .

جاءت ثورة 23 يوليو 1952م بمبادئ جديدة في المفاوضات بين بريطانيا ومصر تنازلت فيها عن دعوى حق مصر في السيادة على السودان مما دفع إلى تشكيل تحالف مصري سوداني عبر اتفاقية 10 يناير 1953م التي كانت دافعا قويا للتوصل بين دولتي الحكم الثنائي إلى اتفاقية 12 فبراير 1953م لتقرر الحكم الذاتي للسودان .

نجح الحزب الوطني الاتحادي في الفوز بانتخابات 1953م وشكل إسماعيل الأزهري وزارته لإدارة الفترة الانتقالية لتصفية الإدارة الثنائية التي تمثلت في السودنة والجلاء وتقرير المصير للسودان ، وأعلنت استقلال السودان في الأول من يناير 1956م .

واجهت الحكومة الانتقالية صعوبات عديدة تمثلت في حوادث مارس 1954م وحوادث تمرد جنوب السودان في أغسطس 1955م ولقاء السيدين علي الميرغني وعبد الرحمن المهدي في ديسمبر 1955م والتي كانت لها آثارٌ سيئة على استقرار الأوضاع السياسية في السودان .

النتائج:

أولا : نجح الحزب الوطني الاتحادي في تحقيق استقلال السودان التام بعد صدام مع مصر والصاغ صلاح سالم كان سببا في إبعاد إسماعيل الأزهري عن برنامج الوحدة مع مصر .

ثانيا : كان رفض الحزب الوطني الاتحادي مشاركة الأحزاب السياسية الأخرى تشكيل حكومة ائتلافية سببا في تنفيذ أهداف الفترة الانتقالية المتمثلة في السودنة والجلاء وتقرير المصير .

ثالثا : وفّق إسماعيل الأزهري في مشاوراته مع المعارضة السياسية في تحقيق الأهداف السياسية لحكومته خاصة في يوم 1955/12/19م .

رابعا : لم يجد إسماعيل الأزهري العون من السيدين علي الميرغني وعبد الرحمن المهدي بعد لقائهم في ديسمبر 1955م الذي كان أحد عدم استقرار الأوضاع السياسية في السودان التي نتج عنها تشكيل حكومة قومية ثم حكومة ائتلافية فشلت في إدارة البلاد فسلم عبد الله خليل الحكم للفريق إبراهيم عبود في 17 نوفمبر 1958م .

الهوامش:

(1) هو السير افلنج بارنج مراقب المالية المصرية قبل الاحتلال البريطاني لمصر ، ثم عمل المندوب السامي البريطاني في مصر من عام 1882م حتى 1907م .

(2) فدوى عبد الرحمن علي طه : السودان في عهد الحكم الثنائي 1899 – 1956م ، مركز محمد عمر بشير للدراسات السودانية جامعة أم درمان الأهلية ، أم درمان ، 1997م ، ص 3 .

(3) عباس حلمي الثاني : عهدي مذكرات عباس حلمي الثاني خديوي مصر الأخير 1892 – 1914م ، ترجمة جلال يحيى ، دار الشروق القاهرة ، الطبعة الأولى ، 1993م ، ص 171 .

(4) الشاطر بصيلي عبد الجليل : معالم تاريخ سودان وادي النيل من القرن العاشر إلى القرن التاسع عشر ، بدون معلومات للنشر ، القاهرة ، 1955م ، ص 177 – 179 .

(5) عبد الرحمن الرافعي : مصر والسودان في أوائل عهد الاحتلال تاريخ مصر القومي من عام 1882 – 1892م ، الدار القومية للطباعة والنشر ، القاهرة ، الطبعة الثالثة ، 1966م ، ص 165 .

(6) محمد فؤاد شكري : مصر والسودان تاريخ وحدة وادي النيل السياسية في القرن التاسع عشر 1820 – 1899م ، دار المعارف القاهرة ، 1963م ، ص 428 .

(7) زاهر رياض : السودان المعاصر منذ الفتح المصري حتى الاستقلال 1821 – 1953م ، بدون معلومات للنشر ، القاهرة ، 1966م ، ص 182 – 183 .

(8) محمد فؤاد شكري : مرجع سابق ، ص 510 – 511 .

(9) عبد الفتاح عبد الصمد منصور : العلاقات المصرية السودانية في ظل الاتفاق الثنائي 1899 – 1924م ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، 1993م ، ص 58 – 59 .

(10) (10) لمزيد من المعلومات عن اتفاقية الحكم الثنائي أنظر فدوى عبد الرحمن علي طه : السودان في عهد الحكم الثنائي 1899 – 1956م .

(11) نص الفرمان العثماني على خديوي مصر على « أنه لا يجوز له تحت أي ظرف أو وسيلة ترك الامتيازات كلها أو بعضها أو ترك قطعة أرض من الأراضي المصرية للغير مطلقا « .

(12) فدوى عبد الرحمن علي طه : السودان في عهد الحكم الثنائي ، ص 6 – 7 .

(13) جاءت فكرة السيادة بمفهومها القانوني في القارة الأفريقية حلال الربع الأخير من القرن التاسع عشر الميلادي بعد مؤتمر برلين عام 1884م ووصف المؤتمر الأراضي الخلاء أو الأراضي التي لا سيد لها (Nullius Res) وهي التي سمح للقوى المشاركة في المؤتمر أن تفرض عليها هيمنتها .

(14) لمزيد من المعلومات عن حقوق وفرمانات السيادة المصرية على السودان أنظر محمد فؤاد شكري : مصر والسودان الوضع التاريخي للمسألة ، دار الفكر العربي القاهرة ، 1946م .

(15) إحسان عبد الرحمن كامل : نشأة النظام الديمقراطي البرلماني في السودان وتجربته 1899 – 1958م ، رسالة ماجستير ، جامعة الخرطوم ، « غير منشورة « ، 1983م ، ص 45 – 46 .

(16) يونان لبيب رزق : الثوابت والمتغيرات في العلاقات المصرية السودانية ، كتاب الهلال العدد 527 ، دار الهلال القاهرة ، نوفمبر 1994م ، ص 104 .

(17) إبراهيم فرج : ذكرياتي السياسية ، بدون معلومات للنشر ، القاهرة ، 1983م ، ص 179 .
(18) حسن عابدين : فجر الحركة الوطنية ، ترجمة نعمات صالح عيسى ، مؤسسة أروقة للثقافة والعلوم ، الخرطوم ، ص 18 .
(19) نفس المرجع ، ص 19 .
(20) وقع على البرقية كل من الطيب هاشم مفتي السودان – علي الميرغني زعيم الختمية – عبد الرحمن المهدي زعيم الأنصار – أبو القاسم أحمد هاشم رئيس هيئة العلماء – إسماعيل الأزهري قاضي قضاة مديرية دارفور – ميرغني السيد شيخ الطريقة الإسماعيلية .
(21) حسن عابدين : مرجع سابق ، ص 19 – 20 .
(22) هم علي الميرغني – الشريف يوسف الهندي – الطيب هاشم – أبو القاسم أحمد هاشم – إسماعيل الأزهري – عبد الرحمن المهدي – عبد العظيم بك الخليفة ناظر العبابدة – علي التوم ناظر الكبابيش – إبراهيم موسى ناظر الهدندوة – عبد الكريم أبو سن وكيل ناظر الشكرية – إلياس فرح ناظر الجعليين .
(23) نفس المرجع ، ص 26 – 27 .
(24) المرجع نفسه ، ص 29 .
(25) يونان لبيب رزق : مرجع سابق ، ص 105 .
(26) التحفظات الأربعة في الدستور هي أولا تأمين مواصلات الإمبراطورية البريطانية في مصر ، ثانيا الدفاع عن مصر ضد أي تدخل أجنبي ، ثالثا حماية المصالح الأجنبية في مصر وحماية الأقليات، رابعا السودان .
(27) فدوى عبد الرحمن علي طه : كيف نال السودان استقلاله « دراسة تاريخية لاتفاقية 12 فبراير 1953م المصرية البريطانية حول الحكم الذاتي وتقرير المصير للسودان ، مركز عبد الكريم ميرغني الثقافي أم درمان ، الطبعة الثانية ، 2008م ، ص 3 .
(28) أعادت الاتفاقية الجيش المصري للسودان بعد طرده في عام 1924م إثر مقتل حاكم عام السودان السير لي استاك في شوارع القاهرة .
(29) تضمن السودان في اتفاقية 1936م في المادة الحادية عشر لمزيد من المعلومات انظر تمام هماما تمام : السياسة المصرية تجاه السودان 1936 – 1953م ، ص 238 .
(30) فدوى عبد الرحمن علي طه : كيف نال السودان استقلاله ، ص 4 .
(31) عبد الوهاب أحمد عبد الرحمن : مصر والسيادة على السودان نهاية حقبة تاريخية ، دار القلم دبي – الامارات العربية المتحدة ، الطبعة الأولى ، 2004م ، ص 12 .
(32) نفس المرجع ، ص 14 – 15 .
(33) محمد عبد الحميد أحمد الحناوي : معركة الجلاء ووحدة وادي النيل 1945 – 1954م ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة 1998م ، ص 100 ، وأيضا عبد الرحمن علي طه : السودان للسودانيين طمع فنزاع ووثبة فجهاد ، تحقيق فدوى عبد الرحمن علي طه ، دار جامعة الخرطوم للنشر ، الطبعة الثانية ، 1992م ، ص 86 .

(34) محمد عبد الحميد أحمد الحناوي : مرجع سابق ، ص 101 .

(35) محسن محمد : مصر والسودان الانفصال دراسة بالوثائق السرية البريطانية والأمريكية ، دار الشروق القاهرة ، الطبعة الأولى ، 1994م ، ص 10 – 11 .

(36) عبد الرحمن علي طه : مرجع سابق ، ص 77 .

(37) تمام همام تمام : السياسة المصرية تجاه السودان 1936 – 1953م ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة 1999م ، ص 81 .

(38) هارولد مكمايكل : السودان ، ترجمة محمود صالح عثمان ، مركز عبد الكريم ميرغني الثقافي، أم درمان ، الطبعة الأولى ، 2006م ، ص 257 – 258 .

(39) جمهورية مصر : رئاسة مجلس الوزراء ، السودان من 13 فبراير سنة 1841م إلى 12 فبراير سنة 1953م ، المطبعة الأميرية ، القاهرة ، 1953م ، ص 244 .

(40) نفس المرجع ، ص 257 .

(41) المرجع نفسه ، ص 261 .

(42) نفسه ، ص 272 .

(43) أبو بكر حسن محمد باشا : تأثير مصر على الأوضاع السياسية في السودان 1951 – 1956م ، رسالة دكتوراه ، الجامعة المستنصرية ، « غير منشورة « ، 2000م ، ص 65 – 66 .

(44) نفس المرجع ، ص 69 .

(45) المرجع نفسه ، ص 72 .

(46) جمهورية مصر : مرجع سابق ، ص 282 .

(47) نفس المرجع ، ص 285 .

(48) المرجع نفسه ، ص 286 .

(49) الوثائق البريطانية عن السودان ، تحرير محمود صالح عثمان ، المجلد السادس 1952م ، مركز عبد الرحمن ميرغني الثقافي أم درمان ، الطبعة الأولى ، 2002م ، ص 15 .

(50) فيصل عبد الرحمن علي طه : الحركة السياسية السودانية والصراع المصري البريطاني بشأن السودان 1936 – 1953م ، دار الأمين للطباعة والنشر ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، 1998م ، ص 530 – 531 .

(51) محسن محمد : مرجع سابق ، ص 49 .

(52) محمد سعيد القدال : تاريخ السودان الحديث 1820 – 1955م ، دار جامعة الخرطوم للنشر ، الطبعة الثالثة ، 2018م ، ص 501 – 502 .

(53) KDD. Henderson : Sudan Republic , London , 1965 , P. 98 .

(54) صفاء محمد شاكر : مذكرات صلاح سالم ثورة يوليو والسودان ، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية ، القاهرة ، 2012م ، ص 11 – 12 .

(55) ولد في سافية أبو معلا بالخرطوم وتلقى تعليمه الأولي في وادي حلفا ثم في كلية غردون

التذكارية ، وتخرج في المدرسة الحربية بالقاهرة عام 1918م وعمل بالسودان في شندي ووادي حلفا وبحر الغزال وملكال ثم نقل للحرس الملكي في مصر وعاد للسودان مرة أخرى بعد عام 1936م للعمل في تنظيم الجيش المصري بالسودان ، أصبح رئيسا لجمهورية مصر بعد ثورة 23 يوليو 1952م ثم عزل ووضع قيد الإقامة الجبرية ، توفي عام 1982م .

(56) عمل بالقوات المصرية بالسودان من ديسمبر 1939م حتى ديسمبر 1941م ، أصبح رئيسا لجمهورية مصر من عام 1954م حتى وفاته في عام 1970م .

(57) محمد بدر الدين مصطفى : المفاوضات المرية البريطانية 1953 – 1954م دراسة منهجية للمفاوضات الدولية ، سينا للنشر ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، 1994م ، ص 80 .

(58) كانت مصر تتغنى بالأنشودة التي تقول نيل واحد شعب واحد تاج واحد .

(59) ولد عام 1915م والتحق بكلية الهندسة جامعة الملك فؤاد الأول ، عمل طيارا بسلاح الجو المصري ثم عمل في الخرطوم خلال الفترة من 1949 – 1952م ، وأصبح عضو الوفد المصري في مفاوضات الحكم الذاتي للسودان وتم تعيينه عضو في لجنة الحاكم العام بالسودان ممثلا لمصر .

(60) (محمد سعيد القدال : مرجع سابق ، ص 501 .

(61) صفاء محمد شاكر : مرجع سابق ، ص 113 – 114 .

(62) الوثائق البريطانية عن السودان ، المجلد السادس ، 1952م ، ص 77 .

(63) ظاهر جاسم محمد الدوري : السودان في التاريخ الحديث من 1914 – 1969م ، دار نينوى للدراسات والنشر والتوزيع ، دمشق ، الطبعة الأولى ، 2019م ، ص 95 .

(64) وقع الاتفاقية عن الجانب المصري محمد نجيب – علي ماهر – صلاح سالم –حسين ذو الفقار، وعن الجانب السوداني حزب الأمة عبد الله الفاضل – محمد صالح الشنقيطي – محمد أحمد محجوب – عبد الرحمن علي طه – أحمد يوسف هاشم – عبد السلام الخليفة – داؤود الخليفة – بابو نمر – يعقوب عثمان – عبد الرحمن عابدون – ميرغني زاكي الدين – زيادة أرباب – أيوبية عبد الماجد .

(65) عبد الرحمن علي طه : مرجع سابق ، ص 155 – 156 .

(66) لمزيد من المعلومات عن الاتفاقية أنظر عبد الرحمن علي طه : السودان للسودانيين طمع فنزاع ووقبة فجهاد .

(67) تمام همام تمام : محاضرات في تاريخ وادي النيل ، جامعة القاهرة فرع الخرطوم ، 1984م ، ص 126 .

(68) بشير محمد سعيد : خبايا وأسرار في السياسة السودانية 1952 – 1956م ، دار جامعة الخرطوم للنشر ، الطبعة الأولى ، 1993م ، ص 24 .

(69) أثار اختيار هذه اللجنة السخط خاصة في حزب الأشقاء نسبة لعدم اختيار أحد من أعضاءه في اللجنة .

(70) منعت اللجنة من تعيين يحيى الفضلي وخضر عمر في اللجنة التنفيذية للحزب الوطني الاتحادي اختصارا للخلافات الشديدة بينهما .

(71) بشير محمود بشير : مؤتمر الخريجين ، دار جامعة الخرطوم للطباعة والنشر ، الطبعة الأولى ، ص 261 .

(72) بشير محمد سعيد : الزعيم الأزهري وعصره ، مطبعة القاهرة الحديثة للطباعة ، القاهرة ، 1990م ، ص 161 .

(73) لمزيد من المعلومات عن الاتفاقية أنظر فدوى عبد الرحمن علي طه : كيف نال السودان استقلاله دراسة تاريخية لاتفاقية 12 فبراير 1953م المصرية البريطانية حول الحكم الذاتي وتقرير المصير للسودان .

(74) وقع عن حزب الأمة صديق عبد الرحمن – عبد الله خليل – عبد الرحمن علي طه ، وعن الحزب الوطني الاتحادي إسماعيل الأزهري – محمد نور الدين – الدرديري محمد عثمان ، وعن الحزب الجمهوري الاشتراكي زين العابدين صالح – الدرديري نقد .

(75) ظاهر جاسم محمد الدوري : مرجع سابق ، ص 95 .

(76) جمهورية مصر : مرجع سابق ، ص 293 – 296 .

(77) فدوى عبد الرحمن علي طه : كيف نال السودان استقلاله ، ص 228 – 229 .

(78) قام الصاغ صلاح سالم بزيارة إلى جنوب السودان جمع خلالها توقيع زعماء القبائل والأحزاب الجنوبية لتفويض مصر في محادثاتها مع بريطانيا .

(79) نفس المرجع ، ص 230 .

(80) المرجع نفسه ، ص 233 – 234 .

(81) نفسه ، ص 237 .

(82) نفسه ، ص 238 .

(83) نفسه ، ص 239 .

(84) لمزيد من المعلومات عن اتفاقية الحكم الذاتي للسودان أنظر فدوى عبد الرحمن علي طه : كيف نال السودان استقلاله دراسة تاريخية لاتفاقية 12 فبراير 1953م المصرية البريطانية حول الحكم الذاتي وتقرير المصير للسودان .

(85) فيصل عبد الرحمن علي طه : الحركة السياسية السودانية ، ص 635 .

(86) أيمن كمال أمين السيد : الحكومة الوطنية الأولى في السودان 1954 – 1956م « دراسة في الممارسة السياسية والتطور الاقتصادي والاجتماعي « ، رسالة ماجستير ، جامعة النيلين ، « غير منشورة»، 1996م ، ص 1 .

(87) فيصل عبد الرحمن علي طه : الحركة السياسية السودانية ، ص 635 .

(88) الأمين محمد الأمين : تحليل الانتخابات البرلمانية لعام 1986م في السودان ، رسالة ماجستير ، معهد الدراسات الإفريقية والآسيوية جامعة الخرطوم ، « غير منشورة « ، 1990م ، ص 39 – 40 .

(89) فيصل عبد الرحمن علي طه : الحركة السياسية السودانية ، ص 636 .

(90) إبراهيم أحمد العدوي : يقظة السودان ، مكتبة الأنجلو مصرية القاهرة ، الطبعة الثانية ، 1979م ، ص 115 .

(91) أحمد إبراهيم أبو شوك وآخرون : الانتخابات البرلمانية في السودان 1953م – 1986م مقاربة تاريخية تحليلية ، مركز عبد الكريم ميرغني الثقافي ، أم درمان ، الطبعة الأولى ، 2008م ، ص 56 .

(92) أيمن كمال أمين السيد : الحكومة الوطنية الأولى ، ص 9 – 10 .

(93) الوثائق البريطانية عن السودان ، تحرير محمود صالح عثمان المجلد العاشر ، 1954م ، الجزء الثاني ، مركز عبد الكريم ميرغني الثقافي ، أم درمان ، الطبعة الأولى ، 2002م ، ص 59 .

(94) نفس المرجع ، ص 60 .

(95) مجلس الشيوخ : ملخص رقم 3 ، جلسة 11 ، 1954/30/30م ، ص 163 .

(96) أشار فيصل عبد الرحمن علي طه في كتابه السودان على مشارف الاستقلال الثاني 1954 – 1956م ، إلى أن المرشح الجنوبي في اللجنة هو زكريا جامبو ولم يورد اسم تون أتيل ضمن المرشحين .

(97) ناهد عثمان أبو عكر : السودان منتصف الطريق نحو السودنة ، بحث دبلوم عالي ، جامعة الخرطوم معهد الدراسات الإفريقية والآسيوية ، « غير منشور » ، 1976م ، ص 51 – 53 .

(98) فيصل عبد الرحمن علي طه : السودان على مشارف الاستقلال الثاني 1954 – 1956م ، بدون معلومات للنشر ، الطبعة الثانية ، 2016م ، ص 182 .

(99) ولد في أم درمان عام 1912م تخرج في كلية كتشنر الطبية عام 1937م وعمل طبيبا في الجيش السوداني بإثيوبيا وفي مستشفيات دنقلا – ملكال – جوبا ، وأسس السلاح الطبي بالسودان ، توفي عام 2001م .

(100) ولد في أم درمان عام 1908م تخرج في كلية غردون قسم المحاسبة ، وعمل محاسبا في عدد من المصالح الحكومية ، تولي منصب عضو مجلس السيادة عام 1965م ، توفي عام 1982م .

(101) ولد في ود مدني عام 1912م تخرج في كلية غردون التذكارية قسم الكتبة والمحاسبين ، عمل موظفا بمصلحة السكة حديد ثم مدرسا بالمدرسة الأهلية بأم درمان ثم رئيسا لصحيفة الاتحاد ، توفي عام 1991م .

(102) هو العضو المصرية الأول في لجنة السودنة عمل مفتش عام الري المصري بالسودان وخلفه محمد خليل إبراهيم وهو مهندس عمل مفتشا بالري ثم أصبح وكيل أول وزارة الري بمصر عام 1968م .

(103) ولد في مدينة هادينجتون باسكتلندا عام 1897م وتخرج في الكلية الملكية الاسكتلندية الثانية عام 1915م وشارك في الحرب العالمية الأولى وعمل بالجيش البريطاني بالهند من 1925 – 1947م ثم أصبح رئيسا لدولة راجبوتانا بالهند وعمل مندوبا ساميا لبريطانيا في باكستان من 1947 – 1952م ، توفي عام 1975م .

(104) ناهد عثمان أبو عكر : انتقال السلطة في السودان « السودنة » ، رسالة ماجستير ، جامعة الخرطوم معهد الدراسات الإفريقية والآسيوية ، « غير منشورة » ، 1979م ، ص 185 – 186 .

(105) فيصل عبد الرحمن علي طه : السودان على مشارف الاستقلال الثاني ، ص 181 .

(106) الوثائق البريطانية عن السودان ، المجلد العاشر ، الجزء الثاني ، ص 65 .
(107) نفس المرجع ، ص 66 – 67 .
(108) ناهد عثمان أبو عكر : السودان منتصف الطريق ، ص 221 .
(109) أيمن كمال أمين السيد : الحكومة الوطنية الأولى ، ص 22 .
(110) ناهد عثمان أبو عكر : انتقال السلطة في السودان ، ص 262 .
(111) الوثائق البريطانية عن السودان ، المجلد العاشر ، الجزء الثاني ، ص 63 – 64 .
(112) أيمن كمال أمين السيد : الحكومة الوطنية الأولى ، ص 27 .
(113) بشير محمد سعيد : الزعيم الأزهري وعصره ، ص 214 – 215 .
(114) فدوى عبد الرحمن علي طه : كيف نال السودان استقلاله ، ص 333 .
(115) أيمن كمال أمين السيد : الحكومة الوطنية الأولى ، ص 29 .
(116) لمزيد من المعلومات عن سودنة وظائف المصالح الحكومية أنظر ناهد عثمان أبو عكر : انتقال السلطة في السودان « السودنة » ، رسالة ماجستير جامعة الخرطوم ، معهد الدراسات الإفريقية والآسيوية .
(117) ناهد عثمان أبو عكر : انتقال السلطة في السودان ، ص 467 – 468 .
(118) MamounMahgoub Sinada : Constitutional Development in The Sudan 1942 – 1956 , PhD , University of Oxford , Unpublished , 1972 , P. 455 .
(119) مجلس النواب : ملخص رقم (9) ، جلسة رقم (32) ، 1955/8/16م ، ص 646 .
(120) نفس المرجع ، ص 648 .
(121) فيصل عبد الرحمن علي طه : السودان على مشارف الاستقلال ، ص 186 – 187 .
(122) أيمن كمال أمين السيد : الحكومة الوطنية الأولى ، ص 33 .
(123) إبراهيم أحمد العدوي : مرجع سابق ، ص 139 .
(124) بشير محمد سعيد : خبايا وأسرار في السياسة السودانية ، ص 136 .
(125) مجلس النواب : ملخص رقم (9) ، جلسة رقم (33) ، 1955/8/22م ، ص 720 .
(126) نفس المرجع ، ص 683 .
(127) مجلس النواب : ملخص رقم (9) ، جلسة رقم (34) ، 1955/8/29م ، ص 720 .
(128) مجلس النواب : ملخص رقم (11) ، جلسة رقم (36) ، 1955/11/10م ، ص 774 – 777 .
(129) أيمن كمال أمين السيد : الحكومة الوطنية الأولى ، ص 36 .
(130) بشير محمد سعيد : خبايا وأسرار في السياسة السودانية ، ص 137 – 138 .
(131) شملت الضمانات هيئة تضع دستور السودان المقبل وقانون الانتخابات .
(132) أيمن كمال أمين السيد : الحكومة الوطنية الأولى ، ص 38 – 39 .
(133) فيصل عبد الرحمن علي طه : السودان على مشارف الاستقلال ، ص 128 – 129 .
(134) محمد عبد الحميد أحمد الحناوي : مرجع سابق ، ص 356 .

(135) سرحان غلام حسين : التطورات السياسية في السودان المعاصر 1953 – 2009م دراسات تاريخية وثائقية ، مركز دراسات الوحدة العربية ، لبنان الطبعة الأولى ، 2011م ، ص 77 .

(136) الوثائق الأمريكية عن السودان ، ترجمة محمد علي صالح .

(137) نفس المرجع .

(138) سعى علي الميرغني لإقناع إسماعيل الأزهري بطرح مستقبل السودان في استفتاء شعبي إلا أن الأزهري أصر على أنها مسئولية البرلمان وحده ، وأن الميرغني كان يرى في الاستفتاء وسيلة لتفادي حدوث توتر في علاقاته مع مصر .

(139) أصرت الأحزاب السياسية على الدخول في مفاوضات مع حكومة إسماعيل الأزهري حول تشكيل حكومة قومية إلا أنه رفض هذه المفاوضات لأنها تضر وضع السودان .

(140) عبد الغفار محمد علي وآخرون : الزعيم إسماعيل الأزهري حياة زاخرة ومواقف خالدة، كتاب بمناسبة اليوبيل الفضي لجامعة الزعيم الأزهري ، 2017م ، ص 108 – 109 .

(141) هم محمد جبارة العوض (كسلا) وحسن محمد زكي (جنوب الفونج) وعبد النبي عبد القادر (ملكال رنك) ويوسف عبد الحميد (زالنجي شمال غرب) .

(142) أيمن كمال أمين السيد : الصراع بين السيدين الميرغني والمهدي وأثره على استقرار الأوضاع السياسية في السودان 1899 – 1958م ، مكتبة دعاء للثقافة والنشر والتوزيع ، القاهرة، 2006م ، ص 50 – 51 .

(143) لمزيد من المعلومات عن بيان السيدين أنظر أيمن كمال أمين السيد : الصراع بين السيدين الميرغني والمهدي وأثره على استقرار الأوضاع السياسية في السودان 1899 – 1958م ، ص 52 .

(144) عقدت الحكومة مع الأحزاب السياسية ستة اجتماعات لم تتوصل فيها إلى أي اتفاق حول الحكومة القومية .

(145) أيمن كمال أمين السيد : الصراع بين السيدين الميرغني والمهدي ، ص 53 – 54 .

(146) محمد عمر بشير : تاريخ الحركة الوطنية في السودان 1900 – 1969م ، ترجمة هنري رياض وآخرون ، المطبوعات العربية للتأليف والترجمة ، الخرطوم ، الطبعة الثانية ، 1987م ، ص 202 .

(147) فيصل عبد الرحمن علي طه : السودان على مشارف الاستقلال الثاني ، ص 250 – 251 .

(148) أحمد محمد شاموق : ديسمبر 1955م ، مطبعة العاصمة القاهرة ، 1981م ، ص 83 – 85 .

(149) سرحان غلام حسين : مرجع سابق ، ص 88 .

(150) ثنّى الاقتراح مشاور جمعة سهل « دار حامد غرب « .

(151) مجلس النواب : ملخص رقم (13) ، جلسة (43) ، 1955/12/19م ، ص 895 – 899 .

(152) نفس المرجع ، ص 900 .

(153) المرجع نفسه ، ص 903 .

(154) مجلس النواب : ملخص رقم (14) ، جلسة (48) ، 1955/12/26م ، ص 975 .

(155) جاء قانون الحكم الذاتي في مائة وثلاث مادة بينما الدستور المؤقت 1956م في مائة واحد وعشرون مادة ، وعكف على تعديل القانون أحمد متولي العتباني ومبارك زرّوق ومحمد أحمد محجوب وذلك لتنسيق وجهات النظر بين الحكومة والمعارضة حتى تأتي الموافقة عليه بالإجماع .

(156) أيمن كمال أمين السيد : الحكومة الوطنية الأولى ، ص 47 – 48 .

(157) مجلس النواب : ملخص رقم (14) ، جلسة (53) ، 1955/12/31م ، ص 1023 .

(158) أحمد محمد شاموق : مرجع سابق ، ص 116 – 117 .

(159) الفاتح الشيخ يوسف : العلاقات السودانية المصرية في الفترة من 1372 – 1378هـ 1952 – 1958م ، دار جامعة الجزيرة للطباعة والنشر ، 2008م ، ص 162 – 163 .

(160) أيمن كمال أمين السيد : الصراع بين السيدين الميرغني والمهدي ، ص 60 .

موقف المجتمع الدولي من الحرب الهندية- الباكستانية الثالثة (1391هـ-1971م)

أ.ندى محمد هزاع عبده

باحثة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر -كلية الآداب
جامعة الملك عبد العزيز – المملكة العربية السعودية

المستخلص:

تناولت الدراسة موقف المجتمع الدولي المتمثل في هيئة الأمم المتحدة والدول ذات النفوذ الدولي والإقليمي من الحرب الهندية الباكستانية الثالثة التي وقعت عام 1391هـ/1971م، وأدت إلى زيادة التباعد والتنافر بين الهند وباكستان. أهداف وأهمية الدارسة: استعراض الأسباب التي أدت إلى نشوب الحرب للمرة الثالثة بين الهند وباكستان.تحليل ردود الأفعال الدولية والإقليمية تجاه الحرب بين شقي باكستان،بالإضافة إلى تحليل ردودهم بعد تطورها إلى حرب بين دولتين شقيقتين.الوقوف على دور المجتمع الدولي في إيقاف الحرب بين الهند وباكستان. وتكمن أهمية الدراسة في كونها تتناول مشكلة سياسية داخلية بين شقي باكستان تطورت لتكون مشكلة إقليمية ودولية بين الهند وباكستان. كما وتتبع أهمية الدراسة من خلال تركيزها على موقف المجتمع الدولي الذي بات في قلق كلما تصعدت حدة التوتر بين الدولتين فأدت إلى مواجهة عسكرية فيما بينهما. كما وتهتم الدراسة بتوضيح مدى تأثير المجتمع الدولي على توقف أو استمرارية الحرب بين الهند وباكستان. منهجية الدراسة: تقوم منهجية الدراسة على اتباع قواعد منهج البحث التاريخي القائم على جمع المادة العلمية ونقدها وتحليلها للوصول إلى نتائج علمية سليمة، ونظراً لطبيعة الدراسة سوف تتبع الباحثة منهج التحليل التاريخي من أجل تحليل مواقف الدول والمنظمات الدولية من الحرب. وقد توصلت الدراسة إلى نتائج مهمة كالآتي:أدت أزمة باكستان الشرقية إلى تداعيات إقليمية نتيجة لجوء الملايين من اللاجئين إلى الهند، مما فتح المجال إلى الهند لكي تتدخل في الشأن الداخلي لباكستان. تباينت مواقف المجتمع الدولي تجاه الحرب، وفقاً لظروفه ومصالحه وعلاقاته الثنائية سواء مع الهند أو باكستان.وتجدر الإشارة إلى أن هذا التباين والتناقض في مواقف المجتمع الدولي تجاه الحرب الهندية الباكستاني الثالثة يمكن أن يكون في حد ذاته سبباً في استمرارية الخلاف بين الهند وباكستان.

الكلمات المفتاحية: المجتمع الدولي، الحرب الثانية، هيئة الأمم المتحدة، إقليم كشمير.

The Stance of the international community on the third Indo-Pakistan war (1391 AH - 1971 AD)

Nada Mohammad Hazza Abdu -A PhD Student at The Modern and contemporary history -Faculty of Arts, King Abdulaziz University

Abstract:

The study dealt with the stance of the international community represented by the United Nations and the countries with international and regional influence on the third Indo-Pakistani war that occurred in 1391 AH / 1971 AD, and led to an increase in divergence and dissonance between India and Pakistan.Objectives of the study: Review of the reasons that led to the outbreak of war for the third time between India and Pakistan. Analyzing the international and regional reactions to the war between the two parts of Pakistan, in addition to analyzing their responses after it developed into a war between two sister countries. Standing on the role of the international community in stopping the war between India and Pakistan. The importance of studying: The importance of the study lies in the fact that it deals with an internal political problem between the two parts of Pakistan that has developed into a regional and international problem between India and Pakistan. The importance of the study also stems from its focus on the stance of the international community, which has become anxious whenever the tension between the two countries escalates, leading to a military confrontation between them. The study is also interested in clarifying the extent of the influence of the international community on the cessation or continuation of the war between India and Pakistan. Study Methodology:The study methodology is based on following the rules of the historical research method based on collecting, criticizing and analyzing scientific material to reach sound scientific results. Given the nature of the study, the researcher will follow the historical analysis method in order to analyze the stances of countries and international organizations regarding the war.The study reached important results

as follows: The East Pakistan crisis led to regional repercussions as a result of millions of refugees taking refuge in India, which opened the way for India to interfere in Pakistan's internal affairs.The international community's attitudes toward the war varied, according to its circumstances, interests, and bilateral relations, whether with India or Pakistan. It should be noted that this discrepancy and contradiction in the attitudes of the international community towards the third Indo-Pakistani war could in itself be a reason for the continuation of the dispute between India and Pakistan.

Keywords: The International Community - The Second War - The United Nations - Kashmir Territory.

المقدمة:

تعد الهند وباكستان من أهم الدول في إقليم جنوب آسيا، وأكثرهما ارتباطاً بالعالم الخارجي، فهما يحظيان باهتمام عالمي لما لهما من اسهامات حضارية، فضلاً عن حجم مساحتهما وأعداد سكانهما وموقعها الاستراتيجي. ومع ذلك فإن الدولتين أخفقت في بناء علاقات ودية فيما بينهما، وغرقت في الخلافات حول مواضيع عدة خاصة على إقليم كشمير، وقد بلغت الخلافات إلى درجة نشوب حروب عدة بينهما، آخرها حرب عام 1391هـ/1971م، والتي كان للمجتمع الدولي دور في إيقافها. فقد سعى المجتمع الدولي المتمثل في هيئة الأمم المتحدة والدول ذات النفوذ الدولي والإقليمي إلى بذل الجهود بغية إقناع الهند وباكستان بوقف الحرب، وقد كان لهم دور فعال في وقف ذلك النزاع العسكري بين الدولتين، وإعادة العلاقات بينهما على أساس عدم التدخل في الشؤون الداخلية لكل منهما. ولقد خلَّف النزاع بين الهند وباكستان على إقليم كشمير حربين كانت أولاهما عام 1366هـ/1947م والأخرى حرب عام 1385هـ/1965م وكلتا الحربين أحدثتا خلافات سياسية بين الدولتين لم يتم تسويتها حتى مع تدخل المجتمع الدولي. ونتيجة للانسداد السياسي بين الهند وباكستان تجدد النزاع بينهما واندلعت حرب ثالثة عام 1391هـ/1971م، إلا أن مشكلة الحرب هذه المرة لم تكن بسبب إقليم كشمير بشكل مباشر بل جاءت نتيجة الصراع الداخلي بين شقي باكستان الشرقي والغربي والذي تطور فيما بعد لحرب ثالثة بين الهند وباكستان.

اندلعت الحرب الثالثة بين الهند وباكستان نتيجة الاشتباكات المسلح بين شقي باكستان الغربي والشرقي التي تطورت إلى حرب أهلية بدأت في 29 محرم 1391م/26 مارس 1971م، باعتقال الشيخ مجيب الرحمن قائد حركة الانفصال في باكستان الشرقية. وأمام اعتقال الشيخ مجيب الرحمن اشتبك الانفصاليون مع القوات الباكستانية الغربية، التي اتخذت العديد من الإجراءات بهدف إيقاف حركة الانفصاليين، فأطلقت عملية الكشاف من أجل اعتقال المثقفين البنغاليين المشتبه بتعاطفهم مع حركة الانفصاليين، كما قتلتالبنغاليين حتى لا يكونوا أغلبية في باكستان

الشرقية، وأطلقت النار على مئات الألوف من البنغاليين العزل بمن فيهم النساء والأطفال؛ بالإضافة إلى أنها طاردت سياسياً رابطة عوامي وأنصارهم وقتلت عدداً منهم واعتقلت الآخر، علاوة على ذلك اعتقلت الضباط البنغاليين أو وضعهم تحت المراقبة ونزع السلاح عنهم. (1) ورداً على تلك الانتهاكات التي قامت بها القوات الباكستانية في بكستان الشرقية، وتكوَّن من العسكريين الفارين والمدنيين البنغاليين قوات أطلق عليها اسم موكتي باهيني أو جيش التحرير والتي أصبحت فيما بعد قوة نظامية تواجهه القوات الباكستانية وتدخل في اشتباكات معها. (2) ومع اشتداد الاشتباكات في باكستان الشرقية بين القوات الباكستانية وقوات موكتي باهيني، لجأ ملايين البنغاليين إلى الهند هرباً من الحرب، فأبدت رئيسة الوزراء أنديرا غاندي قلقها من قدوم اللاجئين وماله من تداعيات سلبية على سياسة واقتصاد وأمن الهند،(3) ومع ذلك سمحت للاجئين بعبور الحدود وأقامت لهم مخيمات وتعاطفت معهم، (4) ليصبح لها ذريعة تتدخل بها في الحرب الأهلية بين شقي باكستان، ولكي تحصل على المساعدات الدولية التي تستفيد منها في الهند؛علاوة على ذلك أرادت أن تستفيد من اللاجئين بتجنيد القادرين جسدياً على القتال تحسباً لحرب قادمة مع باكستان. (5) ولقد انطلقت شارت الحرب بين الهند وباكستان في باكستان الشرقية، عندما تعاونت القوات الهندية في 14 شوال 1391هـ/1 ديسمبر 1971م مع قوات موكتي باهيني في باكستان الشرقية بضرب خطي السكتين الحديدتين اللتين تربطان بين العاصمة دكا والميناءين الرئيسين على خليج البنغال وهما خولنا وشيتاغونغ، لما لهما من أهمية بالغة في ربط المناطق في باكستان الشرقية بعضها ببعض، وبدونهما لا يمكن التنقل براً. وبعد أن دمرت القوات الهندية سكتي الحديد تابعت الهجمات على القوات الباكستانية، مما أسفر عن بدءِ تبادل الهجمات بين القوتين الهندية وباكستانية. ولقد كانت تلك الهجمات مقسمة على الجبهتين الشرقية والغربية، وعلى الصعيد البري، والجوي، والبحري.(6)

موقف المجتمع الدولي من الحرب:

ونظراً لتسارع أحداث الحرب بين الهند وباكستان، تدخل المجتمع الدولي المتمثل في هيئة الأمم المتحدة والدول ذات النفوذ الدولي والإقليمي واختلفت مواقفهم وذلك وفقاً لمصالحهم مع أحد طرفي النزاع الهند وباكستان، فمنهم من أيد موقف الهند من الحرب واعدّها تحمي حدودها وتدافع عن حقوق اللاجئين البنغاليين. ومنهم من رأى أن الهند تدخلت في الشؤون الداخلية لباكستان وأن من حق باكستان أن تدافع عن أرضها. وبناء على ذلك الاختلاف في المواقف الدولية كان لابد من إلقاء الضوء على تلك المواقف على النحو الآتي:

1 - هيئة الأمم المتحدة:

عدّت الأمم المتحدة أزمة باكستان الشرقية التي نشبت نتيجة إعلان الشيخ مجيب الرحمن حركة العصيان المدني في باكستان الشرقية في 5 محرم 1391هـ/2 مارس 1971م، أنها شأناً داخلياً لا يجوز لها وفقاً لميثاقها أن تتدخل في الشؤون التي تقع في نطاق الاختصاص المحلي لأية دولة. وقد أكد الأمين العام يوثانت إلى باكستان بأنه ينظر إلى الوضع في باكستان الشرقية ضمن نطاق الولاية القضائية الداخلية لباكستان، وأن الأمم المتحدة ستقدم المساعدات الإنسانية لإغاثة

باكستان الشرقية من خلال وكالاتها لضمان وصول المساعدات للمحتاجين وعدم استخدامها لدوافع غير معلومة. (7)

غير أن موقف الأمم المتحدة قد تبدل بعد تحول حركة العصيان المدني إلى حرب أهلية بين شقي باكستان،فقد رأى الأمين العام يوثانتضرورة تدخلها لاستدراك الموقف فذكر في المذكرة التي أصدرها إلى مجلس الأمنفي28 جمادى الأولى 1391هـ/20 يوليو 1971م»أنه يرى أن على الأمم المتحدة بخبرتها الطويلة في صيانة السلم وبإمكانياتها المختلفة في التوفيق والإقناع أن تلعب دوراً أصرح في محاولة الحيلولة دون ازدياد تدهور الموقف».(8) وزاد الوضع سوءا بعدما تدخلت الهند بطريقة غير مباشرة في الحرب الأهلية من خلال حظر مرور الطائرات الباكستانية فوق أراضيها، لزعمها أن باكستان وراء اختطاف وتدمير طائرة هندية في صفر 1391هـ/أبريل 1971م المتجهة من العاصمة سرينَجار في ولاية جامو وكشمير إلى مدينة لاهور غربي باكستان. (9) فأرسل ممثل الهند إلى مجلس الأمن رسالة رقم (10273S/) في 28 جمادى الأولى 1391هـ/20 يوليو 1971م ذكر فيها تأكدهم من أن باكستان وراء اختطاف وتدمير الطائرة، كما وضح أن الاختطاف يخل بسلامة الطيران المدني في شبه القارة، لذلك عمدت الهند إلى إيقاف طيران الطائرات الهندية عبر باكستان، وسحب الأذن الذي منح عام 1386هـ/1966م على أساس السماح لطائرات باكستان العسكرية والمدنية للطيران عبر الهند، وذلك للحيلولة دون إمكانية تنظيم باكستان في المستقبل حوادث مماثلة. كما أردف بأن الهند لن تسمح للطائرات الباكستانية بالتحليق فوق أراضيها طالما تهدف إلى إرسال طائراتها لإرهاب البنغاليين في باكستان الشرقية. (10)

فرد ممثل باكستان على ادعاءات الهند بإرسال رسالة إلى مجلس الأمن رقم (10304S/) في 13 رجب 1391هـ/2سبتمر 1971م أعرب فيها عن أسف حكومته لأن الهند تواصل حظرها التعسفي الذي فرضته على الطائرات الباكستانية، متزعمة باعتبارات ليس لها علاقة بموضوع الخلاف. وأضاف أن باكستان غير مسؤولة عن اختطاف الطائرة الهندية، وأن الحالة في باكستان الشرقية لا دخل لها في الخلاف الحالي، وأن إثارة الهند لتلك المسألة يعدّ تدخلاً في الشؤون الداخلية لباكستان. (11)

تطور الخلاف بين الهند وباكستان مما أدى إلى دخول القوات الباكستانية في مناوشات مع القوات الهندية على الحدود في باكستان الشرقية استمرت طيلة شهر رمضان/نوفمبر، فأرسل ممثل باكستان العديد من الرسائل إلى مجلس الأمن في 16 و28 رمضان 1391هـ/4 و16 نوفمبر 1971م لفت فيها نظر المجلس إلى الأحداث الدائرة بين الهند وباكستان، وذكر الانتهاكات التي تقوم بها القوات الهندية على حدود باكستان، وزيادة حشدها لقواتها على الحدود الباكستانية في ولاية جامو وكشمير. كما استنكر هجومين شنتهما القوات الهندية على مواقع في باكستان الشرقية، وذكر أنه يجب النظر في اعتراف رئيسة الوزراء الهندية أنديرا غاندي بأن هدف الهند هو تحقيق انفصال باكستان الشرقية، كما يجب ملاحظة الأسلحة والمعدات التي ترد إلى الهند من مصادر أجنبية، وكذلك المساعدات العسكرية التي تقدمها الهند لقوات العصيان التي تعمل من

قواعد هندية وتشن الغارات على باكستان الشرقية. فرد الأمين العام يوثانت على ممثل باكستان برسالة في 12شوال 1391هـ/29 نوفمبر 1971م مفادها أنه في ظل الظروف الراهنة فإنه قد وصل إلى أقصى حد ممكن في حدود سلطته التي يسمح له بها الميثاق. (12) وعندما نشبت الحرب بين الهند وباكستان في 14 شوال 1391هـ/1 ديسمبر 1971م، أصدر الأمين العام يوثانت تقريراً رقم (10410S/) في 16 شوال 1391هـ/3 ديسمبر 1971م ذكر فيه تردي الأحوال بين الهند وباكستان، وقدم إلى المجلس بياناً أرفق فيه الجهود التي بذلها من أجل تسوية الخلاف بين الدولتين والحيلولة دون تدهور الوضع. وأضاف أنه على المجلس أن يدرس الحالة السائدة في شبه القارة الهندية ويتوصل إلى قرارات تتعلق بالتدابير التي يمكن اتخاذها. [13] ونظراً لتسارع أحداث الحرب بين الهند وباكستان، طلب عدد من ممثلي الدول الأعضاء في مجلس الأمن عقد اجتماع فوري للمجلس للنظر في تدهور الحالة بين الهند وباكستان ولوقف إطلاق النار، وقد تقرر عقده في 17 شوال 1391هـ/4 ديسمبر 1971م. [14] فتقدم ممثل الولايات المتحدة بمشروع القرار رقم (S/101416) وطالب بسحب قوات الدولتين ووضع مراقبين على امتداد الحدود الهندية- الباكستانية للإبلاغ عن وقف إطلاق النار، كما دعا حكومتي الهند وباكستان والحكومات الأخرى إلى بذل جهدهما لعودة اللاجئين إلى باكستان الشرقية. (15) لكن الاتحاد السوفيتي حال دون ذلك باستعمال حق النقض (الفيتو) ووضح أن وقف إطلاق النار مرتبط بتحقيق تسوية سياسية في باكستان الشرقية، أي أن توقف باكستان أعمال العنف في باكستان الشرقية. [16]

أصدر المجلس القرار رقم (303) الذي طالب الدولتين بسحب قواتهما إلى الجانب الذي يخصها من الحدود الهندية- الباكستانية، وأن يوضع مراقبون عسكريون على امتداد الحدود المشتركة للإبلاغ عن الالتزام بوقف إطلاق النار وسحب القوات، (17) لم تلتزم الهند وباكستان بقرار مجلس الأمن ولم يوقفا إطلاق النار، فأحال المجلس القضية إلى الجمعية العامة في 20 شوال 1391هـ/7 ديسمبر 1971م حيث لا تتمتع الدول بحق النقض، فأصدرت الجمعية قرارها رقم (2793) الذي يفرض على الهند وباكستان وقف إطلاق النار، فأرسل ممثل باكستان إلى الأمين العام يوثانت رسالة في 22 شوال 1391هـ/9 ديسمبر 1971م يبلغه بأن الحكومة الباكستانية قبلت وقف إطلاق النار وسحب القوات، أما الهند فلم تستجب لقرار الجمعية واستمرت قواتها في قصف المواقع الباكستانية، حتى تنسحب القوات الباكستانية من باكستان الشرقية. [18] وبالنظر إلى تحدي الهند الرأي العالمي لوقف إطلاق النار، أرسل ممثل الولايات المتحدة رسالة رقم (10444S/) في 25 شوال 1391هـ/ 12 ديسمبر 1971م إلى مجلس الأمن يطلب فيها إعادة النظر في مسألة الهند وباكستان، فاستجاب المجلس لطلبه وعقد جلسته رقم (1611) في 25 شوال 1391هـ/ 12 ديسمبر 1971م. فعرض ممثل الولايات المتحدة مشروع القرار رقم (10446S/) الذي طالب بأن يعالج المجلس على وجه السرعة وبصورة فعالة الخطر الذي يهدد السلم العالمي. كما أشار إلى قرار الجمعية العامة وقبول باكستان لذلك القرار ورفض الهند له، وأن على مجلس الأمن أن يطلب من الهند الامتثال الفوري لذلك القرار، وانسحاب قوات الدولتين إلى ما وراء الحدود. (19)نُوقِش مشروع القرار بين

ممثلي الدول الأعضاء في المجلس، لكنه لم يمر بسبب اعتراض الاتحاد السوفيتي واستخدامه حقه في النقض؛ معللة رفضها للمشروع بأنه لم يدن باكستان التي تسببت في الحرب نتيجة أعمال القمع التي ارتكبتها ضد البنغاليين وما تلاها من أعمال ارتكبت ضد الهند. (20)

استمر مجلس الأمن في عقد جلساته في محاولة لوقف إطلاق النار، فتوصل ممثل الهند في الجلسة رقم (1617) إلى أن حكومته مستعدة لتسوية المشكلة بطريقة التفاوض، كما أكد على أنه لا يمكن تجاهل وجود دولة وحكومة بنجلادش، كما أردف قائلاً بأن القوات الباكستانية ليس لها الحق في البقاء في بنجلادش وأن وجودها بالقوة يخلق تهديداً للسلم والأمن. ثم أكد على أن ولاية جامو وكشمير جزء لا يتجزأ من الهند، ورغبة منها لتجنب إراقة الدماء احترمت خط وقف إطلاق النار الذي يشرف عليه مراقبو الأمم المتحدة. كما وضح أن الهند ليس لديها مطامع إقليمية. فرد ممثل باكستان ورفض ادعاء الهند بأن باكستان ليس لديها الحق في الاحتفاظ بالقوات فيما أسمته ببنجلادش، وأن باكستان الشرقية جزء لا يتجزأ من باكستان، وأنه لن تتفاوض باكستان مع الهند إلا بعد سحب قواتها، كما أشار إلى أن باكستان ليس لديها مطامع إقليمية ولكنها تُعدّ ولاية جامو وكشمير إقليماً متنازعاً عليه وينبغي تسويته وفقاً لقرارات مجلس الأمن. (21)

استمرت القوات الهندية في قصف المواقع الباكستانية في الجبهة الشرقية، ونتج عنه سيطرتها على العاصمة دكا في27 شوال 1391هـ/14 ديسمبر 1971م، (22) ومن ثم استلمت القوات الباكستانية في 29 شوال 1391هـ/16 ديسمبر 1971م. وفي اليوم التالي أعلنت رئيسة الوزراء الهندية أنديرا غاندي وقف إطلاق النار. (23) فأعد الأمين العام يوثانت تقريراً للمجلس في 4 ذي القعدة 1391هـ/21 ديسمبر 1971م وضح فيه تنفيذ الهند لقرار الجمعية، كما عرض التطورات التي وقعت في باكستان الشرقية والجهود الإنسانية التي تقوم بها الأمم المتحدة هناك. (24)

1 -الولايات المتحدة:

تخضع سياسة الولايات المتحدة تجاه الأحداث التي وقعت في باكستان إلى اعتبارات عديدة، مفادها أنها ترغب في المحافظة على علاقات جيدة مع باكستان لما لذلك من أهمية في إطار الحرب الباردة والتسابق بينها وبين الاتحاد السوفيتي على إيجاد مناطق نفوذ وحلفاء في العالم. (25) وفي الوقت نفسه كانت الولايات المتحدة ترغب في تفكيك باكستان لإضعافها فهي تخشى قيام حركة إسلامية قوية تسيطر على سياسة باكستان، ومن ناحية أخرى أرادت وقف النفوذ الشيوعي في باكستان الشرقية من خلال انفصالها فتكون في مركز ضعيف تحتاج إلى المعونات الخارجية عندئذ تمدها بالمساعدات وتجعلها دولة ضمن نفوذها المباشر. (26) ولقد اختلفت مواقف الولايات المتحدة تجاه الأزمة بين شقي باكستان والتي تطورت إلى حرب بين الهند وباكستان فيما بعد، بحسب تطورات الوضع بين شقي باكستان من جهة وبين الهند وباكستان من جهة أخرى. ففي بداية الأزمة بين شقي باكستان تبنت سياسة الحياد وعدم التدخل باعتبار أن الأزمة داخلية وأن الأمر يرجع للباكستانيين لتحديد مستقبل بلادهم. (27) وأكد مستشار الأمن القومي هنري ألفريد كيسنجر Henry Alfred Kissinger(28) في رسالة أرسلها إلى الرئيس الأمريكي

ريتشارد نيكسون (1389 Richard Nixon-1394هـ/1969-1974م) في 16 محرم 1391هـ/13 مارس 1971م أن موقف الولايات المتحدة يتمثلبالتزام جانب الحياد لأن تأثيرها على الموقف ضئيل،ولكيلا تقوم بأعمال قد يراها الرئيس محمد يحيى خان تثير الاستياء وتعرض علاقتهما للخطر، كما أنها لا تريد تعريض علاقتها المستقبلية مع شرق باكستان للخطر إذا ما أصبحت مستقلة. (29) ومع تدهور الموقف في باكستان الشرقية ولجوء حكومة باكستان الغربية إلى استخدام القوة العسكرية لتسوية الأزمة، اندلعت الحرب الأهلية بين شقي باكستان ولجأ الملايين من البنغاليين إلى الهند، مما أتاح المجال لأن تتدخل الهند في الأزمة لتصبح مشكلة إقليمية بين الهند وباكستان، فشهد موقف الولايات المتحدة تغيراً فبعد الحياد الذي التزمت به أخذت تضغط على الطرفين الهندي والباكستاني للبحث عن حلول سياسية وعدم اللجوء إلى استخدام القوة العسكرية وتشجيعهما من خلال تقديم المساعدات الاقتصادية للتجاوب مع المساعي الأمريكية (30)

فقدمت الولايات المتحدة بناء على الطلب الذي قدمته الهند إليها نيابة عن اللاجئين البنغاليين للحصول على المساعدات الأمريكية، منحة أولية تبلغ حوالي (1,4) مليون دولار من المواد الغذائية ومليون دولار من المساعدات الأخرى، على أن تُدار المبالغ من خلال الوكالات التطوعية والدولية للاجئين. (31) كما استمرت الولايات المتحدة بتقديم المساعدات الاقتصادية والعسكرية إلى باكستان في ظل ظروف الحرب، وقد أرسل الرئيس الأمريكي ريشارد نيكسون إلى الرئيس الباكستاني محمد يحيى خان في 13 ربيع الأول 1391هـ/7 مايو 1971م رسالة وضح فيها أنه يتعرض لضغوط من الكونغرس والشعب الأمريكي لوقف المساعدات بسبب ظروف الحرب الأهلية، كما أكد على أنه على أتم استعداد لتقديم المساعدة من أجل تحقيق تسوية للأزمة. (32) وقد اقترح الرئيس ريتشارد نيكسون على الرئيس محمد يحيى خان أن تُقبل مساعدة الأمم المتحدة في تنظيم جهود الإغاثة لباكستان الشرقية، ويُعلن العفو عن اللاجئين ونقل السلطة إلى النواب المنتخبين. وقد وافق الرئيس يحيى خان على تلك الاقتراحات، فأرسل الرئيس نيكسون إلى الرئيس يحيى خان رسالة في 4 ربيع الثاني 1391هـ/28 مايو 1971م يشكره فيها على استجابته للاقتراحات التي قدمها حول تسوية الأزمة في باكستان الشرقية، وأنه متأكد من أن الرئيس يحيى خان سيوافق على الخطوة الأساسية الأولى وهي إنهاء الصراع الأهلي واستعادة الظروف السليمة في باكستان الشرقية وبعد ذلك يمكن للجهود الدولية تقديم مساعدات الإغاثة للأشخاص المحتاجين إليها. (33) ومع تزايد أعداد اللاجئين البنغاليين الفارين إلى الهند عبر الحدود، تأزمت الأوضاع بين الهند وباكستان، فزارت رئيسة الوزراء الهندية أنديرا غاندي واشنطن في 16 رمضان 1391هـ/4 نوفمبر 1971م والتقت بالرئيس ريتشارد نيكسون والمستشار هنري كيسنجر في اليوم الأول، وصرحت بأن الهند لم ترغب في تدمير باكستان أو إلحاق الضرر بها، وأنها تسعى دائماً إلى استعادة الاستقرار في منطقة آسيا وترغب في القضاء على الفوضى. وأشارت إلى أن تقسيم شبه القارة ترك شعوب المنطقة في حالة من الاضطراب وعدم الرضا. كما وضحت أن حكومة باكستان الغربية تتعامل مع البنغاليين بطريقة تجعلهم في دور أدنى مما دفعهم إلى المطالبة بحقوقهم، ومن ثمَّ تفاقم الوضع في باكستان الشرقية، فتدفقت أعداد

كبيرة من اللاجئين إلى الهند مختلفي الدين والخلفية عن السكان المحليين في الهند، وقد تطلب ذلك الوضع بذل الجهود من جانب الحكومة الهندية لمنع أعمال الشغب الطائفية وإراقة الدماء. ثم وصفت الفظائع التي تحدث في باكستان الشرقية وعلى الرغم من ذلك لم تتمكن القوات الباكستانية من بسط سيطرتها على المنطقة، لذلك لم يعد من المتوقع بقاء شرق وغرب باكستان معاً. كما أكدت على أن وجود القوات الهندية على طول الحدود الباكستانية هدفه ردع باكستان من القيام بأي عمل عسكري. (34) وقد طمأن الرئيس نيكسون رئيسة الوزراء أنديرا غاندي أن حكومة الولايات المتحدة قد ضغطت على الرئيس محمد يحيى خان وتمكنت من تحقيق عدد من الأمور تمثلت في إعلان الرئيس يحيى خان العفو عن اللاجئين من المسلمين والهندوس، وضمان عدم إعدام الشيخ مجيب الرحمن، وسحب عدد من الوحدات العسكرية من الحدود الغربية لباكستان مع الهند خطوة أولى نحو خفض التصعيد، واستعداد الرئيس يحيى خان إلى إجراء مناقشات مع زعماء رابطة عوامي. وفي ختام الاجتماع أعرب الرئيس نيكسون عن تعاطف حكومته ودعمها لحكومة الهندية فيما تمر به من أوقات صعبة. (35) وبعد نشوب الحرب بين الهند وباكستان، رأى المستشار هنري كيسنجر أن الهند مسؤولة عن اندلاع الحرب، وقد ذكر ذلك في الاتصال الذي أجراه مع الرئيس نيكسون في 18 شوال 1391هـ/5 ديسمبر فقال» إن الهند هي المسؤولة عن اندلاع الأعمال العدوانية لأنهم رفضوا مقترحات التسوية لأن ذلك بالضبط ما تريده. وذكر أن الهند أخرت الحرب حتى شوال/ديسمبر ليس من باب ضبط النفس وإنما انتظروا انتهاء موسم المطر، ثم ترتيب قواتهم في مواقعهم وتدريب البنغاليين للحرب. (36)

حذر المستشار هنري كيسنجر من أن استمرار الحرب ورفض الهند وقف إطلاق النار، سيدفع الولايات المتحدة إلى تقديم المساعدات إلى باكستان باعتبارها دولة صديقة تربطها بها العديد من الالتزامات. (37) ومع تدهور وضع الحرب لوحت الولايات المتحدة في 25 شوال 1391هـ/12 ديسمبر 1971م إلى استخدام القوة العسكرية وإرسال أسطولها السابع الموجود في المحيط الهندي في غضون (45) ساعة، (38) ولكن أُجِّل تحرك الأسطول بناء على طلب من الاتحاد السوفيتي الذي يجري مشاورات مع الهند، فوافق الرئيس ريتشارد نيكسون على ذلك الطلب. (39) ومن جانب الرئيس يحيى خان فقد طالب بتحريك الأسطول الأمريكي إلى باكستان لمساعدته في الحرب ضد الهند، ولكن اتصال الجنرال أمير نيازي غير مصير الحرب، فقد أرسل القنصل الأمريكي في مدينة دكا رسالة إلى وزارة الخارجية الأمريكية في 27 شوال 1391هـ/14 ديسمبر 1971م يعلمهم بأن الجنرال نيازي اتصل به وطلب مقابلته وقال:» إن قصف مدينة دكا بعد ظهر اليوم أقنعه بضرورة وقف القتال على الفور لمنع المزيد من إراقة الدماء، رغم أن قواته لا تزال في مواقع جيدة» كما طلب منه أن يرسل مسودة اقتراحات كانت معه إلى نيودلهي للترتيب لوقف إطلاق النار تضمنت الشروط الآتية:

أولها إعادة تجميع القوات المسلحة الباكستانية في مناطق يُتفق عليها بين القوات المتصارعة، لضمان سلامة القوات العسكرية وشبه العسكرية، ثانيها سلامة الذين استقروا في شرق

باكستان منذ 1366هـ/1947م، ثالثها لا أعمال انتقامية ضد الذين ساعدوا الحكومة الباكستانية منذ محرم 1391هـ/مارس 1971م. (40)

كما ذكر الجنرال نيازي في الرسالة بأنه مستعد لمناقشة تفاصيل عرضه مع نظيره الهندي وستلتزم قواته على الفور بوقف إطلاق النار. وقد وضح الجنرال نيازي أن لديه السلطة الكاملة لاتخاذ الإجراءات المذكورة دون الرجوع إلى الرئيس محمد يحيى خان بحكم منصبه مسؤولاً عسكرياً في باكستان الشرقية وقائد القيادة الشرقية التي تمارس السلطة على القوات العسكرية وشبه العسكرية في المنطقة. (41) وبالفعل وقع الجنرال نيازي في 29 شوال 1391هـ/16 ديسمبر 1971م وثائق استسلام مدينة دكا وتسلمها منه قائد القوات الهندية الجنرال جاغجيت سينغ أورورا. (42) وفي اليوم التالي أعلنت رئيسة الوزراء الهندية أنديرا غاندي وقف إطلاق النار في باكستان الشرقية والغربية. (43)

بريطانيا:

اتخذت بريطانيا موقفاً حيادياً تجاه الحرب الأهلية التي وقعت بين شقي باكستان، فقد أعلن رئيس الوزراء البريطاني إدوارد هيث(1390 Edward Heath-1394هـ/1970-1974م) في 1 صفر 1391هـ/27 مارس 1971م أن «باكستان دولة مستقلة تماماً ذات سيادة» وليس لبريطانيا أن تتورط في الصراع الباكستاني، كما أعرب عن أمله في «عودة السلام في أقرب وقت ممكن». وأعلن وزير الخارجية البريطاني إليك دوغلاس هوم Alec DouglasHome(44) في 10 صفر 1391هـ/ أبريل 1971م في مجلس العموم أن الحكومة البريطانية « ليس لديها نية للتدخل في الشؤون الداخلية لباكستان» وأضاف « إن شعب باكستان نفسه هو الذي يجب أن يقرر مصائره، والتدخل من الخارج لن يؤدي إلا إلى تعقيد الوضع وجعله صعباً للغاية». (45) ومن خلال التصريحات السابقة للساسة في الحكومة البريطانية يتضح أن بريطانيا التزمت بمبدأ عدم التدخل، وعدّت أن الوضع في باكستان شأناً داخلياً، من الأفضل تسويته سياسياً. ويبدو أن بريطانيا من خلال تبنيها ذلك الموقف كانت تحاول الحفاظ على التوزان بين علاقتها بباكستان دولة لها عضوية في الكومنولث بالإضافة إلى المصالح الاقتصادية لبريطانيا في باكستان من جهة، وبين أعضاء البرلمان والرأي البريطاني العام من جهة أخرى، والذي طالب بتعليق المساعدات إلى باكستان. (46) وقد اعتمدت بريطانيا طرقاً ووسائل مختلفة من أجل تسوية الأزمة سياسياً، فاتصل رئيس الوزراء البريطاني إدوارد هيث بالرئيس محمد يحيى خان وأكد عليه ضرورة تسوية الخلافات السياسية مع الشيخ مجيب الرحمن بالاتفاق، كما التقى وزير الخارجية البريطاني إليك هوم المفوض السامي الباكستاني في بريطانيا وطلب منه إبلاغه بآراء الحكومة الباكستانية بشأن الوضع في الجناح الشرقي، وأرسل رئيس الوزراء إدوارد هيث العديد من الرسائل إلى الرئيس يحيى خان وعرض مساعيه الحميدة وسيطاً، كما اقترح وزير الخارجية البريطاني الأسبق مايكل ستيوارت العمل المشترك للوساطة من خلال أمانة الكومنولث. (47) وعندما نشبت الحرب بين الهند وباكستان بذلت بريطانيا جهدها في جلسات مجلس الأمن لوقف إطلاق النار، ففي الجلسة رقم (1606) في 17 شوال 1391هـ/4 ديسمبر 1971م

تحدث ممثلها وقال: «إنه يجب على المجلس أن يستخدم نفوذه لإقرار السلم وإنهاء القتال والعمل على تخفيف الآلام». (48) وفي الجلسة رقم (1613) في 26 شوال 1391هـ/13 ديسمبر 1971م حث ممثلها الأعضاء على بذل الجهود في سبيل إيجاد صيغة مقبولة لدى المعنيين. (49) كما فضلت بريطانيا العمل بالتنسيق مع الولايات المتحدة والأمم المتحدة لتمرير الإغاثات إلى باكستان الشرقية. (50)وعلى الرغم من مطالب أعضاء البرلمان البريطاني ووسائل الاعلام البريطانية وقف المساعدات الاقتصادية إلى باكستان، إلا أنه لم يصدر من بريطانيا أي إعلان رسمي بشأن وقفها. وجاء رد رئيس الوزراء البريطاني إدوارد هيث على اقتراح أحد أعضاء المعارضة بتعليق المساعدة، ليؤكد أن الحكومة البريطانية لن تمنع المساعدات حيث قال «إن منع المساعدة البريطانية لا يخضع للجوانب السياسية». وقد خشيت بريطانيا بوقفها المساعدات إلى باكستان أن تتضرر المصالح البريطانية في باكستان، فهي تستورد الجوت الخام والمنسوجات القطنية من باكستان، وقد تأثرت صناعاتها بسبب توقف إمدادات الجوت أثناء الاضطرابات التي حدثت في باكستان الشرقية. غير أن بريطانيا سلكت طرقاً أخرى للضغط على باكستان مادياً فامتنعت عن دفع التزاماتها البالغة (45) مليون جنيه إسترليني للمشاريع التنموية في باكستان الشرقية، واشترطت لإعادة استئناف المساعدات أن يُسوّى الوضع سياسياً في المنطقة. كما توقفت إدارة الصادرات البريطانية عن تقديم المزيد من معاملات التصدير إلى باكستان. (51)

الاتحاد السوفيتي:

اتخذ الاتحاد السوفيتي موقفاً واضحاً من الأحداث التي وقعت بين الهند وباكستان، مفاده تأييد الهند ودعمها سياسياً وعسكرياً على حساب باكستان. ويرجع ذلك إلى ارتبط الاتحاد السوفيتي مع الهند بعلاقات ودية قائمة على اتخاذ الاتحاد السوفيتي الهند حليفاً مثالياً في مواجهة النفوذ الصيني المتزايد في آسيا ولعدم ترك المجال للولايات المتحدة لتمد نفوذها في الهند، (52) ولقد زادت العلاقات بين الدولتين بعد توقيعهما في 18 جمادى الآخرة 1391هـ/9 أغسطس 1971م معاهدة السلام والتعاون الصداقة، فأضفت المعاهدة الطابع الرسمي على الصداقة السوفيتية-الهندية. (53) أما باكستان فلم ترتبط معها بعلاقات جيدة لانحيازها إلى الغرب وارتباطها مع الولايات المتحدة بعلاقات صداقة. (54)

وخلال الحرب الأهلية التي وقعت بين شقي باكستان، لم يتعاطف الاتحاد السوفيتي مع باكستان بل عدّ سياستها تجاه البنغاليين في باكستان الشرقية سياسة قمعية، فقد أرسل الرئيس السوفيتي نيكولاي بودجورني (1385-1397هـ/1965-1977م) إلى الرئيس الباكستاني يحيى خان في 8 صفر 1391هـ/3 أبريل 1971م رسالة حثه فيها على اتخاذ الإجراءات العاجلة لوضع حد لإراقة الدماء والقمع ضد سكان باكستان الشرقية واتخاذ تدابير من أجل تسوية سياسية سليمة. ويتضح من الرسالة أن الرئيس السوفيتي تدخل في الشؤون الداخلية لباكستان وتعاطف مع الانفصاليين البنغاليين وانتقد سياسة القمع التي قامت بها الحكومة الباكستانية ضد البنغاليين واعدها أعمالاً متطرفة تسببت في إراقة الدماء. (55)

استاء الرئيس الباكستاني يحيى خان من رسالة الرئيس السوفيتي نيكولاي بودجورني، فرد عليه برسالة ذكر بأنه:» عازم على عدم السماح لأي دولة بالتدخل في الشؤون الداخلية لباكستان». خشيت الحكومة السوفيتية من تأزم العلاقات مع باكستان، وكرد فعل منها نفت أن تكون رسالة الرئيس بودجورني تشير إلى موقف غير ودي تجاه باكستان وأن الرسالة نابعة من الصداقة والاهتمام برفاهية الأمة الصديقة للاتحاد السوفيتي. (56) وعندما اندلعت الحرب بين الهند وباكستان وقف الاتحاد السوفيتي إلى جانب الهند وأيدت رأيه في جلسات مجلس الأمن القائل بأن باكستان قمعت البنغاليين واتبعت سياسة القمع تجاههم واعتقلت الشيخ مجيب الرحمن الذي انتخبوه. وهكذا استخدم الاتحاد السوفيتي حق النقض أكثر من مرة ضد قرارات مجلس الأمن التي لا تهدف إلى الاعتراف بإدارة البنغاليين في باكستان الشرقية كما في مشروع القرار رقم (S/101416) ورقم(10446S/)، ولم يكتفِ الاتحاد السوفيتي باستخدام حق النقض بل أرسل قوة عسكرية مكونة من (6) سفن إلى المحيط الهندي في 25 شوال 1391هـ/12 ديسمبر 1971م عندما لوحت الولايات المتحدة إلى إرسال أسطولها السابع، فبدا الأمر كما لو أن مواجهة مباشرة بين قوتين عظميين ستحدث في المحيط الهندي بسببها صراع بين الهند وباكستان. (57)

الصين:

وقفت الصين إلى جانب باكستان في أزمتها الداخلية وفي حربها مع الهند، وقدمت لها دعماً معنوياً ومادياً خلال أزمتها. فقد أعرب رئيس الوزراء الصيني تشو انلايZhou Enlai (1396-1369هـ/1949-1976م) في رسالته إلى الرئيس الباكستاني محمد يحيى خان التي أرسلها في 23 مارس 1971م عن دعمه الكامل لباكستان وشعبها في كفاحهم من أجل الحفاظ على الاستقلال الوطني. كما أرسلت الصين في 11 صفر 1391هـ/6 أبريل 1971م مذكرة احتجاج إلى الهند جاء فيها أن حكومة الصين تؤمن بالتعايش السلمي وأنها لم تتدخل في الشؤون الداخلية للدول كما اتهمت الهند بالتدخل في الشؤون الداخلية لباكستان. وأعلنت في 17 صفر 1391هـ/12 أبريل 1971م: «أن ما يحدث في باكستان في الوقت الحاضر هو شأن داخلي محض لباكستان ولا يمكن تسويته إلا من قِبل الشعب الباكستاني نفسه والذي لا يحتمل أي تدخل أجنبي على الإطلاق». وبذلك تأكدت باكستان من دعم الصين لها في الحفاظ على سلامتها ووحدة أراضيها. (58) وعندما اندلعت الحرب بين الهند وباكستان قرر مجلس الأمن عقد اجتماع في 17 شوال 1391هـ/4 ديسمبر 1971م من أجل وقف إطلاق النار، فتحدث ممثل الصين وقال:

« إن حكومة الهند قد أرسلت بصورة علنية سافرة قواتها لغزو باكستان الشرقية فأثارت بذلك نزاعاً مسلحاً واسع النطاق وتسببت في تفاقم التوتر في شبه القارة الباكستانية- الهندية وفي آسيا كلها. وإن مسألة باكستان الشرقية مسألة داخلية بحتة لا يحق لأحد أن يتدخل فيها. وأن الحكومة الهندية أكدت أنها أرسلت قوات إلى باكستان الشرقية بقصد الدفاع عن النفس، وهذا منطق يسير عليه رجال العصابات وحدهم، فحسب منطق الحكومة الهندية هذا لن يكون هناك أية ضمانة لسيادة شتى البلدان وسلامتها الإقليمية. إن الوقائع تدل على أن الهند هي

التي ارتكبت عدواناً ضد باكستان وليس باكستان من يهدد أمن الهند. وإذا كان غرض الحكومة الهندية من إرسالقواتها لغزو باكستان الشرقية هو مساعدة اللاجئين من باكستان الشرقية على العودة إلى أوطانهم، فإذا صح ذلك أفلا يمكن للحكومة الهندية أن تغزو الصين متذرعة بوجود عدد من اللاجئين القادمين من التبت في الهند؟ إن حكومة الصين وشعبها يؤيدان تأييداً قوياً باكستان في كفاحها العادل ضد العدوان الهندي، هذا العدوان الذي شن بتأييد من الإمبريالية الاشتراكية»(59)وفي 19 شوال 1391هـ/6 ديسمبر 1971م عقد مجلس الأمن اجتماعاً آخر لصياغة قرار وقف إطلاق النار، فتحدث ممثل الصين وقال:» إن الهند تقوم الآن بتحريض من الاتحاد السوفيتي وبمساندته على شن حرب عدوانية ضد باكستان بغية تجزئة باكستان واحتلال باكستان الشرقية، وأن ما يسعى إليه الاتحاد السوفيتي اليوم هو إنشاء إمبراطورية عظمى، كتلك التي كان القياصرة يحلمون بها ولكنهم عجزوا عن تحقيقها، أي إمبراطورية عظمى تسيطر على قارة آسيا كلها». (60) يتضح من خطابات ممثل الصين في مجلس الأمن أن الصين تدعم باكستان وتدين الهند على عدوانها ضد باكستان، كما أنها تتهم الاتحاد السوفيتي بأنها وراء هجوم الهند على باكستان الشرقية.

لم تقتصر المساعدات الصينية إلى باكستان على التصاريح الشفهية بل امتدت لتشمل منح المساعدات العسكرية والاقتصادية. فقدمت لها المعدات والأسلحة إلى جانب قرض قيمته (88) مليون جنيه إسترليني، و(30) مليون جنيه إسترليني مساعدات من الصين إلى باكستان لكي تجاوز الصعوبات المالية الحالية، كما أرسلت مواد للإغاثة إلى باكستان الشرقية. (61) ولقد اهتمت الصين بدعم باكستان في أزمتها لاعتبارات عديدة أولها ارتباطها مع باكستان بعلاقات ودية منذ توقيعهما اتفاقية ترسيم الحدود عام 1382هـ/1963م، (62) وتطورت تلك العلاقات حتى شملت الجوانب الاقتصادية والعسكرية. ثانيها أن الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي يزودان الهند بالسلاح الذي يعزز دفاعاتها ضد الصين، مما جعل الصين تدعم باكستان لتكون حليفاً لها في المنطقة. ثالثها أن تكون باكستان دولة مستقلة ذات سيادة واستقرار داخلي مهم بالنسبة للصين لأن تهديد استقلال باكستان من شأنه أن يعرض سلام وأمن المنطقة المجاورة للخطر. رابعها أن باكستان دولة مسلمة تتمتع بمكانة خاصة في العالم الإسلامي يمكن أن تساعد الصين في تطبيع علاقاتها مع الدول الإسلامية. (63) خامسها موقف الاتحاد السوفيتي الموالي للهند في أزمة باكستان الشرقية مما جعل الصين تقدم الدعم من جانبها إلى باكستان لمواجهة النفوذ السوفيتي المتزايد في شبه القارة. (64)

الخاتمة:

يظهر أن الأزمة السياسية التي وقعت بين شقي باكستان الشرقي والغربي كانت بمثابة مشكلة سياسية داخلية تطورت لتصبح أزمة إقليمية بين الهند وباكستان، امتد مداها لتدخل الدولتين في حرب ثالثة بينهما منذ استقلالهما عام 1947م.ولقد أدت تلك الحرب إلى انفصال باكستان الشرقية عن الغربية وظهور دولة بنجلادش. وتعد الحرب الثالثة التي وقعت بين دولتين شقيقتين من الحروب التي كان لها وقعاً على المجتمع الدولي،فنجد أن الأمم المتحدةالتي تعد

أهـم منظمـة دوليـة تسـتوعب أكـبر عـدد مـن دول العـالم، وتسـعى إلى حفـظ السـلام والأمـن الدوليـين وتعمـل عـلى حمايـة المصالـح بـين الـدول، قـد نظـرت إلى الأزمـة بـين شـقي باكسـتان عـلى أنهـا شـأن داخـلي، لكـن مـا إن تطـور الوضـع الى حـرب حتـى أخـذت عـلى عاتقهـا مهمـة إحـلال السـلام ووقـف الحـرب بـين الأطـراف المتحاربـة. وفي الوقـت نفسـه كان للولايـات المتحـدة موقفـاً مماثـلاً للأمـم المتحـدة فقـد رأت ضرورة عـدم التدخـل في بدايـة الأزمـة، ولكـن عندمـا نشـبت الحـرب تدخلـت أولاً سياسـياً وبعـد فشـل المسـاعي الدبلوماسـية هـددت بالتدخـل عسـكرياً إذا لم يتـم إيقـاف الحـرب. وفيـما يخـص موقـف بريطانيـا فـإن الساسـة البريطانيـين عـبروا باسـتمرار عـن التـزم بلادهـم بمبـدأ عـدم التدخـل، واعتبرواالأزمـة في شـقي باكسـتان شـأناً داخليـاً، ولكـن عندمااندلعـت الحـرب حـاول الساسـة البريطانيـين مـن خـلال جلسـات مجلـس الأمـن الدعـوة إلى وقـف إطـلاق النـار.

ومـن جهـة أخـرى نجـد أن الإتحـاد السـوفيتي قـد دعـم الهنـد سياسـياً وعسـكرياً وذلـك لارتباطهـما بعلاقـات وديـة تطـورت بعـد توقيعهـما اتفاقيـة التعـاون والصداقـة، وكان ذلـك الدعـم عـلى حسـاب باكسـتان التـي لم يتعاطـف معهـا الإتحـاد السـوفيتي في أزمتهـا الداخليـة. في حـين أن الصـين وقفـت إلى جانـب حليفتهـا باكسـتان وناصرتهـا في أزمتهـا الداخليـة وحربهـا ضـد الهنـد، معتـبرة أن مـا يهـدد الأراضي الباكسـتانية سـيهدد أراضيهـا.

الهوامش:

(1) Zill R. Khan, March Movement of Bangladesh: Bengali Struggle for Political Power, The Indian Journal of Political Science, Vol. 33,No. 3, (1972) p.320. Jagmohan Meher, Dynamics of Pakistan's Disintegration: The Case of East Pakistan 19471971-, India Quarterly, Vol 71, No 4, (2015)p. 311.

(2) فراس البيطار، الموسوعة السياسية والعسكرية، ج1 (عمان: دار أسامة للنشر والتوزيع،3002م)،ص 2322.

(3) Mehrunnisa Hatim Iqbal, India and The 1971 War with Pakistan, Pakistan Horizon, Vol. 25 No. 1, (1972) p.23.

(4) Safdar Mahmood, Indian Involvement in The 1971 Crisis of Pakistan, Strategic Studies, Vol. 6, No. 1, (1982) p.76.

(5) Iqbal, op. cit., p. 23.

(6) فراس البيطار، مرجع سابق، ج6،ص 3322.

(7) 7 ( ) Mehrunnisa Ali, East Pakistan Crisis: International Reactions, Pakistan Horizon, Vol 24. No 2, (1971) pp. 3334-.

(8) 8 ( )Annual Reports of The Security Council to The General Assembly of United Nation (19711972-) p.60.

(9) محمود شاكر، باكستان (بيروت: مؤسسة الرسالة: 2791م)، ص511.

(10) Annual Reports of The Security Council to The General Assembly of United Nation (19711972-) p.59.

(11) Ibid.

(12) Ibid., p. 60.

(13) Ibid.

(14) Ibid.

(15) Ibid., p. 62.

(16) Ibid., p.67.

(17) Ibid., p. 69.

(18) Ibid.

(19) Ibid.

(20) Ibid., pp. 7172-.

(21) Ibid., p. 79.

(22) فراس البيطار، مرجع سابق، ج6، ص 8622.

(23) Indian Army (2021) Indo Pak War 1971, from: https://indianarmy.nic, Access date,

.2022/8/2

(24) Annual Reports of The Security Council to The General Assembly of United Nation (1971-1972) pp. 79-80.

(25) كاظم هيلان محسن، الموقف الأمريكي من أزمة استقلال بنغلادش والحرب الهندية الباكستانية في ضوء وثائق وزارة الخارجية الأمريكي، مجلة أبحاث البصرة للعلوم الإنسانية، العدد 1، (8002م) ص 992.

(26) محمود شاكر، مرجع سابق، ص 221.

(27) Foreign Relations of the United States 19691976-, South Asia Crisis 1971, Vol. XI, Document No. 2, March 1 1971, from U.S. Department of State.

(28) هنري ألفريد كيسنجر (1431هـ/3291م): سياسي ودبلوماسي أمريكي، ولد في ألمانيا، وعندما أصبح عمره (51) عاماً هاجرت أسرته إلى الولايات المتحدة عام 6531هـ/8391م هرباً من الاضطهاد النازي لليهود. تلقى تعليمه الثانوي في مدارس أمريكية، ثم توقف عن الدراسة لتجنيده في الجيش الأمريكي عام 1631هـ/3491م. وبعد تركه الخدمة العسكرية التحق بجامعة هارفارد وحصل على درجة البكالوريوس عام 9631هـ/0591م ثم درجة الدكتوراه عام 3731هـ/4591م. عمل في الشؤون الأمنية للعديد من الوكالات الأمريكية، وتولى منصب رئيس مجلس الأمن القومي بين عامي (8831-5931هـ/9691-5791م)، وعمل وزيراً للخارجية الأمريكية بين عامي (2931-7931هـ/3791-7791م). بعد تركه لمنصب وزير الخارجية أصبح مستشاراً وكاتباً ومحاضراً دولياً. وفي الثمانينيات الميلادية عمل في المجلس الاستشاري للاستخبارات الأمريكية. متاح على:
https://www.britannica.com/biography/Le-Duc-Tho تاريخ الدخول 2022/8/4م.

(29) Foreign Relations of the United States 1969-1976, Vol. XI, South Asia Crisis 1971, Document No. 8, March 13 1971, from U.S. Department of State.

(30) كاظم هيلان محسن، مرجع سابق، ص 992.

(31) Foreign Relations of the United States 19691976-, South Asia Crisis 1971, Vol. XI, Document No. 38, April 29 1971, from U.S. Department of State.

(32) Foreign Relations of the United States 19691976-, South Asia Crisis 1971, Vol. XI, Document No. 41,May 7 1971, from U.S. Department of State.

(33) Foreign Relations of the United States 19691976-, South Asia Crisis 1971, Vol. XI, Document No. 63, May 28 1971, from U.S. Department of State.

(34) Foreign Relations of the United States 19691976-, South Asia Crisis 1971, Vol. XI, Document No. 179, November 4 1971, from U.S. Department of State.

(35) Ibid.

(36) Foreign Relations of the United States 19691976-, South Asia Crisis 1971, Vol. XI, Document No. 228, December 5 1971, from U.S. Department of State.

(37) Foreign Relations of the United States 19691976-, South Asia Crisis 1971, Vol. XI, Document No. 179, December 10 1971, from U.S. Department of State.

(38) Foreign Relations of the United States 19691976-, South Asia Crisis 1971, Vol. XI, Document No. 285,December 12 1971, from U.S. Department of State.

(39) Foreign Relations of the United States 19691976-, South Asia Crisis 1971, Vol. XI, Document No. 290, December 12 1971, from U.S. Department of State.

(40) Foreign Relations of the United States 19691976-, South Asia Crisis 1971, Vol. XI, Document No. 300, December 14 1971, from U.S. Department of State.

(41) Ibid.

(42) فراس البيطار، مرجع سابق، ج6، ص 8622.

(43) Foreign Relations of the United States 1969-1976, South Asia Crisis 1971, Vol. XI, Document No. 323, December 17 1971, from U.S. Department of State.

(44) إليك دوغلاس هوم (1231-6141هـ/3091-5991م): سياسي بريطاني، تلقى تعليمه المبكر في مدارس بريطانية، ثم حصل عام 4431هـ/5291م على درجة البكالوريوس من جامعة إسكفورد. بدأ حياته السياسية بصفته نقيباً في مجلس العموم بين عامي (0531-1731هـ/1391-1591م). ثم أصبح وزير الدولة للشؤون الخارجية وشؤون الكومنولث بين عامي (0831-3831هـ/0691-3691م)، ورئيساً للوزراء بين عامي (3831-4831هـ/3691-4691م)، ثم أصبح وزيراً للخارجية بين عامي (0931-4931هـ/0791-4791م). بعدها تقاعد عن العمل السياسي وعاد إلى مجلس اللوردات حتى وفاته. متاح على:
https://www.britannica.com/biography/Alec-Douglas-Home تاريخ الدخول 2022/8/11م.

(45) Mehrunnisa Ali, op. cit., p. 49.

(46) Ibid., pp. 4950-.

(47) Ibid., p. 50.

(48) Annual Reports of The Security Council to The General Assembly of United Nation (19711972-) p. 63.

(49) Ibid., 72.

(50) Mehrunnisa Ali, op. cit., p. 51.

(51) Ibid., pp. 5051-.

(52) Ibid., p. 53.

(53) Sangeeta Thapliyal, Indo-Pak Conflict and The Role of External Powers, Strategic

Analysis, Vol. XXII, No. 7, (1998) p. 1.

(54) Mehrunnisa Ali, op. cit., p. 53.

(55) Ibid., p. 54.

(56) Ibid., p. 55.

(57) Thapliyal, op. cit., p. 1.

(58) Mehrunnisa Ali, op. cit., p. 41.

(59) Annual Reports of The Security Council to The General Assembly of United Nation (19711972-) p. 63.

(60) Annual Reports of The Security Council to The General Assembly of United Nation (19711972-) pp. 6768-.

(61) Mehrunnisa Ali, op. cit., p. 42.

(62) Mohammad Ayub Khan, Friends Not Masters (London: Oxford University Press, 1967)pp. 163164-.

(63) Mehrunnisa Ali, op. cit., pp. 3940-.

(64) Ibid., p. 42.

المصادر والمراجع:

أولاً: الوثائق

(1) -Annual Reports of The Security Council to The General Assembly of United Nation (19711972-)

(2) - Foreign Relations of the United States 19691976-, South Asia Crisis 1971, Vol. XI, Document No. 2, March 1 1971, from U.S. Department of State.

(3) - Foreign Relations of the United States 19691976-, South Asia Crisis 1971, Vol. XI, Document No. 8, March 13 1971, from U.S. Department of State.

(4) - Foreign Relations of the United States 19691976-, South Asia Crisis 1971, Vol. XI, Document No. 38, April 29 1971, from U.S. Department of State.

(5) - Foreign Relations of the United States 19691976-, South Asia Crisis 1971, Vol. XI, Document No. 41, May 7 1971, from U.S. Department of State.

(6) - Foreign Relations of the United States 19691976-, South Asia Crisis 1971, Vol. XI, Document No. 63, May 28 1971, from U.S. Department of State.

(7) - Foreign Relations of the United States 19691976-, South Asia Crisis 1971, Vol. XI, Document No. 179, November 4 1971, from U.S. Department of State.

(8) - Foreign Relations of the United States 19691976-, South Asia Crisis 1971, Vol. XI, Document No. 228, December 5 1971, from U.S. Department of State.

(9) - Foreign Relations of the United States 19691976-, South Asia Crisis 1971, Vol. XI,Document No. 179, December 10 1971, from U.S. Department of State.

(10) - Foreign Relations of the United States 19691976-, South Asia Crisis 1971, Vol. XI, Document No. 285,December 12 1971, from U.S. Department of State.

(11) - Foreign Relations of the United States 19691976-, South Asia Crisis 1971, Vol. XI, Document No. 290, December 12 1971, from U.S. Department of State.

(12) - Foreign Relations of the United States 19691976-, South Asia Crisis 1971, Vol. XI, Document No. 300, December 14 1971, from U.S. Department of State.

(13) - Foreign Relations of the United States 19691976-, South Asia Crisis 1971, Vol. XI, Document No. 323, December 17 1971, from U.S. Department of State.

ثانياً: المصادر الأجنبية

(14) - Mohammad Ayub Khan, Friends Not Masters (London: Oxford University Press, 1967)

ثالثاً: المراجع العربية

(15) - فراس البيطار، الموسوعة السياسية والعسكرية، ج1 (عمان: دار أسامة للنشر والتوزيع،2003م)

(16)- محمود شاكر، باكستان (بيروت: مؤسسة الرسالة: 1972م)

رابعاً: الدوريات

(17)المجلات باللغة العربية

(18)- كاظم هيلان محسن، الموقف الأمريكي من أزمة استقلال بنغلادش والحرب الهندية الباكستانية في ضوء وثائق وزارة الخارجية الأمريكي، مجلة أبحاث البصرة للعلوم الإنسانية، العدد 1، (2008م)

(19)المجلات الأجنبية

(20)- Zill R. Khan, March Movement of Bangladesh: Bengali Struggle for Political Power, The Indian Journal of Political Science, Vol. 33, No. 3, (1972)

(21)- Jagmohan Meher, Dynamics of Pakistan's Disintegration: The Case of East Pakistan 19471971-, India Quarterly, Vol 71, No 4, (2015)

(22)- Safdar Mahmood, Indian Involvement in the 1971 Crisis of Pakistan, Strategic Studies, Vol. 6, No. 1, (1982)

(23)- Sangeeta Thapliyal, Indo-Pak Conflict and The Role of External Powers, Strategic Analysis, Vol. XXII, No. 7, (1998)

خامساً: المواقع الإلكترونية

(24)- Indian Army (2021) Indo Pak War 1971, from: https://indianarmy.nic, Access date, 22022/8/.

(25)- https://www.britannica.com/biography/Le-Duc-Tho

(26)تاريخ الدخول 2022/8/4م.

(27)- https://www.britannica.com/biography/Alec-Douglas-Home

(28)تاريخ الدخول 2022/8/11م

الاستعمار البريطاني والفرنسي للصين (1792-1954م) (دراسة تاريخية تحليلية)

أ.عزيزة أحمد عبد العزيز الذبياني
باحثة – قسم التاريخ – كلية الشريعة والدراسات الإسلامية
جامعة أم القرى - المملكة االعربية السعودية

المستخلص:

يتتبع هذا البحث الاستعمار البريطاني والفرنسي للصين، بداية من التدخلات البريطانية في الصين، مروراً بحروب الأفيون، والثورات الشعبية بعد حرب الافيون، والآثار الناتجة عن الحرب الصينية البريطانية، ويستعرض البحث كذلك الاستعمار الفرنسي في الهند الصينية، وسياسات فرنسا الاستعمارية في الهند الصينية، وحروب الهند الصينية الفرنسية، والثورة الفيتنامية 1365هـ/1946م-1373هـ/1954م، وقد تطرق البحث للصين بعد الحرب العالمية الأولى والثانية 1332هـ/1914م-1368هـ/1949م، وقد أُعتمد في هذا البحث على المنهج التاريخي الذي يعتمد على تحليل المصادر المتاحة واستخراج النصوص المتعلقة بالموضوع وتحليلها، كما هدف البحث إلى تسليط الضوء على مرحلة مهمة من تاريخ الصين. اهم النتائج التي توصل إليها البحث: أن تاريخ الصين له أهمية كبيرة وذلك لما قدمته خلال مسيرتها الطويلة والشاقة من تجربة غنية فهي على الرغم من الاستعمار الذي طالها من الأعداء إلا انها دافعت عن نفسها بضراوة حتى تمكنت من الاستقلال، تحول الصين لجمهورية بقيادة سان يات سن، هزيمة فرنسا في معركة ديان بيان فو بقيادة الجنرال جياب، انعقاد مؤتمر جنيف لحل مشكلة الهند الصينية في عام 1373هـ/1954م.

كلمات مفتاحية: الصين، الاستعمار البريطاني والفرنسي، الحرب العالمية الأولى والثانية، الثورات الشعبية.

British and French colonization of China (1954 -1792)AD)Analytical historical)

Azizah Ahmed Abdulaziz Althubyani

Abstract:

This research traces the British and French colonization of China, starting with the British interventions in China, through the Opium Wars, the popular revolutions after the Opium War, and the effects resulting from the Sino-British war. The Sino-French, and the Vietnamese Revolution 1365 AH / 1946 AD - 1373 AH / 1954 AD, and the research touched on China after the First and Second World Wars 1332 AH / 1914 AD - 1368 AH / 1949 AD. The research also aimed to shed light on an important stage in the history of China. The most important findings of the research: The history of China is of great importance because of the rich experience it provided during its long and arduous march. Despite the colonialism that affected it from enemies, it defended itself fiercely until it was able to become independent. The defeat of France in the battle of Dien Bien Phu led by General Giap, the convening of the Geneva Conference to solve the Indochina problem in 1373 AH / 1954 AD.

Keywords: China, British and French colonialism, World War I and II, popular revolutions.

المقدمة:

تُعد الصين من أقدم حضارات العالم تمتد جذورها لآلاف السنين، ويعود تاريخها إلى أربعة آلاف سنة، وقد احتفظت بطابعها الخاص رغم فترتها التاريخية الطويلة، كما تمتاز بموقعها الجغرافي الذي يشترك مع أربعة عشر دولة في الحدود، وقد أسهم موقعها الجغرافي المتميز في عُزلتها، وعدم تأثرها بالمؤثرات الخارجية لفترات طويلة حتى وصول الغزو المغولي لها.

كانت الصين محطاً لأطماع الدول الاستعمارية الكُبرى كبريطانيا وفرنسا، واليابان، وألمانيا، وروسيا، لامتلاكها ثروات طبيعية كثيرة، ووفرة الأيدي العاملة فيها، ورغم مُعاناتها من الحروب الأهلية، وتدخل الدول الاستعمارية بها فقد استطاعت تكوين قوة اقتصادية لا يُستهان بها[1].

تأثرت الصين بتيار الفكر الشيوعي في تسعينات القرن الماضي، والذي أثر بشكل سلبي على مصالحها إضافة لكونها عديم الجدوى ولا يواكبها أي تطورات من العصر، لذلك توجّب

عليها اتخاذ نظام يتماشى مع التطورات الحاصلة مع المحافظة على طابعها الصيني المحافظ. وقد يستهين البعض بموضوع الاستعمار، أو يعتبره موقفاً رمزيّاً، وذلك لأنه لا يعرف ثمن الرهان والهزيمة، وما يحصل للدول التي تسقط أمامه، ولكنّ هذا كان حاضراً في ذاكرة الصينيّين طوال سنوات ما بعد الثورة ولا يزال. ومن خلال هذا البحث سنتحدث عن الجذور التاريخية للصين وكيف تأثرت بالاستعمار البريطاني والفرنسي وكيف نجحت في تخطي عقبات هذا الاستعمار.

مفهوم الاستعمار:

الاستعمار لفظة محدثة مشتقة من عَمَر، واستعمره في المكان أي جعله يعمره، ومنه قوله تعالى: (هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها)[2].

فالأصل اللغوي يُفيد معنى طلب التعمير، والسعي لتحقيق العمران، لكن الواقع لا علاقة له بالمعنى اللغوي. ويعرف الشهابي وحبنكة الاستعمار موافقين لما جاء في المعجم الوسيط بانه «استيلاء دولة أو شعب على دولة أخرى وشعب آخر لنهب ثرواته، وتسخير طاقات أفراده والعمل على استثمار مرافقه المختلفة»[3]. وقد اختلفت الآراء والنظريات حول أهداف الاستعمار حيث ركز البعض على الأهداف الاقتصادية أي العمل على استغلال الموارد الطبيعية لصالح المستعمر، وركز البعض الآخر على الأهداف الاستراتيجية، أي الاستفادة من الموقع الجغرافي للبلاد المستعمرة في العلميات العسكرية وغيرها[4]، ولكن هذه الأهداف كانت في حقيقة الأمر أهدافاً قصيرة المدى بالنسبة للدول الاستعمارية إذ أن الأهداف ذات المدى البعيد كانت ومازالت في الواقع أهدافاً حضارية أي أن هذه الدول كانت تسعى داوماً لفرض حضارتها على البلدان المستعمرة في العالم الثالث . والملاحظ أن الاستعمار في شكله التقليدي أو القديم قد اعتمد على الاحتلال العسكري المباشر لتحقيق أهدافه وكان من أساليبه ايضاً، بجانب استغلال ونهب الثروات الطبيعية للأقاليم المُستعَمرة، والعمل على تشويه معالم سكان هذه الاقاليم الحضارية - من خلال التبشير الديني وفرض لغة المستعمر وثقافته - وكذلك تشجيع رعايا الدولة المستعمرة على الهجرة بغرض الاستيطان في الاقاليم المستعمرة مما يضع أهل هذه الاقاليم الاصليين في ظروف معيشية تجعلهم في درجة أقل من مكانه المستوطنين الاجانب الذين يحظون برعاية الحكومة الاستعمارية بالحصول على امتيازات معينة ليست من نصيب السكان الاصليين او المحليين[5].

الصين قُبيل الاستعمار:

تقع الصين[6] في الجزء الشرقي من قارة آسيا، ولها حدود برية طويلة تُقدر بحوالي(20000كم^2)، يحدّها اثنا عشر دولة هي كوريا الشمالية في الشرق، ومن الغرب الهند، باكستان، وأفغانستان، ومن الشمال روسيا، ومنغوليا الداخلية، ومن الجنوب الهند الصينية (كمبوديا، لاوس، فيتنام)، الهند، والنيبال، كما أن لها سواحل طويلة مُطلة على المحيط الهادي تُقدر ب(18000 كم^2) وقد وفرت لها هذه المساحة إمكانية إقامة عدد كبير من الموانئ[7]، كما تتمتع الصين بمساحة شاسعة، وتنعم بجغرافية جميلة من الجبال، والسُهول، والأنهار العظيمة وكبيرة مثل نهر اليانغتسي[8] والنهر الأصفر[9]، وعدة بحيرات مثل بحيرة تشنغهاي. وقد كانت

حكومة الصين خير حكومات ذلك الزمن، فلم يشهد التاريخ حكومة كان لها رعايا أكثر من الحكومة الصينية، أو كانت في حكمها أطول عهداً أو أقل سيطرة من حكومة الصين، كما كانوا أحراراً من الناحيتين السياسية والاقتصادية، وفي نظام الحكم الذي أقاموه بأنفسهم، كان نظام الحُكم المتبع في الصين قبل تأسيس الجمهورية هو النظام الإمبراطوري، وامتازتالصين بالمساحات الشاسعة وبسبب هذا واجه الإمبراطور صعوبة في فرض سيطرته الكلية عليها؛ مما أستوجب تقسيمها إلى عدة مُقاطعات لكل واحدة منها حُكم ذاتي، ونظام اقتصادي قائم بحد ذاته، وهو ما يُعرف حالياً « بالنظام الفيدرالي» حيث تُرشح الإمبراطورية حاكم لتلك المقاطعة[10].

كما تُعد أسرة تشينغ من آواخر الأُسر التي حكمت الصين في الفترة من عام 1053هـ / 1644م1329-هـ /1911م، ويرجع أصلهم إلى منشوريا المنغولية، وهي من أطول الأسر التي حكمت الصين، وقد كانت الصين منذ الثالث عشر الهجري-القرن التاسع عشر عُرضة للأطماع الأوروبية البريطانية والفرنسية؛ لخشيتهم من أن تُصبح قوة اقتصادية وعسكرية عُظمى تُنافسهم على سيادة العالم، مما حدا بهم لفرض معاهدات مُجحفة بحقها[11].

تُعتبر الصين من أكثر دول العالم سكانا، وتشكل حوالي 22% من أجمالي سكان العالم، كما أن الصين دولة متعددة القوميات إذ يوجد فيها 56 قومية، وتضم الصين عدة أديان منها الكونفوشيوسية[12] والبوذية[13] والطاوية[14]، والمسيحية والإسلام بدأت مطامع الدول المُستعمرة نحو الشرق الأقصى في بداية القرن الثالث عشر الهجري- التاسع عشر الميلادي، نظراً لامتلاكه الكثير من الثروات الطبيعية والبشرية، لذا تسابق الدول الاستعمارية في الحُصول على موطئ قدم فيها[15]، ومن أبرز الدول التي ارتبطت بعلاقات تجارية مع الصين دون أي تدخل في شأنهم، البرتغاليين فقد اقتصرت علاقتهم على التجارة في الموانئ الجنوبية للصين، ومن ثم الاسبان الذين احتلوا جزيرة الفلبين، وأسسوا مستعمرات فيها، وعملوا في التجارة مع الصينيين، وقاموا باستبدال بضائعهم بالتوابل والخزف الصيني، كما قامت هولندا باحتلال جزيرة فرموزا والتي عُرفت لاحقاً باسم «تايوان» -وأصبحت فيما بعد ذات أهمية كبيرة- وساعد الهولنديين أسرة المانشو في تولي السلطة، وسمحت لهم بالتجارة في الصين عرفاناً لجميلهم[16]، وقد قامت روسيا كذلك بعلاقات تجارية مع الصين، ولم يُكتب لها النجاح؛ بسبب رفض الروس لآداء مراسم «الكاو-تاو»[17] وخرجوا من الصين، واستمرت القطيعة بينهما لمدة 35 عاماً، لكنا ما لبثت أن عادت لطبيعتها بعد قيام الجمهورية الصينية[18]، أما العلاقات الصينية البريطانية فقد كانت متوترة على عكس بقية الدول الأوروبية الأخرى؛ بسبب التدخل القسري من قبل البريطانيين في الشأن الصيني، مما تسبب في سخط وغضب الشعب الصيني على حكومته الضعيفة، وكان لذلك دور فعال في تحول نظام الصين إلى نظام جُمهوري.

بداية التدخلات البريطانية:

الاستعمار البريطاني في الصين:

كانت لبريطانيا في القرن الثالث عشر الهجري-التاسع عشر الميلادي الصدارة السياسية والحربية، والذي ساعدها على تحقيق هذا المركز هو الضعف والإنهاك الذي حل بالدول الأوروبية

الاستعمارية، وقد حازت بريطانيا على مكانة لها في آسيا، ومناطق الشرق الأقصى؛ بسبب استعمارها للهند التي رحبت بالنشاط الأجنبي فيها الذي أصبح يمثل جزء من اقتصادها[19] ويظهر ذلك جلياً في انشائهم لشركة الهند الشرقية الإنجليزية التي تأسست عام1009هـ /1600م[20]، لكنها وجدت في الصينفريسة صعبة المراس؛ لأنهم لم يهتموا قط بالتجارة البحرية، وكانوا مكتفين ذاتياً بل ويتعالون عن الأجانب ويُطالبونهم بالخضوع والولاء[21].

لقد فرضت بريطانيا وجودها في الصين باستعمال طُرق وأساليب غير مشروعة خاصة بعد فشل تجارتها مع الصين؛ لأن الاقتصاد الصيني كان قائم على أساس دمج الزراعة الفردية بالصناعة اليدوية الفردية، أي أن الأسرة الصينية هي الوحدة الأساسية في الإنتاج، حيث أن معظم حاجيات الفلاحين الصينيين اليومية الذين يُشكلون غالبية الشعب الصيني تنتج في البيت، لذا لم يكونوا في حاجة لشراء البضائع المصنعة في أوروبا، وبسبب الضرائب وايجارات أراضيهم الباهضة لم يمتلكوا نُقوداً لشراء هذه البضائع، ونتيجة لذلك لجأ المستعمرون البريطانيون إلى اعتماد تجارة الأفيون مع الصين، وقاموا باحتكار زراعته في الهند علناً وبدأوا بتصديره سراً إلى الصين، فحققوا أرباحاً طائلة، وفي الوقت ذاته عمِلت على تحطيم نفسية أبناء الشعب الصيني عن طريق نشر تعاطي الأفيون بينهم، وقد وصلت أول سفينة بريطانية من سفن شركة الهند الشرقية البريطانية وهي محملة بالأفيون إلى سواحل الصين في عام1206هـ / 1792م، وفي مطلع القرن الثالث عشر الهجري- التاسع عشر الميلادي وصل ما تستورده الصين من الأفيون 2000 ألفي صندوق في السنة، وارتفع إلى حوالي 40.000 أربعين الف صندوق في عام 1253هـ / 1838م(ويبلغ وزن الصندوق الواحد 160 رطلاً)وبذلك استطاع البريطانيون إقامة مناطق نفوذ واسعة في بلاد الصين مستغلين اقبال الصينيين على تعاطي المخدرات بشكل واسع في محاولة منهم للترفيه عن أنفسهم ونسيان متاعب الحياة وقسوتها، مما أشعر الحكومة الصينية بالخطر الذي بات يُهدد الصين من جراء تجارة الأفيون، ونتيجة للأضرار الفادحة التي ألمت بالاقتصاد الصيني عمد الإمبراطور الصيني لين سي سي إلى إصدار قرار في عام1256هـ /1840م، يقضي بتحريم تجارة وتداول وتدخين الأفيون، أعقبه بقرار آخر يقضي بإغلاق مدارس ومعاهد ومؤسسات التبشير الدينية الأوروبية، وقامت السلطات الصينية بالاستيلاء على الأفيون الموجود في مخازن كانتون واحرقتها علناً، كما قامت بتنظيم حركات واسعة لمقاومة النفوذ البريطاني و وجوده العسكري في «كانتون» و«كانسي»[22].

حروب الأفيون1254هـ/1839م – 1276هـ/1860م:

استمدت هذه الحرب تسميتها من تجارة الأفيون التي فرضتها بريطانيا على الصين، وقد وصفها المؤرخ البريطاني توماس ارنولد حرب الأفيون بالشر المطلق واعتبرها خطيئة وقال عنها: «أنني لا اذكر انني قرأت في التاريخ كله عن حرب اشتملت على هذا القدر من الظلم والخسة مثلما اشتملت عليه هذه الحرب». اندلعت هذه الحرب مرتين بدأت حرب الأفيون الأولى عام (1254هـ /1839م 1258-هـ /1842م) بين الامبراطورية البريطانية والصين، وكان السبب الرئيسي لقيامها هو رفض الامبراطور الصيني لتدفق الكميات الكبيرة من الأفيون للصين،أما الثانية

فكانت بين فرنسا وبريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية المتحدة من جهة، ضد الصينيتين من جهة أخرى، ويعود السبب لرفض الصين تمديد الاتفاقيات الناتجة عن الحرب الأولى، ووقعت هذه الحرب بين سنتي1272هـ/ 1856م1276-هـ/1860م.

حرب الأفيون الأولى1254هـ / 1839م – 1258هـ /1842م:

ذكرت دائرة المعارف البريطانية: «أن حُروب الأفيون اندلعت إثر مُحاولات صينية للتصدي لتجارة الأفيون التي كان يُمارسها تُجار بريطانيون بشكل غير مشروع بين الهند والصين منذ القرن الثاني عشر الهجري-الثامن عشر الميلادي، وقد أدى انتشار الأفيون في الصين إلى الإدمان وظُهور مُشكلات اجتماعية واقتصادية خطيرة، فقررت الحكومة الصينية في عام1254هـ / 1839م، مصادرة وتدمير نحو 1400 طن من هذا المخدر [23].

احتلت بريطانيا في البداية مدينة كانتون لتكون ميناءاً لها تُصدر منه بضائعها للخارج برقابة من الحكومة الصينية، لكن الأمر لم يُعجب البريطانيين؛ لأن الرقابة قيدت من حُريتهم، لكنهم مارسوا الضغط الشديد على الصين من أجل فتح أسواقها أمام البضائع البريطانية، وخاصة القطن الذي ازدهرت صناعته في بريطانيا، وارغمت الصين على بيعه في أسواقها مما تسبب في غضب الشعب، وادى إلى خسائر فادحة في القطن الصيني، إضافة لمشكلة تصدير الأفيون الذي قامت الصين بمنعه في بلادها، لآثاره السلبية على الصينيون[24]، ولهذا السبب قامت حرب الأفيون الأولى[25].

كانت كانتون من أهم المراكز التجارية في الصين، والتي أصبحت تحت سيطرة البريطانيين، وقد أنشأت مصنع فيها، بدأت باستيراد الأفيون من الهند، ومن ثم بيعه السوق الصيني عن طريق ميناء كانتون، وقد تسبب الأفيون بأضرار كبيرة على الشعب الصيني مما حدا بالإمبراطور الصيني لمنعه وتحريمه، وقد أثار ذلك حفيظة البريطانيين، ورفضوا الانصياع لهذه القوانين حيث قام بعض البحارة البريطانيين بقتل أحد الصينيين، كما أنها امتنعت عن تسليم المطلوبين للحكومة الصينية[26]، اق رد الفعل الصيني عن طريق منع السفن من توريد الأغذية إلى هونج كونغ وماكاو اللتان كانتا تحت السيطرة البريطانية، وقد جرى اطلاق نار بين الطرفين، وكان النصر حليف البريطانيين في هذه الحرب، فقامت بتحويل جزء كبير من ساحل الصين إلى السلطة الغربية وفقاً ل معاهدة «نانكنغ[27] عام1258هـ / 1842م» التي أصبحت بموجبها هونج كونج مستعمرة بريطانية، ومن بنودها التي نصت عليها[28]:

- دفع قيمة الأفيون المصادر.
- معاملة الموظفين البريطانيين مُعاملة لائقة.
- تنازل الصين عن إحدى الجزر لتامين سلامة التجارة البريطانية.
- فتح خمس موانئ للتجارة مع الغرب بدلاً من ميناء واحد.
- تنازل الصين عن هونج كونج.
- تخفيف الضرائب على المنتجات البريطانية بنسبة 5%.

- أن تدفع الصين نفقات الحرب.
- حُصول التُجار البريطانيين على الحرية داخل أراضي الصين.
- فرض حصانة إجبارية على العاملين الأجانب داخل الصين تحميهم من المحاسبة القانونية.

فتحت هذه الاتفاقية باباً للدول الأخرى كفرنسا وامريكا رغبة في الحُصول على نفس الامتيازات التي حظت بها بريطانيا، لكن هذه الأحداث قادت إلى غضب شعبي ضد سياسة الحكومة الصينية التي اتسمت بالضعف أمام الدول العُظمى، فقامت ثورة شعبية تُعرف باسم «ثورة التايينج» في عام1272هـ / 1856م التي لم يُحالفها النجاح؛ بسبب اندلاع «حرب الأفيون الثانية».

إما نتائج هذه الحرب فيمكن أجمالها بما يلي[29]:

- كشفت هذه الحرب عن ضعف الجيش الصيني وخاصة البحرية في التصدي لأي قوة خارجية.
- فتحت معاهدة نانكنج الطريق أمام القوى الاستعمارية الأخرى لعقد معاهدات مشابهة وغير متكافئة مع الصين ومنها روسيا واليابان والولايات المتحدة الأمريكية.
- أذلت حرب الأفيون الصين لأنها انتهكت حرمة حقوق السيادة الوطنية للصين.
- سيطرة الأجانب على الاقتصاد الصيني وبشكل كامل.

حرب الأفيون الثانية1272هـ / 1856م1276-هـ / 1860م[30]:

في عام1270هـ / 1854م حاولت الدول الاستعمارية ومنها بريطانيا وفرنسا أضافة بنود جديدة على معاهدة نانكنج تتضمن حرية الدخول إلى جميع أجزاء الإمبراطورية الصينية وإباحة تجارة الأفيون، إلا أن الصين رفضت ذلك، ونتيجة لذلك شنت بريطانيا وفرنسا الحرب على الصين في عام1272هـ / 1856م، فقامت القوات البريطانية باحتلال كانتون،ونتيجة لعدم قدرة الصين على مقاومة الاحتلال وافقت الأخيرة على التفاوض،وجرت المفاوضات التمهيدية في بكين عام1274هـ / 1858م لكنها فشلت ،فتقدمت القوات البريطانية والفرنسية إلى بكين وهاجمت القصر الصيفي وأحرقته ،ونتيجة لذلك فقد رضخت الصين للقوى الاستعمارية وعقدت معاهدة مجحفة أخرى هي معاهدة تيانتسن (تيانجين) عام1274هـ / 1858م، ومن أبرز ما جاءت به[31]:

- حرية التسامح الديني مع المسيحيين.
- حرية تنقل المبشرين في المناطق كافة.
- عدم إطلاق الصينيين على الأجانب وصف «برابرة».
- أن تقوم الصين بدفع غرامة حربية مقدارها ثمانية ملايين تايل(32) لبريطانيا وفرنسا.
- اباحة قانونية لتجارتي الأفيون والخنازير (وهو اسم يُطلق على العمال الصينيين) (33).
- حرية الأجانب في التنقل والسفر والإقامة والتجارة.

- فتح موانئ جديدة للاستيطان تحت الإدارة الأجنبية مع حرية الملاحة في نهر اليانغ تسي.
- إعادة النظر في تجارة الأفيون.
- حق الدول الأجنبية في فتح سفارات لها في بكين، مع تعيين ممثلين دبلوماسيين مقيمين لها في الصين.

قامت بريطانيا والصين بعد معاهدة تيانتسين بغزو الصين ثانية؛ بحجة تلكأ الصين في التوقيع على هذه المعاهدة فأرسلت كل من بريطانيا وفرنسا حملة عسكرية مشتركة استولت بها على الحصون الصينية، وانتهت هذه الحملة بتوقيع الصين على سلسلة جديدة من الاتفاقيات عام1276هـ / 1860م عُرفت بـ (اتفاقيات بكين)[34] التي تضمنت ما يلي:

- منح السفراء الأجانب حق الاقامة في بكين.
- ضم جزيرة كولون الصينية الى القاعدة البريطانية في هونغ كونغ.
- فتح ميناء تيانتسين امام التجارة الأجنبية.
- اقرار شرعية الاتجار بالعمال الصينيين.

ومن خلال هذه المعاهدات غير المتكافئة تحولت الصين الى دولة شبه مستعمرة إذ أن اقتطاع اجزاء من الصين ومنحها الى الدول الغربية مهد الطريق للتوغل الاستعماري الغربي وبشكل كبير ،كما أن هذه المعاهدات أثرت بشكل عميق في علاقات الصين مع الغرب، ويمكن أن نعد أن الحرية التي منحت للمبشرين المسيحيين قد دمرت الارث الثقافي الصيني، فضلاً أن منح الأجانب حرية أكبر للتجارة كان يعني تدمير الاقتصاد الصيني فتردت الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية وهذا كله شكل بداية لانحلال حكم أسرة المانشو(1074هـ /1664م1329-هـ/1911م)، وضعفها وانهيارها، نشأ عن عقد تلك المعاهدات غير المتكافئة سخط من قبل الوطنيين الصينيين الذين اقدموا على شن ثورات ضد الحكومة الصينية كان من ابرزها ثورة التايبنج[35] .

الثورات الشعبية بعد حرب الأفيون:

1 -ثورة التايبنغ(1266هـ /1850م1280-هـ /1864م):

تزعّم هذه الثورة الفلاحية مدرس يدعى هونغ ضد حكومة المانشو، وأعلن نفسه ملكاً على مملكة التايبنغ اي (مملكة السلام السماوي العظيم)، وحدد أهدافها بما يأتي[36]:

1. القضاء على حكومة المانشو وإقامة حكومة برئاسته.
2. إعادة توزيع الثروة وتقسيم الاراضي.

ثم أعلن عن برنامجه من خلال تنظيم المملكة وإقامة مؤسساتها العامة، فتم تطبيق النظام العسكري فيها بشكل صارم، ومن الناحية الاقتصادية أصدرت المملكة برنامج الاصلاح الزراعي، الذي نص على المساواة في زراعة الاراضي والإفادة منها دون تملكها، ومن الناحية الاجتماعية، منحت المملكة للمرأة المساواة مع الرجل في النواحي جميعها السياسية والاقتصادية والاجتماعية، وفي المجال الديني شنت المملكة حملة معادية للكونفوشية من خلال تحطيم معابدها ومعابد

التاوية والبوذية، مقابل التشجيع على اعتناق المسيحية[37]. وبسبب قيام هذه المملكة، صارت للصين مملكتان، المانشو في الشمال وعاصمتها بكين، والتايبنغ في الجنوب وعاصمتها نانكنغ، الأمر الذي لم تقبله حكومة المانشو، فسعت الى القضاء عليها بمساعدة من الدول الغربية التي أمدتها بالأسلحة الحديثة، فتمكنوا من القضاء عليها واحتلال عاصمتهم نانكنغ عام1280هـ / 1864م، وبذلك انتهى حكم مملكة التايبنغ[38].

1 -حركة نيان في (حملة المشاعل) 1269هـ /1853م1284-هـ / 1868م:

قاد الحركة أعضاء جمعية (نيان في)، وهي منظمة فلاحية سرية كانت في الأصل فرع لجمعية (اللوتس الابيض)، شكل قاعدتها الفلاحون ومهربو الملح والجنود الذين سُرحوا، والعاملون في تربية الخيول، ولم يكن للحركة أيُ برنامج سياسي أو اجتماعي محدد، بل كان الأمر مُقتصر على توجيه الضربات للحكومة ورفع شعار (توزيع الارض والخيرات على الفقراء) و(الاخذ من الاغنياء وإطعام الفقراء)، وأقدموا على مهاجمة قوافل التجار الأثرياء[39]، استمرت حركة نيان فيدون توقف وأصبحت أكثر قوة بعد عام1242هـ / 1864م، عندما أنضم بقية ثوار التايبنغ الى الحركة التي انقسمت الى اتجاهين في الشمال الغربي، وفي الشمال الشرقي من الصين، تمكنت القوات الحكومية من القضاء على الحركة في الشمال الشرقي، وتعرض أعضاؤها الى سلسلة من الضربات التي أدت إلى تحطيم حركتهم عام1284هـ /1868م [40]

2 -ثورة (1329هـ / 1911م) وإعلان الجمهورية الصينية:

على الرغم من فشل الانتفاضات الثورية الشعبية في الصين التي قامت بزعامة سان يات سن[41]، إلا إن ذلك لم يمنع من استمرار الثورات، ففي عام1329هـ /1911م، قاد الثوار الصينيون ثورة وضعت نهاية للحكم الامبراطوري والإطاحة بأُسرة المانشو، وحصلت الثورة على تأييد شعبي واسع، ونظراً للانتصارات السريعة التي حققها الثوار، فضّل الكثير من الموظفين وأنصار الملكية الدستورية للانضمام الى حقوقها للإفادة من ثمار النصر[42].

انتشرت الثورة في انحاء الصين، واشتعلت بسرعة كبيرة كاشتعال النار في الهشيم، وأدت إلى تكوين حكومة للثوار، الأمر الذي دفع حكومة المانشو في بكين لاستدعاء يوان شي كاي[43] لقيادة القوات الامبراطورية، الذي تمكن بالوصول إلى حل وسط مع الثوار الذين اتخذوا من نانكنغ عاصمة لهم، فتنازلت أُسرة المانشو عن السلطة، وفي عام1329هـ /1911م، تأسست جمعية مؤقتة وتم انتخاب سان يات سنرئيسا مؤقتا للجمهورية التي أُعلنت في عام1330هـ / 1912م، أُعلن عن تنازل الامبراطور عن السلطة في ذات العام، أمَّا سان يات فبعد نحو خمسة وأربعين يوماً أضطر هو الآخر للتنازل عن رئاسة الجمهورية إلى يوان، الذي طالب بمنصب رئيس الجمهورية بحجة أنه قاد القوات العسكرية وأرغم الأُسرة الحاكمة بالتنازل عن حكم الصين، وأضطر سانالقبول على مضض[44]، وخلال عهد يوان انتقلت الصين من النظام الجمهوري إلى النظام الدكتاتوري العسكري بزعامة يوان الذي كان يميل الى الحكم المطلق[45]، لذلك قرر سان القيام بثورة عرفت بالثورة الثانية عام1331هـ /1913م، التي نالت تأييد الجيوش في جنوب الصين، ولكنها لم تُحرز النجاح؛

لضعف إمكانياتها العسكرية، والخلافات الداخلية بين أعضاء حزب سان، فضلاً عن إنَّ الصينيين قد سأموا القتال وسفك الدماء، وبعد أن انتصر يوان عسكريا أُجبر سان على الهرب إلى المنفى، وفي اليابان أسس تنظيماً سياسياً جديداً في عام1332هـ / 1914م كان أكثر ترابطاً وأحكم نظاماً، أسماه «الحزب الثوري الصيني»، للإعداد مرة أُخرى للإطاحة بيوان[46].

الآثار الناتجة عن الحرب الصينية البريطانية:

كان لا بُد من تأثر الصين بثقافة الشُعوب المحتلة لها، وهذا أمر طبيعي؛ نتيجة لمعايشتهم للعُنصر الأجنبي لفترة طويلة من الزمن، والسماح لهم بحُرية التنقل بين أرجاء البلاد دون قيود أو شروط، والسماح لهم بالإقامة بينهم، على عكس ما فعلته اليابان التي اتسمت بالعُزلة ولم تسمح للعُنصر الأجنبي بالدُخول إلا في أوقات مُخصصة، ومن أبرز تلك النتائج[47]:

1. انفتاح الصين على العالم بعدما كانت مُنعزلة.
2. انتشار الديانة المسيحية بين سُكان الصين بدلاً من مذهب الكونفوشية.
3. انتشار العلوم الغربية وتعليمها في الصين كالرياضيات والفلك، واستفادة الغرب من الكُتب الصينية خاصة ما يتعلق بالطب الصيني.
4. ارسال البعثات الدراسية خارج الصين، وكان من ضمن المبتعثين مؤسس النظام الجمهوري الصيني يان صن سات.
5. تأسيس جيش وطني نظامي، وتسليحه بأحدث الأسلحة وفرض التجنيد الإجباري.
6. اختيار الدستور الياباني كنموذج للدستور الصيني، وهو في الأصل مُقتبس من الدستور الألماني.

الاستعمار الفرنسي في الهند-الصينية:

الهند-الصينية:

تقع الهند الصينية[48] في جنوب الصين وشرق الهند، وتشتمل على دول (الفيتنام[49]،اللاوس[50]، كمبوديا[51]، تايلند)[52]، وقد خضعت كُلًا من فيتنام، واللاوس، وكمبوديا للسيطرة الاستعمارية الفرنسية والحماية عليها في عام 1301هـ/1883م، وهي من دول جنوب شرق آسيا، تبلغ مساحتها مجتمعة 748.094كم^2.

تدين شعوب المنطقة منذ عصور قديمة بالنظريات والمعتقدات المختلفة منها، البراهمية التي وصلت إليها من الهند، وعمت المنطقة عدا أنام (شمال فيتنام) والتي أثرت فيها نظرية كونفوشيون، التي وفدت من الصين، ثم وصلت إليها البوذية، وظهر فيها الإسلام، إضافة للنصرانية التي جاءت مع الاستعمار الفرنسي لها[53].

سياسات فرنسا الاستعمارية في الهند-الصينية:

لقد ابدى الفرنسيون اهتمامهم بتجارة الشرق منذ وقت مُبكر، فأنشأت شركة الهند الشرقية الفرنسية في عهد هنري الرابع، وقد سبق المبشرون الفرنسيون الكاثوليك التوسع الاستعماري الفرنسي في آسيا، حيثُ قامت فرنسا بإرسال الراهب الجزويتي اسكندر رودس لاستقصاء أحوال

البلاد الصينية في عام1018هـ /1610م [54]. وقد بدأ اتصال الفرنسيين بها منذ عهد لويس السادس عشر الذي أرسل بعثة تبشيرية إلى كوشينشين في جنوب الهند الصينية، حيث أعطى الإمبراطور لأسقفها حق السيطرة على خليج طوران، وبعض الجُزر الموجودة أمامه في مُقابل خدمة آداها له أثناء انتخابه على البلاد كملك، ولكن فرنسا لم تستفد من هذا التنازل إلا في عهد نابليون الثالث، الذي اشترك مع انجلترا في حملة عسكرية ضد الصين لإجبارها على منح امتيازات اقتصادية للرأسمالين الأوروبيين، وامتيازات دينية-ثقافية للمُبشرين المسيحيين المخربين[55].

حكمت فرنسا وحدة الهند-الصينية بواسطة حاكم عام عُين من قبل وزارة المستعمرات في باريس، وكان مقر هذا وعاصمة الوحدة مدينة هانوي، ومع العلم أن فرنسا أبقت على الأمراء المحليين في كامبوديا، وفي لاوس ليديروا بعض شؤون رعاياهم، إلا أن كلمة الحاكم في هانوي لا يُعلى عليها.

جزأت فرنسا أراضي الهند الصينية إلى خمسة أجزاء إدارية وصنفوها على النحو التالي:

1. «كوشن»(أي النصف الجنوبي من فيتنام)، وصنفوا هذه»مستعمرة» وتحكم رأساً من الحاكم العام.
2. «أنام» (وهي أواسط أراضي فيتنام)، وصنفوها محمية وحكمت حكماً غير مباشر، وقد أعطى الفرنسيون الاسم لتلك المنطقة بغية محو الهوية الفيتنامية، لذلك كان اسم «أنام» مرفوضاً تماماً عند الوطنيين.
3. «تُونج كِنج» (أي الأراضي الشمالية من فيتنام وحول مجرى النهر الأحمر»)، وصنفوها «محمية»، وتحكم حكماً غير مباشر.
4. كامبوديا «محمية» وتحكم حكماً غير مباشر.
5. لاوس «محمية» تحكم حكماً غير مباشر[56].

اتبعت فرنسا سياسات استعمارية عديدة حسب البلد المستعمر، ففرضت اللغة الفرنسية والثقافة الفرنسية وربط الاقتصاد بفرنسا، فلما خسرت مستعمراتها في بأمريكا بسبب مؤامرات الإنجليز اهتمت بأمر الاستعمار في آسيا، ونشطت فيها الدعوة للاستعمار وذلك للتعويض عن مستعمراتها بأمريكا والألزاس واللورين بأوروبا، وفتح أسواق جديدة للصناعة الفرنسية، وكان وراء هذه الدعوة ساسة ومفكرون أمثال جول فيري، وكليمانصو ودوبليكس، وقد اتبعت عدة أساليب وأشكال في استعمارها الجديد، فاستغلت الهند الصينية كمنطقة للإثراء التجاري، والنشاط الزراعي الواسع[57].

الحرب الهند-الصينية-الفرنسية:

أدت السياسة الاستعمارية الفرنسية في الهند-الصينية إلى ظهور حركات مقاومة سياسية خاصة في الفترة التي أعقبت الحرب العالمية الأولى بدعم من حزب الكومنتانغ الصيني، ومن الثورة البلشفية عام1335هـ/1917م، ومن أهم الحركات السياسية التي ظهرت في هذه الفترة:

جمعية الشباب الثوري عام1344هـ/1925م، الحزب الشيوعي الهندي-الصيني عام1348هـ/1930م، الحزب الثوري الفيتنامي1348هـ/1930م الذي أسسه زعيم الحركة الوطنية هوشي منه[58].

أثـرت الازمـة الاقتصاديـة العالميـة عـام1347هـ/1929م- 1351هـ/1933م، عـلى الاقتصـاد الفيتنامـي حيـث تحولـت احتفـالات عيـد العـمال عـام1348هـ/1930م، إلى موجـة مـن الاضطرابـات سرعـان مـا تحولـت إلى ثـورة مسـلحة عُرفـت بثـورة «يـن بي» شـارك فيهـا كلا الحزبـين الشـيوعي الهنـدي، والثـوري الفيتنامـي، فضـلاً عـن العـمال والفلاحـين، مـما دفـع بالسـلطات الفرنسـية إلى شـن حملـة كبـيرة مـن الاعتقـالات، وابـرز الذيـن أُعتقلـوا هـوشي منـه الـذي مـا لبـث أن فـر وأسـس في الغابـات نـواة جيـش غـير نظامـي لمحاربـة فرنسـا ، وقـد تـرأس الحـزب الشـيوعي أثنـاء غيـاب هـوشي منـه رجـل يُدعـى «فـو جيـاب» برهـن مـع الزمـن أنـه داهيـة عسـكرية، وخصوصـاً في فنـون حـرب العصابـات التـي بواسـطتها حـرر بـلاده مـن فرنسـا ومـن بعـده أمريـكا.[59].

عانـت فيتنـام خـلال الحـرب العالميـة الثانيـة مـن الاحتـلال الفرنـسي والياباني، حيـث احتلـت اليابـان مسـتعمرات فرنسـا في جنـوب شرقـي آسـيا عـام 1358هـ/1940م، وعـلى أثـر دخـول القـوات اليابانيـة فيتنـام، شـكل الفيتناميينحركـة مقاومـة وطنيـة ضدهـم عـام1359هـ/1941م، سُـميت ب «فِيـت مِنـه» تزعمهـا هـوشي منـه، وابلـت حركـة فِيـت مِنـه بـلاءً حسـن في مقاومـة الاسـتعمار اليابـاني حتـى أصبحـت معظـم أراضي البـلاد الداخليـة في ايـدي قـوات فِيـت مِنـه سـنة 1363هـ/1944م، وفي الوقـت ذاتـه تعاظمـت حـركات المقاومـة ضـد اليابانيـين في كل البـلاد الآسـيوية التـي احتلوهـا؛ نتيجـة لصرامـة حكمهـم، وفي خضـم تلـك الأحـداث توصلـت الحركـة الوطنيـة الفيتناميـة إلى قناعـة بـأن الصـدام سـيقع بـين اليابانيـين والفرنسـيين، وبالفعـل تمكـن اليابانيـون مـن طـرد الفرنسـيين مـن الهند-الصينيـة، إلا أن ذلـك لم يسـتمر طويـلاً لهزيمـة اليابـان أمـام الحلفـاء، وعندمـا رأت اليابـان خسـارتها لا محالـة أعلنـت عـن اسـتقلال فيتنـام وكمبوديـا ولاوس في عـام 1364هـ/1945م، ونصبـت بـاوداي[60] امبراطـوراً عـلى فيتنـام، وقـد اسـتغل الفيتناميـين هـذه الفرصـة لانتـزاع السـلطة مـن اليابانيـين قبـل وصـول الجيـوش الحليفـة، والحصـول عـلى الاسـتقلال الوطنـي، وبعـد خـروج اليابانيـين وهزيمتهـم في الحـرب العالميـة الثانيـة أعلـن هـو شي منـه في ذات العـالم اسـتقلال فيتنـام الشـمالية، وتكويـن جمهوريـة فيتنـام الديموقراطيـة، واعلـن نفسـه رئيسـاً عليهـا، وقـد قـام هـوشي منـه، وحكومـة فيتنـام الديموقراطيـة بتطبيـق عـدد مـن الإجـراءات الثوريـة هـي:

1. إسقاط حكم الامبريالية الفرنسية والبرجوازية الرجعية.
2. تحقيق الاستقلال.
3. توزيع الأراضي على الفلاحين وتطبيق شعار (الأرض لمن يزرعها).
4. تطبيق يوم الثماني ساعات عمل.
5. تشكيل حكومة تضم العمال والفلاحين[61].

الثورة الفيتنامية 1365هـ/1946م1373-هـ/1954م:

بعـد الحـرب العالميـة الثانيـة أصرت فرنسـا عـلى اسـتعادة مسـتعمراتها في الهند-الصينيـة، فتخـلى لهـا البريطانيـون عـن الجنـوب، وفـرض الصينيـون مقابـل تخليهـم عـن «تونكـين» و«الـلاوس» أن تتنـازل فرنسـا عـن امتيازاتهـا في الصـين، وبعـد هـذا يجـب عـلى فرنسـا أن تتفـق أيضـاً مـع هـوشي

منه الذي أعلن استقلال فيتنام، ووفقاً لهذا دخلت فرنسا في مفاوضات مع هوشي منه في عام 1365هـ/1946مـن في قصر «فونتان بلو» وامتدت هذه المفاوضات لوقت طويل دون ان تنتهي إلى شيء؛ بسبب اختلاف وجهات النظر بين الطرفين وخاصة حول أربع نقاط أساسية هي:

1. أرادت فرنسا إقامة اتحاد فيدرالي يجمع دول الهند-الصينية (فيتنام، لاووس، وكمبوديا) ويكون على رأسه حاكم فرنسي، بينما كان هوشي منه يطالب باستقلال تام للفيتنام ضمن الاتحاد، ورفض المقترحات الفرنسية.
2. اشتراط فرنسا أن تحصل وحدها على امتيازات ثقافية واقتصادية مقابل اعترافها للفيتنام بحق تمثيل خارجي.
3. إصرار هوشي منه على قيام حكومة من الفيت منه مكان الحكومة التي عينتها فرنسا في كوشينشن قبل الاستفتاء المتفق عليه والخاص بتقرير مصير»كوشينشين».
4. الاختلاف حول كيفية تمثيل دول الهند-الصينية في المجلس الفيدرالي، فهوشي منه يريد مراعاة النسبة العددية بين دول الاتحاد، في حين كانت فرنسا تصر على أن يكون لممثلها الدور الأول.

وبعد فشل هذه المفاوضات، لجأ الطرفان إلى استعمال القوة، فقد تصدت قوات الفِيت مِنه للجاليات الفرنسية في هانوي، ورد الفرنسيون على ذلك بوحشية أجبرت هوشي منه على الاعتصام بالجبال، وتنظيم القوات المسلحة، كما تلقى المساعدات المالية والعسكرية من الاتحاد السوفييتي، والصين الشعبية بعد اعترافهما بحكومة هوشي منه، كما قدمت الولايات المتحدة الأمريكية، والدول الغربية الحليفة لها المساعدات المختلفة لفرنسا بالإضافة لاعترافهم بحكومة «باو داي» الذي اعترفت له فرنسا من قبل بالحكم في جنوب الفيتنام وأصبح مُتعاوناً وحليفاً لها[62].

معركة ديان بيان فو[63]:

في ظل خطة نافار القاضية بضرب الوحدات الفيتنامية الرئيسية، ومنع هذه الوحدات من القيام بمبادرات هجومية وإبقائها مشتتة ومرتبكة تحت الضربات الفرنسية، قررت القيادة الفرنسية إبقاء الجبهة الشمالية الغربية محترفة حتى لا تمكن الفرق الفيتنامية من اتخاذها قاعدة انطلاق آمنة للسيطرة العليا وتهديد المواقع الفرنسية جنوباً[64].

جعل القائد نافار حرب الفيتنام متحركة حتى يطارد قوات الفِيت مِنه ويضيق الخناق عليها في إقليم التونكين من خلال إقامة قاعدة عسكرية في منطقة ديان بيان فو المعزولة داخل التونكين على مسافة 300كم غرب هانوي، لكن قائد الفِيت مِنه الجنرال جياب[65] أكد على أن احتلال ديان بيان فو لم يكن ضمن خطة نافار، لكن الأخير عندما وصلته معلومات عن تحرك القوات الفيتنامية الشمالية إلى المناطق الشمالية الغربية، قرر ملاقاتها بحشد 35 ألف مقاتلويطوق ديان بيان فون، وهم مزودون بأحدث الأجهزة والمدافع الثقيلة [66].

انتهت الحرب التي دامت 55يوماً بين الطرفين بهزيمة فرنسا، واضطرت للانسحاب بعد أن خسرت أكثر من 16000 رجل بين قتيل وجريح وأسير[67].

مؤتمر جينيف 1373هـ/1954م:

بعد هزيمة فرنسا في الهند-الصينية والمشاكل التي خلفتها ورائها، وتدخل الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي في القضية، تقرر عقد مؤتمر جنيف في عام 1373هـ/1954م، قُبيل انهزام فرنسا في معركة ديان بيان فو، حيث اجتمع فيه مندوبون عن فرنسا وبريطانيا والولايات المتحدة، والاتحاد السوفياتي والصين الشعبية ولاوس وكامبوديا، والجزئين الشمالي والجنوبي من فيتنام، وجاءت أخبار معركة ديان بيان فو والمؤتمر منعقد في جنيف مما أضعف موقف فرنسا ومن آزرها هناك كالولايات المتحدة وبريطانيا.

كان مضمون اتفاقية جنيف كالآتي:

1. عقد الهدنة بين الفيت منه وفرنسا.
2. تقسيم فيتنام مؤقتاً إلى شمال وجنوب يفصل بينهما خط عرض °17، القسم الشمالي يستقل بزعامة هوشي منه وجعل عاصمتها هانوي، ويبقى الجزء الجنوبي تحت سيطرة القوات الفرنسية لمدة عامين برئاسة باو داي، وجعلت سايغون عاصمتها.
3. تم توحيد البلاد بعد إجراء انتخابات عامة خلال عامين تحت إشراف دولي.
4. جعل منطقة الهند-الصينية منطقة حيادية، أي امتناع الطرفين عن الحصول على أسلحة من الخارج أو السماح بإقامة قواعد عسكرية أجنبية في الفيتنام.
5. الاعتراف باستقلال لاوس وكمبوديا، ووقف إطلاق النار.
6. انسحاب الجيش الفرنسي المهزوم

وقد أيد المعسكر الشرقيوعلى رأسه الاتحاد السوفياتي هذه القرارات، واعتبرها نصراً له؛ لأنها تخدم مصالحة ومبادئه، ولم توقع الولايات المتحدة على هذه الاتفاقية؛ لأنها تقف أمام أطماعها في المنطقة الرامية إلى ملأ الفراغ الذي تركته فرنسا والوقوف في وجه الشيوعية [68].

الصين بعد الحرب العالمية الأولى والثانية 1332هـ / 1914م- 1368هـ /1949م:

كان الوضع السياسي في الصين سيء جداً فقد تكالبت عليها الدول الأوروبية المستعمرة، وازداد الوضع سُوءً عندما خسرت من جارتها اليابان عام1275هـ / 1859م، ووقعت معها مُعاهدة شيمونوسيكي، وفي عام 1317هـ /1900م نشأت حركة تُدعى «البوكسرز أو الملاكمين»[69] وهي حركة تهدف لإخراج الغزاة من الصين، وقتل عدد من الأجانب منهم الألمان، بالإضافة للمسيحيين الصينيين، وقد استدعى ذلك تدخل الدول الغربية في الصين بحجة إنقاذ رعاياها، والقضاء على تمرد هذه الحركة، خاصة ألمانيا التي فرضت عقوبات وغرامات عليها جراء هذا الفعل، ولم يكن هناك أيُ مقاومة تذكر من قبل الامبراطورية الصينية، ومع استمرار فشل محاولات الإصلاح في الصين ظهر شخص يُدعى ب»سان يات سن» الذي كان صاحب تفكير مُغاير عن البقية؛ لأنه تلقى تعليمه في الخارج وكان من مُعتنقي الديانة المسيحية، وعند عودته للبلاد رأى ما آلت إليه بلاده من جهل، وتفكك، وتسلط الدول الغربية، وجارتهم اليابان، وسخط الشعب الشديد تجاه الإمبراطور، قام سان يات سنبقيادة ثورةتمكنت من انهاء حُكم آخر الأسر الصينية «تشينغ» التي

لم تبذل أي جهود لإيقاف التمدد الاستعماري في الصين[70] وتمكن سان من إنشاء هيئة أطلق عليها اسم «هيئة التحالف المشترك» وكان من أبرز أهداف تلك الهيئة طرد المانشو، وإقامة جمهورية صينية، وإعادة توزيع الأراضي، وقد حدد سان مبادئ الثورة في الشعارات الثلاثة وهي: القومية، الديموقراطية، الاشتراكية[71]، وفي تلك الأثناء حاولت امبراطورية المانشو تدارك الوضع، وإجراء إصلاحات لكن الأوان كان قد فات لإجراء تلك الإصلاحات؛ بسبب الثورة التي قامت من قبل الصينيين بإدارة من سان يات من الولايات المتحدة، حيث اتخذ الثُّوار من نانكنج عاصمة لهم، وفي شهر أكتوبر من عام 1329هـ/1911م جاء سان لدعم الثُّوار وتوحيد كيان الحركة، وقد نجحت الثورة في اجبار الإمبراطور الصيني الطفل بالتنحي عن العرش، وإعلان تأسيس الجمهورية الصينية في عام 1329هـ /1911م، برئاسة سان يان سان. وبالنسبة للوضع السياسي في الصين في الحرب العالمية الأولى فقد انضمت الصين إلى عُصبة الأُمم المتحدة، وفي تلك الأثناء بدأ الصراع الصيني الياباني حول أملاك المانيا، وبعد هزيمتها في الحرب العالمية الأولى خاصة إقليم شانتونج الذي يُمثل أهمية دينية لكليهما، كما تخلصت الصين بالوقت ذاته من العقوبات، والغرامات التي فرضتها ألمانيا عليها بعد مقتل اثنين من مُواطِنيها في حركة الملاكِمين[72] وفي عام 1340هـ /1922م، تم حدوث اتصال مع روسيا الشيوعية التي اعترفت بحكومة سان، وسعت لضمها إلى معسكر الشيوعية لكنها لم تنجح في ذلك، ونتيجة لذلك تأثر سُكان الصين بالفكر الشيوعي[73].

قبُيل بدأ الحرب العالمية الثانية بتسع سنوات تحديداً في عام 1349هـ /1931م، هاجمت اليابان منطقة منشوريا الصينية، واتخذت من انفجار سكة الحديد التابعة لليابان حُجة لتحقيق أهدافها في السيطرة الكاملة على منطقة منشوريا؛ ويعود ذلك لإنشاء الصين سكة حديد في المنطقة تُنافس سكة حديد اليابان، بالإضافة لإلغاء القيود الأوروبية، الأمريكية عن الصين، وأصبحت تتحكم بقراراتها، وهذا الامر الذي جعل اليابان تتخوف منها، ومن مُنافستها في الاقتصاد، وحصلت ثورة اقتصادية في اليابان، حيث امتدت السيطرة اليابانية على مُعظم الأراضي الصينية، وهدفها من كُل ذلك تنفيذ مشروعها بإقامة إمبراطورية في شرق آسيا وهو ما يُسميه اليابانيون «بالنظام الجديد»[74].

الخاتمة:

مرت الصين بصراعات عديدة مع الدول المستعمرة وتعرضنا من خلال هذا البحث للاستعمار البريطاني والفرنسي، والنتائج التي ترتبت على هذا الاستعمار من استغلال لخيرات الصين وتدمير شعبها بتجارة الافيون الشائنة التي أعقبها حُروب الأفيون، تلاها العديد من الثورات الشعبية منها، ثورة التايبنغ، وكان لهذه الحرب نتائج عديدة أبرزها، انفتاح الصين على العالم، ولم تكن الصين عُرضة للأطماع البريطانية فقط بل حتى فرنسا سعت لفرض سيادتها على الهند الصينية، واتبعت العديد من سياستها الاستعمارية من أهمها، فرض الثقافة الفرنسية على شُعوب الهند الصينية، مما حدا إلى ظهور حركات تمرد ومقاومة سياسية أبرزها، جمعية الشباب الثوري، وبعد الحرب العالمية الثانية دخلت فرنسا والفيتنام في مفاوضات لم تُسفر عن حل مُرضي بل

تفاقم الوضع حتى لجأ الطرفين للقوة فقامت معركة ديان بيان فو التي أعقبها انتصار الفيتنام على الفرنسيين، وبعد هذه الهزيمة تقرر عقد مؤتمر جنيف في عام 1373هـ/1954م، كان من أبرز بنودها، تقسيم الفيتنام إلى شمال وجنوب، والاعتراف باستقلال لاوس وكمبوديا مع وقف اطلاق النار، وقد كان الوضع السياسي في الصين بعد الحرب العالمية الأولى والثانية سيء للغاية، لذا نشأت حركة الملاكمين لإخراج الغزاة من الصين،وعلى الرغم من الضغوط والقيود التي فُرضت على الصين، إلا أنها لم ترضخ بل حاربت بشتى الطرق والوسائل حتى حصلت على استقلالها.

النتائج:

خلص البحث بعدد من النتائج أبرزها:

1. أن تاريخ الصين كان له أهمية كبيرة وذلك لما قدمته خلال مسيرتها الطويلة والشاقة من تجربة غنية، فهي على الرغم من الاستعمار الذي طالها، والأعداء الذين تربصوا بها، وعاثوا فيها فساداً، إلا أنها دافعت عن نفسها بضراوة، وتمكنت بعد أن خاضت العديد من الحروب من الحُصول على استقلالها وحُريتها.
2. تحول الصين لجمهورية بقيادة زعيم الثوار سان يات سن بسياسة حكيمة وتمكنه من النجاح في طرد من يسوء بوضع البلاد.
3. هزيمة فرنسا في معركة ديان بيان فو بقيادة الجنرال جياب، واضطرارها للانسحاب.
4. انعقاد مؤتمر جنيف لحل مشكلة الهند-الصينية في عام 1373هـ/1954م، وانتهاءه باتفاقيات جنيف.

التوصيات:

1. ينبغي علينا دراسة تاريخ الصين، والاستفادة من تجاربها التي مرت بها، وحري بنا المحافظة على تراثنا وعاداتنا وحضارتنا مثلها، فهي مازالت مُتمسكة بها على الرغم من مُرور العديد من السنوات وبذات الطابع، وأنها لم ترضخ للعدوان الأوروبي.
2. الاستفادة من تجربة زعيم الصين صن يان صن بعد الثورة، وكيف استطاع انتشالها من الدمار الذي حل بها على الرغم من الامكانيات والموارد القليلة.

الملاحق:

ملحق رقم (1)

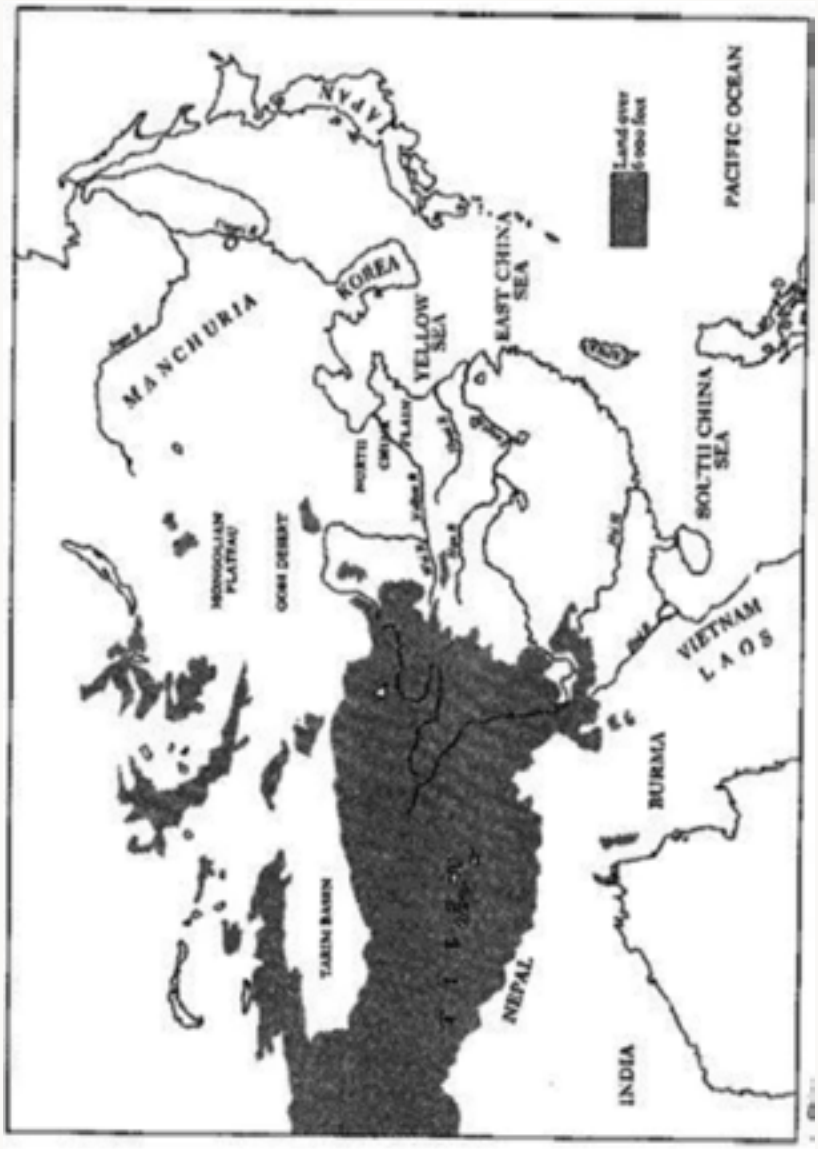

خريطة الصين

ملحق رقم (2)

ملحق رقم (3)

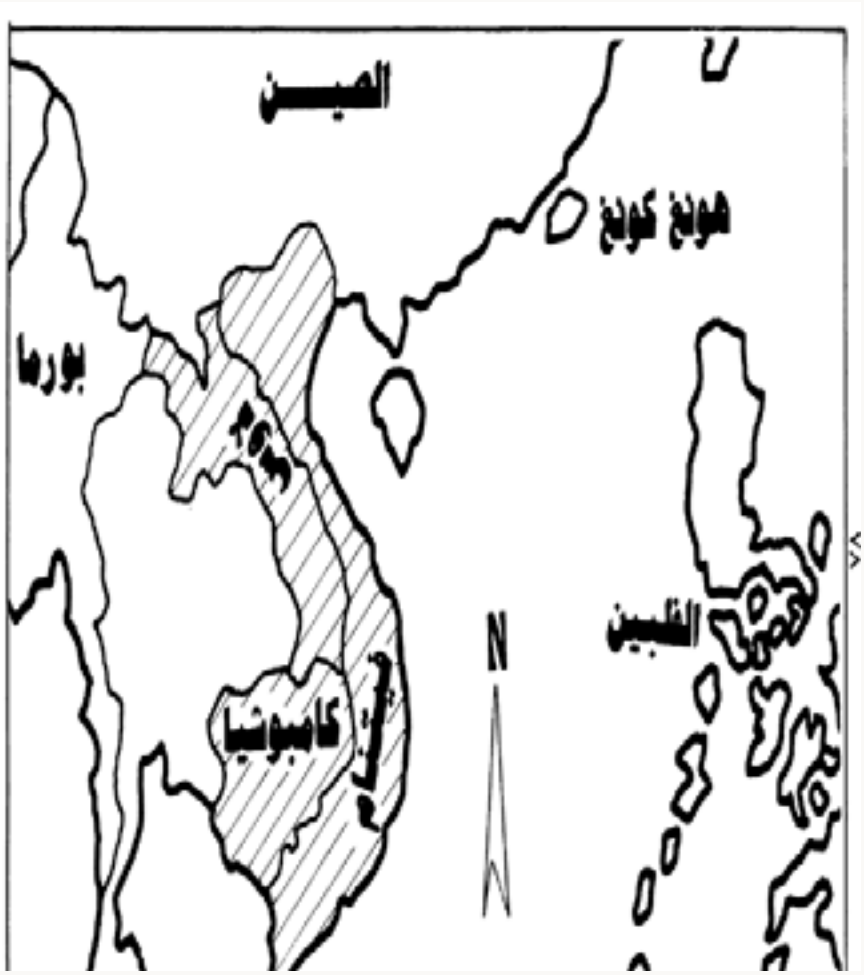

الهوامش:

(1) هيلدا خام، تاريخ الصين منذ ما قبل التاريخ حتى القرن العشرين، ترجمة أشرف كيلاني، د.ط (القاهرة: المشروع القومي للترجمة، 3241هـ/3002م)،ص7. وانظر أيضاً: عبد الرحمن العربي: محاضرات في تاريخ شرق آسيا الحديث، د.ط (جدة: مركز النشر العلمي بجامعة الملك عبد العزيز، 3341هـ/2102م)، 92-83.

(2) سورة هود آية 16.

(3) انظر: إبراهيم أنيس وآخرون، المعجم الوسيط، ج2، ط4 (القاهرة: مكتبة الشروق الدولية، 5241هـ/4002م)، ص726. وكذا عبد الرحمن حبنكة الميداني، اجنحة المكر الثلاثة وخوافيها، ط1(دمشق: دار القاسم،0241هـ/0002م، ص45. وانظر أيضاً مصطفى الشهابي، محاضرات في الاستعمار، ص32.

(4) جمال حمدان، استراتيجية الاستعمار والتحرير، د.ط (بيروت: دار الشروق، 3041هـ/3891م، ص31-02.

(5) جمال حمدان، مرجع سابق ،ص31-02.

(6) انظر ملحق رقم (1).

(7) نادية كاظم العبودي، تطور الأوضاع السياسية الداخلية في الصين، د.ط(بغداد: المكتبة المركزية، 7241هـ/6002م،ص2.

(8) نهر اليانغتسي: أطول انهار الصين وثالث الأنهار الكبيرة في العالم إذ يبلغ طوله 0036 كيلومتر، ويعد شريان رئيسي للمواصلات النهرية، يربط بين شرق البلاد وغربها، ويسمى المجرى المائي الذهبي. راجع: خلف حسين علي الدليمي، الأنهار دراسة جيوهيدرومورفومترية تطبيقية، ط1 (الأردن: دار صفاء للنشر والتوزيع، 8341ه/7102م)، ص52.

(9) النهر الأصفر:يحتل المرتبة السادسة لأطول الأنهار في العالم، والثانية بالنسبة للصين، يبلغ طوله حوالي 4645كم، ويُسمى بالنهر الأصفر لتحول لون مياهه إلى اللون الأصفر وقت الفيضان؛ لكثرة الرواسب التي تجلبها من حوضه. راجع: الدليمي، مرجع سابق، ص72-82.

(10) محمد علي القوزي، حسان حلاق، تاريخ الشرق الأقصى الحديث والمعاصر، ط1 (لبنان: دار النهضة العربية، 2241هـ/1002م، ص97-08.

(11) القوزي، المرجع السابق، ص38-48.

(12) الكونفوشوسية: ديانة أهل الصينمؤسسها الفيلسوف كونفوشيوس الذي ظهر في القرن السادس قبل الميلاد، ولد كونفوشيوس عام 155 قبل الميلاد في مدينة لو التابعة لولاية شانتونغ، وتعني كونفوشيوس المعلم، وتدور هذه الديانة حول الإنسان وعلاقته بمجتمعه إذ أكدت على القيم الإنسانية كالأخلاق، والعلاقات بين الزوج والزوجة، وبين الأب وأبناءه، وبين الحاكم والرعية، وقد أثرت هذه الفلسفة كثيراً على الصينيون وتُعد الديانة الرسمية للبلاد. انظر: كامل سعفان، معتقدات آسيوية (العراق-فارس-الهند-الصين-اليابان)، ط1 (مصر: دار ندى، 9141ه/9991م)، ص762-572.

(13) البوذية: تنسب لرجل أصله من الهندوس، لُقب ببوذا، يشتبهون مع الهندوس في القول بالكارما وتناسخ الأرواح، ويسعون للقضاء على الرغبات والتوقف عن الخير والشر تخلصاً من الكارما ومن تكرار المولد، ويرون أن التسول من أبرز أمارات البوذيين. انظر: عبد القادر بن شيبة الحمد، الأديان والفرق والمذاهب المعاصرة، ط5 (المدينة المنورة: مكتبة دار الزمان للنشر والتوزيع، 2341هـ/1102م)، ص17-47.

(14) الطاوية»التاوية»: مُعتقد صيني برز في عهد الإمبراطور الصيني شون وي (521-441م)، ومؤسسها الفيلسوف الصيني لاو تزو الذي عاش في القرن السادس قبل الميلاد، وتهتم الطاوية بالغيبيات والتصوف، وركزت على الطبيعة والتأمل، وجعلت البساطة أساس الحياة، ولا تزال مبادئ الطاوية موجودة في الصين إلى يومنا هذا ولديها الكثير من الأتباع. انظر: سعفان، مرجع سابق، ص882-792.

(15) القوزي، المرجع السابق، ص08-99.

(16) هيلدا هوخام، تاريخ الصين منذ ما قبل التاريخ حتى القرن العشرين، ترجمة أشرف محمد كيلاني، ط1 (القاهرة: المشروع القومي للترجمة، 3241هـ/3002م)، ص772.

(17) وتعني السُجود بين يدي الامبراطور لدى المثول أمامه. انظر: فوزي درويش، الشرق الأقصى الصين واليابان، ط3 (الإسكندرية: مكتبة الإسكندرية، 7141هـ/7991م)، ص16.

(18) درويش، مرجع سابق، ص64.

(19) عفاف مسعد العبد، دراسات في تاريخ الشرق الأقصى، د.ط (الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية، د.ت)، ص24.

(20) وللمزيد من المعلومات انظر: نصير أحمد نور أحمد، شركة الهند الشرقية الإنجليزية منذ تأسيسها حتى سقوط دولة المغول الإسلامية في الهند، رسالة دكتوراة، 1141هـ/1991م، ص82-05.

(21) مسعد، المرجع السابق، ص24.

(22) جهاد صالح العمر، ماجد سلمان حسين، حركات التحرر في العالم الثالث، د.ط (البصرة: د.ن، 8041هـ/8891م ، ص1. وانظر أيضاً: تاريخ العالم الثالث الحديث، مذكرة منشورة بدون مؤلف، ص4-5. وكذا إلهام محمود كاظم، الاستعمار البريطاني للصين في القرن التاسع عشر، دراسة منشورة بمجلة آداب الكوفة، العدد4،د.ت، ص1-6.

(23) أنظر موقع عربيBBC: 51478394-dlrow/cibara/moc.cbb.www//:sptth

(24) راجع ملحق رقم 2.

(25) درويش، الشرق الأقصى، ص84. وانظر أيضاً: العرابي، محاضرات في تاريخ شرق آسيا الحديث والمعاصر، ص82.

(26) درويش، الشرق الأقصى، ص94.

(27) حرب الأفيون سلسلة كتب تاريخ الصين الحديث، ط1 (بكين: دار النشر باللغات الأجنبية، 9931هـ/9791م)، ص08-98.

(28) مـارك لام، جـون غراهـام، الصـين الآن، ترجمـة نـور الدائـم عبـد اللـه، د.ط(الريـاض: مكتبـة العبيـكان، 1341هـ/0102م)، ص94. أنظـر أيضاً:درويـش، مرجـع سـابق، ص25-35.

(29) جهـاد صالـح حسـين العمـر، ماجـد سـلمان، حـركات التحـرر في العـالم الثالـث، د.ط (البـصرة: د.ن، 8041هـ /8891م)، ص2.

(30) تُعرف كذلك بحرب الأور»الأسهم» أنظر: درويش، الشرق الأقصى، ص75.

(31) العمر، المصدر السابق، ص3.

(32) التايل: هو وحدة قياس صينية تُعادل 13غراماً. انظر: حرب الأفيون، مرجع سابق، ص4.

(33) انظر: كاظم، الاستعمار البريطاني للصين، ص01.

(34) درويش، الصين واليابان، ص85.

(35) العمر، حركات التحرر في العالم الثالث، ص 04-07.

(36) القوزي، المصدر السابق، ص98.

(37) نـوري عبـد الحميـد واخـرون، تاريـخ اسـيا الحديـث والمعـاصر، ط1(بغـداد: د.ن، 3241هـ/3002م)، ص 81-91.

(38) نادية كاظـم محمـد العبـودي، تطـور الاوضـاع السياسـية الداخليـة في الصـين: 0581- 1191م، رسـالة دكتـوراة، كليـة التربيـة، ابن رشـد، جامعـة بغـداد، 7241هـ/6002، ص57- 87.

(39) نـوري عبـد الحميد العاني، تاريـخ الصين الحديـث6151-1191م، ط1 (بغـداد: د.ن، 3241هـ/3002م)، ص001-101.

(40) ميـلاد المقرحـي، تاريـخ آسـيا الحديـث والمعـاصر شرق آسـيا، الصـين، اليابـان، كوريـا، ط1 (بنغـازي: منشـورات جامعـة فارينـوس، 7141هـ/ 7991م)، ص05. انظـر أيضـاً: كاظـم، المصـدر السـابق، ص59.

(41) ذكـره درويـش بصـن يـات صـن: ولـد في مدينـة انتـون، وتعلـم في إحـدى مـدارس الإرسـاليات، ثـم التحـق بمدرسـة الطـب، وتلقـى دراسـات واسـعة في العلـوم الاجتماعيـة، والسياسـية، والعسـكرية، قـام بعمـل حركـة وطنيـة لمعارضـة حكومـة المانشـو، ثـم اتجـه في تفكـيره السـياسي اتجاهـاً يسـارياً، وأصبـح جمهـوري الاتجـاه يعتنـق الفكـر الاشـتراكي. أنظر:درويـش، الـشرق الأقـصى، ص821.

(42) عبد الحميد، تاريخ اسيا، ص82.

(43) يـوان شـيه كاي: جـنرال وسـياسي صينـي، ولـد عـام 5721هـ / 9581م وشـارك في الحـرب الصينيـة – اليابانيـة 1131هـ/ 4981م- 2131هـ/5981م) كـما اشرف عـلى بنـاء الجيـش الصينـي الـذي أخـذ يديـن لـه بالـولاء، اسـتمت شـخصيته بالتقلـب والخيانـة، أُسـتدعي عنـد انـدلاع ثـورة 9231هـ/ 1191م وقـد هـادن الثـورة، وأصبـح رئيسـاً للجمهوريـة بعـد تخـلي صـن يـات عنهـا، وقـد نصـب نفسـه إمبراطـوراً فيـما بعـد، تـوفي عـام 4331هـ/ 6191م. انظـر: مسـعد، مرجـع سـابق، ص97.

(44) المقرحي، المصدر السابق، ص97.

(45) المقرحي، المصدر نفسه، ص28.

(46) إبتشـاين، مولـد الصـين الشـعبية مـن حـروب الأفيـون إلى التحريـر، ترجمـة حسـين تمـام، د.ط (القاهـرة: الـدار المصريـة، 6731هـ/ 7591م)، ص77- 87.

(47) خام، تاريخ الصين منذ ما قبل التاريخ، ص603-613.

(48) تُعرف سابقاً بالهند الخارجية بسبب وقوعها ما وراء نهر الغانج، ولم يمنح لها الجغرافيون الأوربيون أي اسم يميزها؛ لجهل مناطقها الداخلية، ثم أطلق عليها الجغرافي كونراد مالت برون (8811هـ/5771م-1421م) مصطلح الهند الصينية عام 8121هـ/4081م. انظر:عبد الناصر عمر، محاضرات في مقياس الاستعمار وحركات التحرر في افريقيا وآسيا في القرنين التاسع عشر والعشرين، د.ط (الجزائر: جامعة 8ماي 5491 قالمة، 1441هـ/9102م)، ص95.

(49) تقع على الشاطئ الغربي لبحر الصين الجنوبية في الجزء الشرقي الهند الصينية، يحده شمالا الصين وجنوبا بحر الصين وغربا لاوس وكمبوديا. راجع: شريف سهام، حركات التحرر في افريقيا وآسيا الهند الصينية وتونس أنموذجان، رسالة ماجستير منشورة في جامعة محمد بو ضياف، الجزائر، (6341-7341هـ/5102-6102م)، ص14.

(50) تحدها الصين وبورما شمالا، وتايلند غربا، وكمبوديا جنوبا، وفيتنام شرقا، وهي دولة مغلقة ليس لها سواحل، وإنما لها موانئ نهرية على نهر الميكونغ العظيم. سهام، مرجع سابق، ص24.

(51) تحدها الفيتنام جنوبا وشرقا لاوس وتايلند من جهة الشمال والغرب. سهام، مرجع سابق، ص24.

(52) كانت تسمى «سيام» تبلغ مساحتها حوالي 000.891 ميل مربع، أي أكبر بمرتين من مساحة بريطانيا، ويبلغ عدد سكانها أكثر من خمسين مليون نسمة. انظر: فايز صالح أبو جابر، الاستعمار في جنوب شرقي آسيا، ط1 (الأردن: دار البشير، 1141هـ/1991م)، ص56.

(53) سهام، مرجع سابق، ص14.

(54) يحيى بوعزيز، الاستعمار الأوروبي الحديث في افريقيا وآسيا وجزر المحيطات، طبعة خاصة، (الجزائر: دار البصائر للنشر والتوزيع، 0341هـ/9002م)، ص89.

(55) سهام، مرجع سابق، ص34.

(56) أبو جابر، مرجع سابق، ص19-29.

(57) بو عزيز، المرجع السابق، ص201-301. وكذا درويش، مرجع سابق، ص54.

(58) ولد هوشي منه عام 0131هـ/3981م، اسمه الأصلي هو «نجوين آي كواك» بدا حياته العملية كعامل على إحدى السفن الفرنسية عام 9231هـ/1191م، تعرف في لندن على بعض الاشتراكيين الماركسيين واعتنق فلسفتهم، أسس نادي شيوعي في فرنسا أعضاؤه طلاب من فيتنام. انظر: أبو جابر، مرجع سابق، ص99-101.

(59) أبو جابر، مرجع سابق، ص99.

(60) باو داي: آخر أباطرة الفيتنام ولد عام 1331هـ/3191م، اعتلى العرش في عام 4431هـ/6291م، واصل تكوينه في فرنسا، ثم عاد ليحكم فعلياً ابتداءً من عام 0531هـ/2391م تحت الحماية الفرنسية، وفي ظل الوجود الياباني خلال الحرب العالمية الثانية إلى أن أسس حزب الفِيت منه وعُين في الحكومة الشيوعية الجديدة مستشاراً إلى هونغ كونغ ثم إلى فرنسا ليعود

في عام 8631هـ/9491م، إلى الفيتنام لمواجهة حكومة هوشي منه، بعد حرب الهند-الصينية 5631هـ/6491م-3731هـ/4591م، وتقسيم الفيتنام وفق قرارات جنيف، وبقي رئيساً للفيتنام الجنوبية، إلى أن استولى وزيره الأول ديام على الحكم عام 4731هـ/5591م، وأنشأ نظاماً دكتاتورياً مدعماً من طرف الولايات المتحدة الأمريكية، وبعدها انسحاب باو داي للاستقرار في فرنسا، توفي عام 7141هـ/7991م. راجع: سهام، مرجع سابق، ص74.

(61) أبو جابر، مرجع سابق، ص69-201.

(62) سهام، مرجع سابق، ص94-05.

(63) ديان بيان فو: بلدة تقع في إقليم ديان بيان التابعة لمحافظة لاين شاو التي تشكل إحدى محافظات المنطقة الشمالية الغربية لفيتنام الشمالية، يحد الإقليم من الشمال والشمال الغربي إقليم مونغلاي وإقليم مونغ تي، ومن الجنوب والغرب الحدود اللاوسية، زمن الشرق توان شو بمحافظة سون لا. انظر: علي فياض، التجربة العسكرية الفيتنامية، ط1 (د.م: مؤسسة عيبال للدراسات والنشر، 0141هـ/0991م)، ص461.

(64) فياض، مرجع سابق، ص561.

(65) ولد فونكيان جياب عام 0331هـ/2191م، كان واسع الاطلاع على تكتيكات حرب العصابات التي استخدمها الصينيون، اوجد استراتيجيات خاصة به على امتداد سنوات الحرب، قاد وحدات الفيت منه، ويعود إليه الفضل في هزيمة الفرنسيين في ديان بيان فو سنة 3731هـ/4591م، وقاد جيوش فيتنام الشمالية أثناء الحرب الفيتنامية. انظر: سهام، مرجع سابق، ص15.

(66) ياض، مرجع سابق، ص561.

(67) سهام، مرجع سابق، ص25.

(68) أبو جابر، مرجع سابق، ص901-111. وسهام، مرجع سابق، ص35-45.

(69) انبثقت حركة الملاكمين من إحدى الجمعيات السرية التي انتشرت في صفوف الشعب وعرفت باسم» جمعية قبضات التوافق الصالحة»، وقد اختلف المؤرخون حول سبب تسميتهم بالملاكمين ففريق يرى ان السبب لأنهم كانوا يتدربون على الملاكمة الصينية، وفريق آخر يرى أنه لا يتعلق بفن الملاكمة، وإنما هم أعضاء جماعة انتقامية. انظر: مسعد، دراسات في تاريخ الشرق، ص64-17

(70) قراهام، الصين الآن، ص44-64.

(71) فوزي درويش، المرجع السابق، ص921.

(72) باس محمود العقاد، سن ياتسن أبو الصين، د.ط (القاهرة: مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، 3341هـ/2102م)، ص92.

(73) القوزي، تاريخ الشرق الأقصى، ص401.

(74) قراهام، الصين الآن، ص35.

المصادر والمراجع:

(1) بو عزيز: يحيى، الاستعمار الأوروبي الحديث في افريقيا وآسيا وجزر المحيطات، طبعة خاصة (الجزائر: دار البصائر للنشر والتوزيع، 1430هـ/2009م).

(2) الميداني: عبد الرحمن حبنكة،أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها، ط1(دمشق: دار القاسم، 1420هـ/2000م).

(3) سعفان: كامل، معتقدات آسيوية (العراق-فارس-الهند-الصين-اليابان)، ط1 (مصر: دار ندى، 1419ه/1999م).

(4) نوري: عبد الحميد واخرون، تاريخ آسيا الحديث والمعاصر، ط1(بغداد: د.ن، 1423هـ/2003م).

(5) إبتشاين: مولد الصين الشعبية من حروب الافيون الى التحرير، ترجمة حسين تمام، د.ط (القاهرة: الدار المصرية، 1376هـ/ 1957م).

(6) أبو جابر: فايز صالح، الاستعمار في جنوب شرقي آسيا، ط1 (الأردن: دار البشير، 1411ه/1991م).

(7) الحمد: عبد القادر بن شيبة، الأديان والفرق والمذاهب المعاصرة، ط5 (المدينة المنورة: مكتبة دار الزمان للنشر والتوزيع، 1432ه/2011م).

(8) الدليمي: خلف حسين علي، الأنهار دراسة جيوهيدرومورفومترية تطبيقية، ط1 (الأردن: دار صفاء للنشر والتوزيع، 1438ه/2017م).

(9) العاني: نوري عبد الحميد، تاريخ الصين الحديث1516-1911م، ط1(بغداد: د.ن، 1423هـ/2003م).

(10) العبد: عفاف مسعد، دراسات في تاريخ الشرق الأقصى، د.ط (الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية، د.ت).

(11) العبودي: نادية كاظم محمد، تطور الاوضاع السياسية الداخلية في الصين: -1850 1911م، رسالة دكتوراة، كلية التربية، ابن رشد، جامعة بغداد، 1427هـ/2006.

(12) العرابي: عبد الرحمن، محاضرات في تاريخ شرق آسيا الحديث، د.ط (جدة: مركز النشر العلمي بجامعة الملك عبد العزيز، 1433هـ/2012م).

(13) العقاد: عباس محمود، سن ياتسن أبو الصين،د.ط (القاهرة: مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، 1433هـ/2012م).

(14) العمر: جهاد صالح حسين، وسلمان: ماجد، حركات التحرر في العالم الثالث، د.ط (البصرة: د.ن، 1408هـ/1988م).

(15) القوزي: محمد علي، وحلاق: حسان، تاريخ الشرق الأقصى الحديث والمعاصر، ط1(لبنان: دار النهضة العربية، 1422هـ/2001م).

(16) المقرحي: ميلاد، تاريخ آسيا الحديث والمعاصر شرق آسيا، الصين، اليابان، كوريا، ط1(بنغازي: منشورات جامعة فارينوس، 1417هـ/ 1997م).

(17) أنظر موقع عربيBBC: https://www.bbc.com/arabic/world-49387415

(18) أنيس: إبراهيم وآخرون،المعجم الوسيط، ج2، ط4 (القاهرة: مكتبة الشروق الدولية، 1425هـ/2004م).

(19) تاريخ العالم الثالث الحديث، مذكرة منشورة بدون مؤلف.

(20) حرب الأفيون سلسلة كتب تاريخ الصين الحديث،ط1(بكين: دار النشر باللغات الأجنبية، 1399هـ/1979م).

(21) درويش: فوزي، الشرق الأقصى الصين واليابان، ط3(د.م: مكتبة الإسكندرية، 1417هـ/1997م).

(22) شريف: سهام، حركات التحرر في افريقيا وآسيا الهند الصينية وتونس أنموذجان، رسالة ماجستير منشورة في جامعة محمد بو ضياف، الجزائر، 1436-1437هـ / 2015-2016م.

(23) عمر: عبد الناصر، محاضرات في مقياس الاستعمار وحركات التحرر في افريقيا وآسيا في القرنين التاسع عشر والعشرين، د.ط (الجزائر: جامعة 8ماي 1945 قالمة، 1441ه/2019م).

(24) كاظم: إلهام محمود، الاستعمار البريطاني للصين في القرن التاسع عشر، دراسة منشورة بمجلة آداب الكوفة، العدد4،د.ت.

(25) مارك: لام، وقراهام: جون، الصين الآن، ترجمة نور الدائم عبد الله، د.ط (الرياض: مكتبة العبيكان، 1431هـ / 2010م).

(26) هوخام: هيلدا، تاريخ الصين منذ ما قبل التاريخ حتى القرن العشرين، ترجمة أشرف كيلاني، د.ط (القاهرة: المشروع القومي للترجمة، 1423هـ/2003م).

حُلي المرأة في جنوب الجزيرة العربية في الألف الأول قبل الميلاد

أ. صالحة محمد سعيد مشراف

باحثة في التاريخ القديم – قسم التاريخ – كلية العلوم الإنسانية
جامعة الملك خالد – المملكة العربية السعودية

المستخلص:

تهدف الدراسة إلى إعطاء صورة واضحة عن أهم انواع الحُلي التي استخدمتها المرأة في جنوب الجزيرة خلال فترة الألف الاول قبل الميلاد، الفترة التي شهدت خلالها الممالك العربية الجنوبية تطوراً وازدهاراً كبيراً في كافة الجوانب الحضارية المختلفة، وعلى وجه الخصوص في جانب تقنية صناعة وصياغة الحُلى ومواد الزينة، نظراً لوفرة المواد الخام اللازمة لصناعتها من المواد المعدنية المختلفة كالذهب والفضة والبرونز فضلاً عن توفر الأحجار الكريمة كالعقيق والياقوت وغيرها من المواد العضوية الأخرى التي دخلت في تلك الصناعة كالأصداف والعاج،وقد أكدت اللقى الاثرية والتماثيل والمنحوتات الرجالية والنسائية المكتشفة في العربية الجنوبية على وجود صناعة متقدمة للحُلي خلال تلك الفترة، وكان للصاغة من حرفي هذه المهنة دور بارز . هدفت الدراسة من خلال موضوعها عن حُلى المرأة ومواد زينتها فقط حتى تعطيه حقه من الدراسة الوافية،لأن التزين باعتقادي في مفهومه العام إرتبط بها بدرجة رئيسية بحكم طبيعتها الأنثوية الجذابة وحسها المرهف، ولذلك كانت أكثر من الرجل حرصاً على تأكيد جمالها من خلاله، وفي الوقت نفسه لأن المادة المتوفرة للحُلي بشكل عام في العربية الجنوبية واسعة ومتشعبة، إذ أن أهميتها لم تقتصر على التزين بالنسبة للمرأة والرجل، بل كان لها مدلولات عقائدية أيضاً دنيوية وأخروية، وهنا تكمن أهمية هذه الدراسة، اتبعت الدراسة المنهج التاريخي الوصفي التحليلي بغية الوصول إلى نتائج والتي منها:استخدمت المرأة الحُلي منذ وقت مبكر في جنوب الجزيرة العربية، تعددت مدولالات الحُلي في تلك الفترة.

الكلمات المفتاحية: الحُلي ،المرأة ، جنوب الجزيرة العربية ،التأثيرات الخارجية

Womens jewelry in southern Arabia in the first milleum Bc

Salha Mohammed Saeed Musharraf

Abstract:

The study aims to give a clear picture of the most important types of ornaments used by women in the south of the island during the period of the first millennium BC, the period during which the southern Arab kingdoms witnessed great development and prosperity in all different aspects of civilization, especially in the aspect of the technology of making and formulating ornaments and ornamental materials, due to the abundance of raw materials necessary for their manufacture from various metal materials such as gold, silver and bronze as well as the availability of precious stones such as garnet and rubies.Other organic materials that entered that industry such as shells and ivory, archaeological finds, statues and sculptures of men and women discovered in South Arabia confirmed the existence of an advanced jewelry industry during that period, and the goldsmiths of the craftsmen of this profession had a prominent role. The study aimed through its topic about women›s ornaments and decorations only to give him the right of adequate study, because the decoration I believe in its general concept was associated with her mainly by virtue of her attractive feminine nature and delicate sense, and therefore it was more than From the man in order to emphasize its beauty through him, and at the same time because the material available for ornaments in general in South Arabia is wide and complex, as its importance was not limited to decoration for women and men, but also had doctrinal connotations that are also worldly and eschatological, and here lies the importance of this study, the study followed the historical, descriptive and analytical approach in order to reach results, including: Women used ornaments from an early age in the south of the island. Arabic, there were many jewelry wheels in that period.

Keywords: ornaments, women, southern Arabia, external influences

مقدمة:

تشير الدلائل الأثرية إلى أن المرأة في جنوب الجزيرة العربية اهتمت بزينتها منذ العصور الحجرية، حيث جُعل لها بدايةً حُلي على هيئة عقود واساور وأختام مصنوعة من الأصداف وعظام الحيوانات والأسماك فضلاً عن الأحجار الطبيعية الملونة التي وفرتها جيولوجية المنطقة، ومع تطور الجانب الفني والتقني وتعرف الإنسان على خامات المعادن واساليب تشكيلها في الفترات اللاحقة، صنع لها الحرفيون مواد زينة وحُلى من الذهب والفضة والبرونز والأحجار الكريمة وغيرها في غاية الدقة والجمال، ولقد تم العثور على أعداد كبيرة ومتنوعة من تلك الحُلي النفيسة على هيئة قلائد وخواتم وأساور وأقراط وجد معظمه كأثاث جنائزي في موقع (شقرة(أبين، وكذلك في مواقع متفرقة من جنوب الجزيرة العربية مثل: (مقابر مأرب، و العود، وريبون، ومواقع معين، وتمنع ونجران). وهي بحق تعكس عن مستوى تقني رفيع وصل إليه الصاغة في ذلك الوقت. كما جسد الفنان القديم في مشاهده الفنيةعلى اللوحات والمنحوتات الحجرية والبرونزية للنساء أنواع مختلفة من الحُلي مترافقة مع الملابس فظهرت من خلالها المرأة بأبهى حلة، فقد بدت وهي تزين جسمها من رأسها حتى قدميها بحلى متنوعة عبرت من خلالها عن مفهومها للجمال وعن مكانتها الاجتماعية في ذلك الوقت، وأبرزت الدراسة أن صناعة الحلي بشكل عام وحُلي المرأة في جنوب الجزيرة خلال الفترة المدرسة استمدت اسلوبها التقني والفني من بيئتها المحلية على أيدي حرفين مهرة استفادوا من جميع المقومات الطبيعية التي وفرتها البيئية المحلية من أحجار وعظام واصداف وصولاً الى المعادن النفيسة. وفيما يخص المنهج المتبع توضح الباحثة أنها تناولت الموضوع من ناحية تاريخية مدعمة بنماذج مختارة من الشواهد الأثرية المتعلقة بالمنحوتات الفنية والتماثيل النسائية المحفوظة بالمتاحف اليمنية والاجنبية، إلى جانب ما نشره الباحثون في ابحاثهم من قطع فنية مرتبطة بالموضوع، وبالنظر للكم الهائل من الدلائل المكتشفة، فقد حاولت الباحثة أن تورد هنا للتوضيح والاستشهاد نموذجين، واحياناً ثلاث نماذج لكل نوع من أنواع الحُلي المدروسة، حتى لا تخرج الدراسة عن حدود النشر المتبع.كما اعتمدت الباحثة في ذات الوقت في دراستها هذه على المادة العلمية المتوفرة في المصادر التاريخية، والدراسات التاريخية والأثرية المتعلقة بهذا الجانب.

أولاً: أهم المواد المستخدمة في صناعة الحُلي:

إعتمد الإنسان منذ القدم على المعادن في صناعة الحُلي، واستخدم أفضل أنواع المواد الخام وأجودها مثل: الذهب، والفضة، والأحجار الكريمة وغيرها، وقد أبدع الإنسان القديم في جنوب الجزيرة العربية في عملية استخراجها وتصنيعها، وقد تناولتها الباحثة على النحو الآتي:

1 -الذهب:

توفر خام الذهب في جنوب الجزيرة العربية في مناطق عديدة،وكان من أهم المعادن التي استخدمها الإنسان القديم في صناعة وصياغة الحلي([1])، وقد تحدث بعض الكتاب الكلاسيكيين أمثال ديودو الصقلي(القرن الاول قبل الميلاد) ([2]) عن أهميته في صناعة الحلي ،كما وذكر استرابوا

(نهاية القرن الأول قبل الميلاد) أن السبئيين كانوا بفضل وفرة الذهب في بلادهم من أغنى شعوب العالم القديم([3])،حتى أنهم كانوا يقدموه من ضمن الهدايا للملوك الاشوريين([4]).

وقد عُرف الذهب في نقوش المسند باسم(ط ي ب م) « ذهب خالص» ([5]) ، وقد عثر على مصنوعات ذهبية من الحُلي في مناطق عدة من جنوب الجزيرة العربية بأشكال مختلفة، ومن ذلك تم العثور في»شبوة» على عقد من الذهب مكون من ثماني رقائق ذهبية نقش عليها أشكال أُسود، محفوظ في المتحف البريطاني([6])، كما عثر أيضًا في مقبرة تمنع ، عاصمة قتبان،علي عقد جميل من الذهب، في منتصفه هلال فتحته إلى أعلى، وحاشيته من الأعلى ومن الأسفل ، صياغة مخرمة، وعليها نقوش بالأحرف القتبانية لاسمين: أحدهما لأنشتدعى هغرلت أو هاغرلات، والاسم الآخر هو علاي فاريعات([7]). وكشفت الدراسات الحديثة عن اكتشاف ثلاثة مناجم قديمة للذهب بين وادي العمير جنوب وادي الضيوف، وتقع شمال شرق جبل اللوذ- الجوف ولازالت آثار استخراج المعدن وطحنه بالقرب من هذه المناجم[8]، وفي منطقة شمال صعدة تم اكتشاف سبعة مواقع أحداها: مخيم قديم يدعى المحفر في منطقة لودية، كما دلت المسوحات الجيولوجية عن وجود الذهب منطقة بلحارث في بيجان ، وجنوب مدينة نصاب العوالق، كما عثر على معدن الذهب في منطقة البهرة([9]).

2 - الفضة:

عرفت الفضة منذ زمن بعيد ولعبت دوراً مهماً في صياغة الحُلي في جنوب الجزيرة العربية، حيث جعلها لونها البهيج وقابليتها للطرق تفضل بعد الذهب لأغراض الزينة، والفضة عنصر فلزي أبيض اللون قابل للطرق والسحب، وهي لا تصلح للاستعمال في صياغة الأدوات والحُلي الابعد صهرها مع النحاس حتى تزداد صلابة لأنها رخوة. وقد جاء ذكر الفضة([10]) في نقوش المسند الجنوبي بلفظ»صريفن» بمعنى فضة خالصة([11])، والفضة تعد من المعادن المعروفة والمشهورة في جنوب الجزيرة العربية مُنذ زمن قديم, وكان لها استخدام واسع في نواحٍ مختلفة([12])، ومن ذلك استخدامها في صناعة الحُلي, حيث تم العثور في قرية الفاوعلي خواتم مصنوعة من الفضة، مطعمةبالخرز([13]) . ويذكر صاحب كتاب الطواف حول البحر الإريثري أن بلاد العرب الجنوبية كانت تنتج العديد من المشغولات الفضية المصقولة ، وتصدر للخارج عبر ميناء موزا (موزع) ([14]). ومن أشهر مناجم اليمن في الفضة كما يذكر الهمداني منجم الرضراض الواقع شمال شرق صنعاء([15]).

3 - البرونز:

البرونز عبارة عن خليط يضم ثلاث معادن النحاس والقصدير والرصاص ولكن نسبة النحاس فيه كبيرة، وعرف([16]) في نقوش المسند باسم(ذهـ بـم= ذهبم)، ودخل منذ القدم في العديد من الصناعات ومنها صناعة الحلي نظراً لبريقة ولونه الذهبي، لكن استخدامه شاع كثيراً في صناعة التماثيل البرونزية، ومن اشهر التماثيل التي صنعت من البرونز تمثال معد كرب، وقد عثر على ورش خاصة لصناعتهفي مدينة تمنع، وفي معبد برآن بمأرب ([17]).

4 - الحديد:

عـرف في لغـة المسـند بلفظـة ب(فرزنـم – ف ر ز ن م- M- FRZN) بمعنـى «الحديـد «[18]، ويتواجـد معـدن الحديـد في اليمـن حـول صعـدة في المائـدة جبـل حسـن – قدامـى- ثـروة جبـل المعـدن عكـوان[19]. ولقـد أثبتـت المصـادر الأثريـة اسـتخدام الحديـد في صناعـات مختلفة،ومـن ضمنهـا في صناعـة الحُـلي[20].

5 - النحاس :

يعـد مـن أقـدم المعـادن التـي اسـتخدمها الإنسـان في العـالم القديـم في العديـد مـن الصناعـات، يوجـد في الطبيعـة عـلى هيئـة فلـز بلـون أخـضر جميـل، بـدأ اسـتخدامه في الصناعـات الأوليـة منـذ الألـف الثالـث قبـل الميـلاد، وصنعـت منـه الحُـلي ومـواد الزينـة المختلفـة، وقـد عـثر عـلى بعـض الأقـراط المصنوعـة مـن النحـاس في مقـبرة ريبونبحضرمـوت، وفي مقابـر وادي ضراء بشـبوة [21]، واطلـق عليـه العـرب قديمـاً مسـميات عـدة مثـل الصفـر، القطـر الذائـب[22]، وفي نقـوش المسـند ورد بلفـظ (ب ر ر م)، وقـد عـثر عـلى مناجـم قديمـة لـه في مناطـق عـدة مـن اليمـن في البيضـاء ورداع ، وذمـار[23].

ثانياً: طرق صناعة الحُلي:

الصياغـة حرفـة قديمـة معروفـة منـذ أقـدم العصـور، وقـد ارتبطـت بأشـخاص كانـوا عـلى مهـارة عاليـة وعـلى مسـتوى رفيـع مـن الخـبرة، يطلـق عليهـم الصاغـة مفردهـا «صائـغ»: أي مـن يحـترف الصياغـة، ويشـتغل في صياغـة الذهـب والفضـة وتشـكيلها عـلى هيئـة حـلي يتحـلى بهـا الرجـال والنسـاء، ثـم تطعـم لغـرض الزخرفـة ببعـض الاحجـار الكريمـة كالعقيـق، واللؤلـؤ وغيرهـا[24]. وقـد تعـددت طـرق صياغـة الحُـلى في جنـوب الجزيـرة قديمـاً، وأولى تلـك الطـرق التـي تـم اسـتخدامها في صياغـة المعـادن، هـي طريقـة الصـب التـي تعتمـد عـلى صهـر المعـادن بحيـث تقـوم هـذه التقنيـة عـلى تسـخين المعـدن إلى درجـة الذوبـان، ومـن ثـم يصـب المعـدن المـذاب في قوالـب خاصـة حجريـة أو فخاريـة، لتشـكيل أدوات الزينـة مـن حُـلي، وبشـكل خـاص الخواتـم والأقـراط[25] ،بالإضافـة لذلـك ولتشـكيل الحُـلي تـم اسـتخدام قوالـب مـن الخشـب أو الرصـاص بحيـث يشـمل القالـب عـلى تجويـف بسـيط يحمـل بعـض الأشـكال والرسـومات البـارزة أو الغائـرة عـلى الصفيحـة فـوق القالب،ويتـم الطـرق عليهـا بمطرقـة ؛ فتأخذ الشـكل المرسـوم عـلى وجـه القالـب[26]. وقـد اسـتخدمت هـذه الطريقـة في صناعـة أقـراط الأذن الذهبيـة ،التـي تمثلـت في ضرب صفائـح الذهـب فـوق جـزء بـارز عـلى شـكل قالـب لتأخـذ الشـكل المطلـوب[27]. كـما اسـتخدم حـرفي مهنـة الصياغـة قديمـاً طريقـة إلى جانـب ذلـك طـرق أخـرى منهـا طريقـة السـحب والطـرق (رقائـق المعـادن) التـي تقـوم عـلى فكـرة طـرق كتلـة المعـدن باسـتخدام مطرقـة كبـيرة بعـد تسـخينه تحـت درجـة حـرارة عاليـة، وهـذه الطريقـة اسـتخدمت مـع معـدن الذهـب الـذي يمتـاز بمرونته وسـهولة تشـكيلة بالطـرق، وكذلـك طريقـة صناعـة الاسـلاك التـي تشـكل فيهـا المعـادن عـلى هيئـة اسـلاك عـن طريـق التسـخين ومـن ثـم بصبـه وتحريكـه مـا بـين سـطحيين مسـتويين أو في بـين قطعتـين مـن الخشـب يتوسـط كل واحـدة منهـا اخـدود محفـور ، وتضغـط القطعتـان معـاً، ثـم يتـم الطـرق عليهـما لتشـكيل السـلك بالشـكل والحجـم المطلـوب، واسـتخدمت هـذه الطريقـة في صياغـة الاقـراط والاسـاور

والخواتم والدلايات([28])، وكانت تتم عملية زخرفة الحلي بعدة طرق منها التخريم، والتحبيب، والحفر ([29]).

ثالثاً:الخامات الحجرية الكريمة وشبه الكريمة في صناعة الحلي:

تزخر جنوب الجزيرة العربية بأنواع متعددة من الأحجار الكريمة التي استخدمت في كثير من صناعات الحُلي،وفي مقدمتها العقيق([30])، حيث تم استخدامها في ترصيع وتطعيم خواتم الإصبع عند الرجال والنساء وكذلك في صناعة العقود والقلائد والأساور نتيجة سهولة التعامل معه في الطبيعية([31]).كما اشار الكاتب بليني الكبير إلي أنواع أخرى من الأحجار الكريمة في بلاد العرب الجنوبية كانت تدخل في صناعة الحلي إلجانب العقيقمثلحجر بايديروس، وحجر البقران،والزبرجد ،والزمرد ([32])، واللؤلؤ([33])والزجاج([34])، واستخدمت أيضاً بعض الاحجار الملونة([35])، مثل البقران([36])، والجزع([37])، والعشاري([38])، والسعواني([39])، والجشمت([40])، والياقوت([41]) .

وقد استخدم الصائغ القديم هذه الاحجار الكريمة في ترصيع وتطعيم الحلي المصنوعة من المعادن بعد نحتها وتشكيلها بالشكلالمطلوب، والحقيقة أن الاسلوب المتبع في ذلك بدأ قديماً بطرق بدائية هي التشظية والقطع والحك أو الكشط، والترصيع، وذلك باستخدام نوع من الاحجار يسمى الصوان (الابسيديان) وبعض المعادن المساعدة كخبث النحاس.

رابعاً: المواد العضوية: (العظم ، والعاج، والأصداف):

صنع الإنسان القديم في جنوب الجزيرة العربية من المواد العضوية حلي للاستفادة منها في عملية التزيين، وبعض المهام اليومية في حياته من العظام والعاج والأصداف، فقد صنع منعظام الاسماك والحيوانات الحُلي البسيطة كالأساور والخرز والخواتم. وجعل من العاج بعض الحلي كالخلاخيل والأساور والاعضاد، وقد كشفت نتائج حفريات موقع الحصمة، بشقرة ، محافظة ابين عن نماذج منها ضمن الاثاث الجنائزي([42]) ، وفي هذا الخصوص يذكر صاحب كتاب الطواف حو البحر الإريثري أن ميناء موزا كان يصدر منه كميات كبيرة من العاج وقرون وحيد القرن([43]). كما تعد الاصداف من المواد الاولية التي اتخذ الانسان القديم لنفسه منها مواد زينة في العصور المبكرة ، لوفرتها ضمن بئته الساحلية وانتشارها بكثرة علىالشواطئ، حيث صنع منها العقود والأساور بأشكال وانواع مختلفة، وقد عثر المنقبون على كميات كبيرة منها ضمن حفرياتهم الأثرية وعلى وجه الخصوص في المناطق الساحلية في تهامة وشبوة وغيرها.

خامساً: أهم انواع حلي المرأة:

يتطلب دراسة الحُلي الوقوف بدايةً على مُسمياتها وأنواعها وأهم المواضع التي زينت بها المرأة قديماً, وقد اكدت الدلائل الاثرية من المنحوتات والتماثيل النسائية المكتشفة فضلاً عن قطع الحُلي التي عثر عليها في المواقع الأثرية ضمن الأثاث الجنائزي تنوع وتعدد حُلي المرأة في جنوب الجزيرة العربية حلال فترةالالف الاول ق.م،حيث ظهرت حلي تعلق على الصدر، وأخرى توضع حول الساق، ومنها ما يوضع على اصابع اليد والاذنين والأنف.للايسكنسبتصثخثبهتصخ

1 -زينة الرأس:

احتل موضع الرأس مكانة كبيرة في نوعية الحُلي وأدوات الزينة ، إذ كان يزين بحلي وزينة ذات جودة عالية، كما يراعي أيضاً أن تكون طريقة لبسها متوافقة مع عادات وتقاليد المجتمع, بما في ذلك التمايز والاختلاف بين طبقاته في كل مرحلة تاريخية, وتناولت الباحثة جميع ما كان يوضع على الرأس من الزينة من فترة الألف الأول ق.م([44]) وذلك على النحو الآتي:

أ_تاج الرأس:

وهو نوع من الحُلي يوضع فوق الرأس، وكان الصائغ يقوم بصناعة التيجان من الذهب ثم ترصع بالزبرجد والياقوت والعقيق، وقد تنوعت أشكال التيجان التي تزينت به المرأة في جنوب الجزيرة العربية وتجسدت صوره على بعض التماثيل، فظهر عليها التاج المسنن، ([45]) ومن نماذجه لوحة نصفية نحت عليه منظر نصفي لسيدة من الأمام تضع فوق رأسها تاج صغير حوافه العليا على شكل مسننات تؤرخ هذه اللوحة القرن الأول الميلادي([46])، (لوحة 2أ) والنوع الثاني التاج النصف دائري، ومن أمثلته تمثال من البرونز مكتمل لامرأة تبدو واقفة على قاعدة مستديرة ، يتوج رأسها تاج نصف دائري، حوافه العليا على شكل مسننات يبلغ عددها 8 مسننات ويتوسط واجهة التاج رمز الهلال والقرص (لوحة2ب)([47]) ، وهناك أيضاً نوع ثالث من التيجان ظهر مصوراً على بعض التماثيل النسائية، وهو التاج المفصص ونذكر من نماذجه تمثال من البرونز محفوظ بمتحف اللوفر لامرأة واقفة ترتدي ثوب طويل، العضدان يلاصقان الجسم والساعدان مثنيان للأمام ترتدي تاجاً فوق راسها عليه فصوص يؤرخ بالقرن الأول الميلادي([48]).

ب_العُصابة:

عبارة عن شريط من الفضة له طول وعرض معين ويتكون من مجموعة من الأجزاء المجمعة توضع في بداية الجبهة، ثم تلف على محيط الرأس، وينتهي طرفا العصابة بلوحين مزود كل منهما بعروة مثبت فيها حبل، ويربط الحبلان بعضهما مع بعض خلف الرأس حتى تمسك العصابة محيط الرأس وتثبت عليه، وقد عرفت النساء في جنوب الجزيرة العربية نوعان من العصابة: الأولى العصابة العادية، ظهر نموذج لها على لوحة من الألبستر عُثر عليها في مدينة تمنع عاصمة مملكة قتبان، يرجع تاريخها للقرن السادس ق.م ،تصور سيدة قصيرة القامة، زينت رأسها بعُصابة عادية([49]).لوحة 3أ) والنوع الثاني العصابة المزينة، وظهرت على رأس تمثال لسيدة من الحجر الجيري، بوجه تبدو ملامحه غاية في الروعة والاتقان، فالعينان لوزيتان خطوطهما العامة بنحت خفيف البروز، ويعلو الوجه تمثيل لعصابة مزينة ملفوفة حول الرأس([50]).(لوحة 3ب)

ج- الأقراط:

هي حلية تعلقها المرأة في شحمة الأذن، وقد شغفت المرأة في جنوب الجزيرة العربية قديماً بالتحلي بالأقراط طلبًا للتزيُن ([51])، وقد تجسد هذا الأمر في بعض المنحوتات المكتشفة لها، ومن ذلك على سبيل المثال نماذج على لوحة من الرخام منحوت عليها أمراه واقفة، يزين شحمة أذنها قرط بيضاوي يتدلى للأسفل، تؤرخ إلى القرن السادس ق.م،([52])(لوحة 4أ)كما تحوي

المتاحف اليمنية على نماذج عديدة من الاقراط من مخلفات الحفريات الاثرية، مصنوعة من معادن مختلفة ومن أهمها كالذهب (لوحة 4 ب)

2 - زينة الصدر:

أ-القِلادة:

القلائد مفردها قلادة، ويقصد بها السلسلة التي تُعلق بها دلاية أو تعليقة أو تميمة، وقد لبسها الرجال والنساء على حد سواء، وقد ارتدت نساء جنوب الجزيرة العربية قديماً عدة أنواع منها، عثر عليها في مواقع متفرقة من اليمن([53]). منها القلادة المطعمة ومن نماذجها دمية طينيه لامرأة واقفة محفوظة بالمتحف الوطني بصنعاء ارتفاعها 13،5سم،وعرضها 8سم، ترتدي قلادة على هيئة أقراص عليها ثقوب صغيرة ربما تكون من الأحجار الكريمة ([54]) (لوحة 5أ)، والنوع الاخر القلادة المركبة ومن نماذجها تمثال صغير من البرونز من وادي شلالة، محفوظ في المتحف الوطني بصنعاء، ارتفاعه 58.5 سم، وتزين صدرها قلادة تلتف حول العنق مرتين وتتدلى حتى وسط الصدر وتنتهي بدلاية قرصية الشكل رسم عليها قرص الشمس([55]).(لوحة 5ب)

ب- العِقْد:

هو من حُلي الرقبة، ويتألف من قطع صغيرة من المعدن كالذهب والفضة أو من الأحجار الكريمة كالعقيق وهناك أيضاً عقود صنعت على هيئة حبات (خرز) من مواد مختلفة مثل العاج والزجاج والعظام ([56])، وقد عُثر على عدد كبير منها في أماكن متفرقة من جنوب الجزيرة العربية([57])، بدت بعضها بشكل بسيط،ومن أمثلتها دمية طينية لامرأة واقفة، معروضة في المتحف الوطني صنعاء، ارتفاعها 13,5سم، وعرضها 8 سم، وقد زينت بعقد عريض على هيئة ثقوب صغيرة من ثلاث صفوف، يلتف حول عنقها ، يعود تاريخه إلى بداية الالف الاول ق.م(لوحة:6أ) ([58])، ومن النماذج أيضاً لوحة حجرية نصفية من المرمر عثر عليها في الجوبة، ومحفوظة حالياً في المتحف الوطني بصنعاء لمرأة يزين رقبتها عقد جميل تبدو تفاصيله بوضوح، ويعود تاريخه إلى القرن الاول ق.م (لوحة 6ب) ([59]).

ج -الطوق:

من الحُلي التي تحيط عنق المرأة بإحكام، ويغلب عليه الشكل الحلقي المفتوح، ويتم تثبيته على العنق بحيث تكون فتحته خلفها، ويصنع في معظم الأحول من المعدن وتتصف صناعته بمرونة لتسهيل عملية ارتدائه، وهو في صنعته يشبه الأساور العريضة المفتوحة([60])، وله عدة أنواع وأشكال، منها: طوق بسيط، ظهر على تمثال لامرأة من البرونز، عثر عليه في تمنع عاصمة دولة قتبان، ارتفاعه 52سم، تحلت بطوق بشكل حلقة أسطوانية([61])، وهناك طوق متعدد الحلقات، ويوضح ذلك تمثال امرأة من المرمر معروض في متحف صنعاء، ارتفاعه 40سم ، وعرضه25 سم ، وسمكُه 7,5 سم، زين عنقها طوق على هيئة حلقات يعقدها في وسط قرص صغير([62])، وهناك أيضاً طوق بدلايات ومن نماذجه تمثال محفوظ متحف صنعاء يمثل سيدة واقفة بشعر ذو ضفيرة خلفية، زينت جيدها بطوق مزخرف له دلايات ونحرها بقلادة مدلاة .

-3 زينة اليد:

أ-الخواتم:

الخواتم من أدوات الزينة، التي توضع في الأصابع على حسب رغبة المرتدي لها، استعمالها الرجال والنساء على حد سواء ، وكانت في الغالب تطعم بفصوص من الأحجار الكريمة كالياقوت والماس, وتسمى بالفتخ أو الحلق، وقد وجدت خواتم خاصة بالنساء مصنوعة من الصدف والعظم من ضمن حلي إمراه في مقبرة مدينة صرواح بمأرب، كما وجدت خواتم مصنوعة من الذهب والبرونز متعددة الاشكال تزين اصابع بعض المتوفاة من النساء في حفريات موقع الحصمة بعضها مطعمة بفصوص من العقيق ([63])(لوحة8) كما عثر في مقابر وادي ضراء بشبوة على خواتم معدنية تزينها الزخارف الكتابية، بعضها سادة والبعض الآخر مطعمة بالأحجار الكريمة، وتميزت منطقة الاخدود بكثرة الخواتم الرجالية والنسائية التي تم العثور عليها ضمن اثارها المكتشفة([64]).

ب-الأساور:

وهي نوع من الحُلي تستخدم لزينة اليد، تُصنع عادة من العاج أو العظام أو الزجاج، ثم تزخرف بزخارف جميلة مستوحاه غالبًا من الطبيعة، إذ كان يمثل سطحها الخارجي أحياناً بزخرفة على هيئة خطوط، ومحيطه يزخرفه على شكل حبيبات كروية، وفي المراحل اللاحقة صُنعت الاساور من المعادن كالحديد والذهب والفضة، واستخدمها الرجال والنساء، ولها عدة أنواع وأشكال، منها ؛ الأساورالبسيطة، ومن امثلتها لوحة نقشيه تصور سيدة من قتبان وهي تزين عضديها بسوارين، وهناك نوع آخر من الاساور اسطوانية الشكل ظهرت على بعض التماثيل والمنحوتات النسائية من نماذجها تمثال امرأة من المرمر محفوظ بمتحف الوطني بصنعاء، ترتفع ذراع اليد اليمنى للأعلى ملتصقة بالساعد ويزين رسغ كل يد سوار مدور([65]) (لوحة9أ) وهناك نوعاً ثالثاً من الاسوار تزينت به المرأة القديمة وهو السوار المركب، ومن نماذجه لوحة عبارة عن شاهد قبر من مارب محفوظ في المتحف البريطاني،فيها تجسيد لامرأة جالسة على كرسي وعلى جانبيها ولد صغير، يزين رسغيها إسوارة عريضة مكونة من عدة قطع متصلة مع بعضها البعض([66]).(لوحة 9ب)

4 - زينة الساق:

زينة الساق هي كل ما تزُين به الإنسان في الساق، وفي الغالب يكون بشكل ملتف على الساق في الأسفل أعلى الكعب أو بالوسط بين الكعب والركبة, وقد شاع استخدام زينة الساق عند النساء أكثر من الرجال[67]. حيث تزينت المرأة قديماً في جنوب الجزيرة بحلي تسمى الحجول (الخلاخل) وهو لفظ عام يطلق على كل ما يلبس في الساق، وهو عبارة عن حلقة معدنية تصاغ دون نقش أو زخرفة ، وعادةً ما تصنع من الفضة، ونادرًا من الذهب([68]),وله عدة أشكال أشهرها البيضاوي وقد تعلق عليه بعض الأجراس والدلايات التي تصدر رنينًا خاصًا. ويُحشى بالقار من الداخل، ويُصنع من الذهب والفضة والبرونز ([69])، وقدعثر على نماذج من الحجول ضمن حفريات موقع الحصمة، شقرة مصنوعة من البرونز (لوحة 10أ)وهناك تمثال آخر يرجع إلى القرن الثامن

ق.م يصور سيدة سبئية ترتدي ثوبًا قصيرًا، وحول ساقها اليمنى خلخالاً من الفضة([70])،كما يظهر تمثال السيدة (برأت) سالف الذكر وقد وضَعت على قدميها حجلاً في أسفل كل ساق جاء على شكل حلقة بارزة وغليظة في كل ساق([71]).(لوحة10ب)

سادساً: التأثيرات الفنية الخارجية على الحُلي:

لاشك أن صناعة الحلي في جنوب الجزيرة مثلها مثل غيرها من الحرف المرتبطة بحياة الناس تأثرت بالاتجاهات والملامح الفنية القادمة من بلدان وحضارات العالم القديم الاخرى المجاورة، بحكم انفتاح واتصال شعوب العربية الجنوبية مع تلك الاقطار تجارياً وثقافياً، فكما هو معلوم أن التجارة القديمة لدى شعوب جنوب الجزيرة العربية كانت تمثل النشاط الاقتصادي الأبرز في حياتهم، فقد جابوا بقوافلهم شواطئ الفرات والمتوسط ووصلوا إلى جزيرة ديلوس في اليونان،كما وصلت رحلاتهم التجارية إلى البر الافريقي ودار السلام، فجابوا المعمورة وخلفوا آثاراً مادية خلدت رحلاتهم تلك ووثقت لها([72])،ولذلك كان لابد أن يتأثروا بمشاهدات وافكار تلك الاقطار التي زاروها ويعكسوا ما أعجبهم على فنونهم وصناعتهم، لكن الملاحظ في صناعة الحلي أن التأثير في الجانب الفني والتقني قد حافظ على الروح والهوية الخالصة للعربية الجنوبية حرصاً على العادات والتقاليد الاصلية، وخصوصاً في فترة الالف قبل الميلاد،إذ أن ذلك التأثير بدى بسيطاً على بعض الفنون المتعلقة بالمرأة وهي ترتدي زينتهافي الفترة الواقعة ما بين القرن الأول قبل الميلاد والقرن الاول الميلادي.

حيث ظهرت بعض الاساليب الفنية والتقنية على بعض حلى المرأة، جسدها الفنان القديم على بعض منحوتاته ورسومه الجدارية، من ذلك كما يرى بعض الباحثين التأثيرالفرعوني على صدرية تمثالامرأة عثر عليها في مقبرة شكع،يعرف بسيدة الضالع،حيث يزين صدرها عقد واسع بهيئة حبات خرز تؤلف عدة صفوف يتدلى نهايتها من اسفل بمجموعة من الدلايات المثلثة الشكل، ونجد هذا الاسلوب التقني شائعاً على التماثيل المصرية (لوحة 11أ، ب)، كما ظهرت بعض التأثيرات الفنية اليونانية علي قلادة لتمثال امرأة من البرونز تنتهي بدلاية دائرية أسفل الصدر رسم عليها أشعة الشمس، وهذا الاسلوب يتشابه في جانبه الفني مع بعض التماثيل النسائية المحفوظة في متحف قبرص([73])(لوحة 12)والجدير بالذكر أن حلي المرأة في جنوب الجزيرة وجد ما يماثلها في شمال وجنوب شرق الجزيرة من الناحية التقنية والفنية بحكم الارتباط الجغرافي الواحد

على أن التأثير المشترك بين جميع الحضارات بدى واضحاً في الجانب العقائدي، فكما يلاحظ أن جميع الشعوب القديمة استخدمت الحلي كتمائم لتقي صباحها الشرور، كما ترافق استخدامها للزينة في الطقوس الدينية ومعدفن الموتى.

الخاتمة:

مما سبق نجد أن المرأة في جنوب الجزيرة العربية قد استخدت الحُلي بأنواعها المختلفة،وكانت من مظاهر جمالها وتميزها،كما نلحظ أن هذه الحُلي استخدمت فيها العديد من المعادن والتي من أهمها الذهب والفضة ، وتم تشكيلها بطرق مختلفة .

النتائج:

خلصت الدراسة لعدد من النتائج والتي من أهمها:

1. اهتمت المرأة في جنوب الجزيرة العربية بزينتها منذ وقت مبكر وتحلت بأنواع مختلفة من الحُلي، حيث تزينت بالتيجان والقلائد والاساور والخواتم والحجول (الخلاخيل)وغيرها، وقد ظهرت حلي المرأة أكثر تنوعاً من حلي الرجل لتضفي على نفسها واناقتها مزيداً من الذوق والجمال، واتضح أن صناعة الحلي بشكل عام في جنوب الجزيرة العربية كان نتاج اسلوب محلي خالص، وكان للصاغة دور كبير في ابرازه بمهارة ودقة عالية، الأمر الذى أدى إلى عكس الذوق الفني والمفهوم الجمالي لذلك الزمن.
2. اظهرت الدراسة أن حلي المرأة في بداية الألف الأول قبل الميلاد من خلال ما وصلنا حتى من نماذج على المنحوتات والتماثيل النسائية بدت بسيطة وقد جسدها فنان ذلك العصر بشكل رمزي، ثم برز تطورها بشكل دقيق وجميل في الفترة الواقعة ما بين القرن الرابع ق.م والقرن الأول الميلادي.
3. اكدت كثرة حُلي المرأة المصنوعة من المعادن النفسية في جنوب الجزيرة العربية على المستوى الحضاري المتقدم التي وصلت إليه الممالك القديمة في ذلك الوقت، ومن ناحية أخرى على الاهتمام الكبير بالمرأة والمكانة الاجتماعية المرموقة التي وصلت اليها في ذاك الوقت.
4. أكدت الدلائل الاثرية من بقايا الحلي التي عثر عليها بجوارها في المقابر القديمة في مناطق عديدة من جنوب الجزيرة العربية على مدى ارتباط المرأة بحليها لدرجة التحلي بها في قبرها، وفي ذلك أيضاً ارتباط ديني وعقائدي مرتبط بالبعث بعد الممات.
5. أكدت الدراسة أن صناعة الحلي الخاصة بالمرأة تأثرت بعض التأثيرات الخارجية بقدر يسير، واقتصر التأثير على بعض نماذج القلائد والاساور فقط مع فارق مواد الصناعة، ومن ذلك كمالاحظنا التأثير المصري على أحدى تماثيل النساء المعروفة بسيدة الضالع، كما ظهرت بعض التأثيرات الهلنستية على تماثيل النساء المصنوعة من البرونز التي تعود للفترة الميلادية المبكرة بحكم التواصل التجاري مع تلك الأقطار.

قائمة اللوحات:

لوحة1(أ) عن الهيئة العامة للآثار ، صنعاء

لوحة1(ب) عن الهيئة العامة للآثار ، صنعاء

لوحة 1(ج) عن الهيئة العامة للآثار ، صنعاء

لوحة 2أ. توضح شكل التاج rer: Aqil et Antonini 2007 I.A.a.6,p.132.	لوحة 2ب :عن عقيل 2020، شكل 1 ب، ص 43
لوحة 3أ تمثل نحت بارز لامرأة After: Cevland1965,PL.43.Tc129 : TC.1294	لوحة 3ب ، سيدة الضالع عن سابينا انطونيوني، 1999م ، ص6
لوحة 4أ توضيح لشكل القرط على تمثال نصفي fter: Dasi= NAM 2753	لوحة 4 ب: قرط ذهبي، عن الهيئة العامة للآثار، صنعاء،

لوحة 5أ عن :باسلامة،1996م،شكل4 ،ص165

لوحة 5 ب عن المتحف اليمني ، صنعاء YM 289

لوحة 6 أ. عن :عريشوأدوان، 7002 م،شكل 111 ،ص13

لوحة 6 ب عبارة عن لوحةنصفيةلامرأة من المرمر، الجوبة ، سابينا انطونيوني، 1999م ، ص165

	لوحة رقم 7ب: طوق برونزي عن الحسيني 2013، صورة ص361.
لوحة رقم 8: خواتم ذهبية وبرونزية عن الحسيني، 2013، صورة (78) ص 350	
لوحة رقم 9أ: عن الهيئة العامة للآثار ، صنعاء	لوحة رقم 9ب : عن طيب، 2018، لوحة 29 ج ، ص145

لوحة رقم 10أ: عن الحسيني 2009، لوحة 86، ص253	
لوحة رقم 10ب: عن طيب 2018، لوحة 8 ب ، ص 124	
لوحة رقم 11أ: تمثل تفريغلعقد سيدة الضالع عن باعليان 2007، لوحة 55 د، ص259	لوحة رقم 11ب: عن طيب 2018، لوحة 36 ج، ص152
لوحة رقم 12: عن طيب 2018، لوحة 36 ج، ص152	

الهوامش:

(1) عـوض اللـه: محمـد فتحـي :الإنسـان والـثروات المعدنية،سلسـلة عـالم المعرفة،المجلـس الوطنـي للثقافـة والفنـون والآدب- الكويت،عـدد 33 سـبتمبر، 1985،ص113، 173.

(2) ردونسـون ، ماكسـيم : بـلاد اليمـن في المصـادر الكلاسـيكية (دراسـاتمختارة) ،ترجمـة :حميـد العواضي،عبداللطيـف الادهم،كتـاب ثقـافي شـهري 1،وزارةالثقافـة والسـياحة،صنعاء. 2001، ص 130

(3) Strabo, XVI, iv,19

(4) إسـماعيل: العلاقـة بـين العـراق وشـبه الجزيـرة العربيـة _منـذ منتصـف الألـف الثالـث قبـل الميـلاد حتـى منتصـف الألـف الأول ق.م ، مركزعباديللدراسـاتوالنشر،صنعاء، ص315،316

(5) بيسـتون، الفريـد وآخـرون: المعجـم السـبئي (بالإنجليزيـة والفرنسـية والعربيـة)، مكتبـة لبنـان، دار نشرياتبتيرز- لوفـان الجديـدة ، 1982م، ص 154.

(6) صفـائي، وليـد محمـد: المصنوعـات المعدنيـة في شـبه الجزيـرة العربيـة مُنـذ الألـف الثالـث ق.م حتـى نهايـة الألـف الأول ق.م دراسـة مقارنـة بمثلاتيهـا في حضـارتي بـلاد النهريـن ومـصر القديمـة، (رسـالة دكتـوراه غـير منشـورة)، جامعـة القاهـرة، كليـة الآثـار، قسـم الآثـار ،مصريـة 2012م، ص230.

(7) فيلبـس، ونـدل : كنـوز مدينـة بلقيـس ، تعريـب عمـر الديـراوي، ط1، دار العلـم للملايـين، بـيروت1961م، ص 130.

(8) وصـف الهمـداني طريقـة اسـتخرج الذهـب وتعدينـه بقولـه :» يتـم وضـع المعـدن بقدرخـاص يتحمـل الحـرارة عـلى النـار، فيـذاب المعـدن عـلى النـار، وتحـرق الشـوائب بعـد وضـع أنـواع مـن العلاجـات الخاصـة بتعديـن الذهـب؛ فيصـف الذهـب الخالـص ثـم يرد».الهمـداني: الجوهرتـين العتيقتـين المائعتـين مـن الصفـراء والبيضـاء، ص 140.

(9) بركات،احمـد قائـد: المعـادن في اليمـن، مؤسسـة العفيـف الثقافيـة، صنعـاء، سلسـلة الكتـاب الثقـافي، 1996م،ص104.

(10) الهمـداني، ابـو محمـد الحسـن: الجوهرتـين العتيقتـين المائعتـين مـن الصفـراء والبيضـاء، ط 2، تحقيـق: كريسـتوفر تـول، ترجمةيوسـف محمـد عبداللـه،وزارة الاعـلام والثقافة،صنعـاء.، ص 126، 127،رو، جـان كلـود: تنـوع القبـور مـن اليمـن في بـلاد ملكـة سـبأ، ترجمـة بدرالديـن العـردوكي، مراجعـة يوسـف محمـد عبداللـه، ، دار الأهـالي، دمشـق2001م، ص35، 36 ،لـوكاس، الفريـد: المـواد والصناعـات عنـد القدمـاء المصريين،ترجمةزكياسـكندر،محمدزكرياغنيم،مكتبةمدبولي،القاهرة، ص 387،388 ؛ مكياش،عبداللـه أحمـد: نقـوش عربيـة جنوبيـة مـن اليمـن ، أطروحـة دكتـوراه ، (غـير منشـورة) ، قسـم اللغـة العربية،كليـة اللغات،جامعـة بغداد2002م،ص384،جرومـان: الـثروة المعدنيـة والمناجـم في بـلاد اليمـن، الإكليـل، العدد39يناير، ترجمـة كامـل الرشـحي، وزارة الثقافـة، صنعـاء2011م، ، ص 72.

(11) بيستون وآخرون: المعجم السبئي، ص144؛ مكياش: نقوش عربية جنوبية من اليمن، ص384.

(12) جرومان: الثروة المعدنية والمناجم ، ص7.

(13) الأنصـاري، عبدالرحمـن الطيـب: قريـة الفـاو صـورة للحضـارة العربيـة قبـل الإسـلام،مطبعة جامعةالريـاض ، ص28.

(14) (The Periplus 1912 : 27

(15) الهمداني، الحسن بن احمد : صفة جزيرة العرب ، مكتبة الارشاد ، صنعاء ، 1990، ص154

(16) تعـد مـادة البرونـز نتـاج خلـط النحـاس مـع القصديـر بنسـبة 90% مـن النحـاس، وبنسـبة 10% مـن القصديـر، وهـو معـدن صلـب، اسـتطاع القدمـاء التوصـل إلى صناعتـه، واتخـذوا منـه الكثـير مـن

أدواتهم ومعداتهم .رو: تنوع القبور من اليمن في بلاد ملكة سبأ، ص44.

(17) عقيل، عزة : البرونز في اليمن القديم،ج 1،مطابع السياغي للنشر،صنعاء، 2010م، ص15

(18) علي، جواد: المفصل في تاريخ العرب، ج7. ص516.

(19) المفلحي، يحي عبدالله: المعدن، اليمنية في موسوعة ، ج4، مؤسسة العفيف الثقافية ، صنعاء 2003م ، ص2738.

(20) لوكاس: الفريد: المواد والصناعات عند القدماء المصريين، ص361.

(21) بريتونوبافقيه، كنوز وادي ضراءحفرية إنفاد مشتركة في موقع امذيبية،الهيئة العامة للآثار) فرع عدن(والبعثة الأثرية الفرنسية في اليمن،المعهد الفرنسي آثار الشرق الآدنى-بيروت-دمشق-عمان،المكتبة الاركيولوجية والتاريخية،مج 141 ،المكتبة الشرقية،بولغوثر،باريس.1993، لوحة 12

(22) ابن منظور، حمال الدين : لسانالعرب،ج5 ،دارصادر للطباعة والنشر؛ دار بيروت للطباعة والنشر،بيروت ج5، 1965، ص 461

(23) الاغبري، فهمي علي: معجم الالفاظ المعمارية في نقوش المسند،إصدارات تريم عاصمة الثقافة الاسلامية، 2010،، ص26

(24) النعيم ، نورة :الوضع الاقتصادي في الجزيرة العربية في الفترة من القرن الثالث قبل الميلاد وحتى القرن الثالث بعد الميلاد،ط 3، دارالشواف للنشر والتوزيع ،1992، ص199

(25) عبداللطيف :الحُلي والمجوهرات البيزنطية من مقبرة خربة ياجوز، ص38.

(26) عبداللطيف: الحُلي والمجوهرات البيزنطية من مقبرة خربة ياجوز، ص 37، 38

(27) الضلاعين، مروان عاطف: الإنتاج الصناعي في مملكة الأنباط»مجلة التمدن، مج 4،(د.م)، 2009م،، ص202؛ عبداللطيف : الحُلي والمجوهرات البيزنطية من مقبرة خربة ياجوز، ص40.

(28) طيب: ماجد عبدالرشيد: الحلي في اليمن القديم، رسالة ماجستير غ م، جامعة عدن، 2017 ، ص 30

(29) عبده، خلود مسلم: الحلي في الاردن خلال العصر الحديدي، رسالة ماجستير غير منشور، كلية الدراسات العليا في الجامعة الاردنية ، 1996م ، ص -11 12.

(30) العقيق : عبارة عن معدن شفاف من السليكا خفيفة التبلور، يحتوي على شوائب من مركبات الحديد ،له ألوان مختلفة كالأحمر والبني والأصفر ،وأجود أنواعه شديد الحُمرة الذي يرى في وجهه شبه خيوط .الجاحظ، أبو عثمان عمرو: «التبصر في التجارة» في وصف مايستظرف في البلدان من الأمتعة الرفيعة و الأعلاق النفيسة والجواهر الثمينة» ، ط2، تصحيح وتعليق حسن حسني عبدالوهاب، المطبعة الرحمانية ، مصر 1539م، ص15؛ عثمان، أحمد: تاريخ قبرص، جزيرة الجمال والألم مُنذ القدم وإلى اليوم، (د.ن)، ج3، القاهرة 1997م. ، ص2003، 2100، 2101؛ الجاحظ، أبو عثمان عمرو: «التبصر في التجارة، ص15.

(31) البريهي: ابراهيم بن ناصر: الحرف والصناعات في ضوء نقوش المسند الجنوبي،وكالة الآثاروالمتاحف، الرياض. الحرف والصناعات في ضوء نقوش المسند، 2000م، ص 285.

(32) Pliny, H. N. p.263

(33) كان يتم استخراج اللؤلؤ من أعماق البحر بطريقة بدائية ،في أشهر معلومة من السنة،وكان اللؤلؤ في اليمن يُستخرج من منطقة مثوب وعدن بالقرب من جزيرة سقطرى في موضع اسمه معبتوالمصيرة حيث عُرف كحلية نفيسة مُنذ أقدم العصور. وقد أطلق العرب قديماً عدة تسميات علي اللؤلؤ ،منها» الدَّرة» ،وهي تطلق على اللؤلؤة العظيمة، ويعرف أيضاً»

اليتيمة» كما عرف اللؤلؤ لدحرج بـ(العيون وقد اختلفت ألوانه فمنه الناصع البياض ،ومنه الأصفر والأحمر والأزرق والأخضر.لوكاس، الفريد: المواد والصناعات عند القدماء المصريين، ص643؛المختار، فريال داود: الأحجار والمجوهرات ومدى تأثيرها الطبي من خلال دراسة ابن الأكفاني، مجلة التراث العلمي العربي ،ع 4، 2004م، ص 164؛ الغنيم، عبدالله يوسف: كتاب اللؤلؤ ، ط2، دار البشائر الإسلامية، بيروت 1998م، ص151.

هو عبارة عن مادة صلبة شفافة يتم الحصول عليها بخلط بعض أنواع الرمال الناعمة.

(34) Sidqi, K.M: Archaeological Glossary English-Arabic, King Saud-University1988,P.162.

(35) لوكاس، الفريد: المواد والصناعات عند القدماء المصريين، ص 313.

(36) وهو حجر نفيس، أجوده ما كان يستخرج من جبل أنس، ويمتاز البقران الجيد بلونه الذي يكون له عرق أحمر وفوقه عرق أبيض وفوقه عرق أسود. انظر الهمداني، الإكليل. من أخبار وأنساب حمير، ج8، تحقيق محمد علي حسن الأكوع، إصدارات وزارة الثقافة والسياحة، صنعاء 2004م، ص 58، 59.

(37) هو ضرب من الخرز، وقيل هو الخرز اليماني، وهو الذي فيه بياض وسواد تشبه به الأعين، ومصدره أظفار اليمن، حيث اشتهرت به، وله ألوان كثيرة كالأسود والأبيض والأزرق، والسماوي، وكان يستعمل على هيئة فصوص لتزيين الخواتم. انظر ابن منظور: لسان العرب، ج8، ص 48.

(38) وهو حجر سماوي اللون يشبه الجزع، وكان يستخرج في وادي عشار جنوب غربي صنعاء. وهو فص أسود عرقه أبيض، ويتواجد في شهارة وعيشان من أرض حاشد، وكذلك في وادي سعوان الذي يقع بالقرب من صنعاء. انظر الهمداني، الاكليل، ج8، ص58.

(39) وهو فص أسود عرقة أبيض ويتواجد في شهارة وعيشان من أرض حاشد، وكذلك في وادي سعوان الذي يقع بالقرب من صنعاء. انظر الهمداني، الإكليل، ج8، ص58.

(40) وهو يشبه الياقوت البنفسجي اللون، وبعضه مغشيب البياض وعلى وجهه حمرة، يوجد بشبام في جنوب الجزيرة العربية. انظر معطي: تاريخ العرب الاقتصادي قبل الإسلام، 69.

(41) وهوحجر شديدالصلابة منها الأحمر والأصفر والأبيض والأخضر،وكان يستخرج من جزيرة بالقرب من اليمن. انظر ابن حوقل، ابو القاسم: صورة الأرض، دار مكتبة الحياة، بيروت 1992م، ص 44.

(42) الحسيني: صلاح : طرق الدفن والاثاث الجنائزي في اليمن قبل الإسلام،موقع الحصمة- شقرة دراسة تطبيقية،رسالة ماجستير،كلية الآداب، جامعة عدن، 2009، ص47

(43) Perplus, XXIV.

(44) الدريد،سيريل: مجوهرات الفراعنة،ترجمة وتحقيق: مختار السويفي،الدارالشرقية، القاهرة 1990م، ص50.

(45) باسلامة، محمد عبدالله: النحث والنقش في اليمن القديم) دراسة آثارية مقارنة(رسالةدكتوراة) غيرمنشورة،كليةالآداب،جامعة بغداد، 1995، ص78 الشكل 74.

(46) باعليان، محمد عوش: آزياء من اليمن القديم من خلال منحوتات المتحف الوطني بصنعاء، مجلة المتحف اليمني، العدد2، وزارة الثقافة الهيئة العامة للآثار والمتاحف، ص50.

(47) عقيل: البرونز في اليمن القديم، ج1 ، ص43.

(48) AqilA.A.: Les Bronzes d'arabieMeridionale a la Periodesudarab- ique .Tome. ll , Catalogue,LeCatalogue,Institutd'Art Et d'ArcheologieUniversite de Paris

.1-PantheonSorbonne1991Antonini, 2007,I.A.a.6,p.132

(49) عقيل:البرونز في اليمن القديم، ج1، ص 143

(50) صالح، عبدالعزيز: االمرأة في النصوص والآثار العربية القديمة،من تراث الخليج وشبة الجزيرةالعربية، . مطبعة جامعة الكويت،الاصدار، 1985، ص 88

(51) باسلامة: النحت والنقش في اليمن القديم ص 39.

(52) السناني: رحمة بنت عواد :حلي المرأة في الجزيرة العربية القديمة، مجلة الدارة ،ع 4، الرياض، 1429 هـ ،ص161.

(53) طيب: الحلي في اليمن القديم، ص 46.

(54) الحسيني: طرق الدفن والأثاث الجنائزي في مقبرة موقع الحصمة- شقرة، ص347

(55) باسلامة: النحت والنقش في اليمن القديم ص 32.

(56) طيب :الحلي في اليمن القديم، ص 63

(57) عبداللطيف: الحُلي والمجوهرات البيزنطية،ص47.

(58) الحسيني: طرق الدفن والأثاث الجنائزي في مقبرة موقع الحصمة- شقرة، ص347.

(59) باسلامة: النحت والنقش في اليمن القديم، ص 32.

(60) انطونيوني، سابينا: 1999م ، الصور : الالهة والبشر والحيوانات اليمن في كتاب اليمن في بلاد ملكة سبأ، ترجمة بدر الدين عرودكي مراجعة: د يوسف محمد عبد الله، معهد العالم العربي، باريس، ودار الأهالي ص165

(61) سالم، هالة يوسف محمد: حلي المرأة اليمنية القديمة، العقود والقلائد والصدريات والأطواق(نموذجا)، في حصاد: مؤتمر المرأة العربية عبر العصور، اتحاد المؤرخين العرب، القاهرة، 1433هـ ص 22-23.

(62) باعليان: الملابس في اليمن القديم، ص 286.

(63) باسلامة : النحت والنقش في اليمن القديم ، ص36.

(64) الحسيني،: طرق الدفن والأثاث الجنائزي في مقبرة موقع حصمة- شقرة، ص353.

(65) السناني:حُلي المرأة في الجزيرة العربية القديمة ، ص 172.

(66) باسلامة: النحت والنقش في اليمن القديم، ص 26.

(67) طيب : الحلي في اليمن القديم، ص 70.

(68) السناني: حُلي المرأة في الجزيرة العربية القديمة، ص ص175، 176.

(69) الحسيني: طرق الدفن والأثاث الجنائزي في مقبرة موقع حصمة- شقرة، ص353.

(70) علي، جواد: المفصل في تاريخ العرب، ج7، ص563.

(71) بركات، المعادن في اليمن، مؤسسة العفيف الثقافية، صنعاء، سلسلة الكتاب الثقافي(12)، ص84.

(72) Aqil, Aza Ali et Antonini, p.134.

(73) حميد، بشير عبد الرقيب: الطريق التجاري القديم (موزع- ظفار) دراسة أثرية، أطروحة دكتوراه ، جامعة صنعاء، غير منشور، 2016، ص 45 .

(74) عقيل، عزة البرونز في اليمن القديم، ج1، ص 44.

المصادر والمراجع:

أ- المراجع العربية:

(1) **إسماعيل،عارف** ،1998 م: العلاقات بين العراق وشبه الجزيرة العربية منذ منتصف الالف الثالث ق.م حتى منتصف الالف الاول ق.م،مركز عبادي للدراسات والنشر،صنعاء.

(2) **الأغبري، فهمي علي بن علي** ،2010 م: معجم الالفاظ المعمارية في نقوش المسند، إصدارات تريم عاصمة الثقافة الاسلامية.

(3) **الأنصاري، عبدالرحمن الطيب**،3792 م: قرية الفاو صورة للحضارة العربية قبل الإسلام، مطبعة جامعة الرياض.

(4) **باسلامة، محمد عبدالله**،1995 م: النحت والنقش في اليمن القديم) دراسة آثارية مقارنة(رسالة دكتوراه)غير منشورة ،كلية الآداب، جامعة بغداد

(5) **باعليان، محمد عوض**.2007: آزياء من اليمن القديم من خلال منحوتات المتحف الوطني بصنعاء، مجلة المتحف اليمني، العدد2، وزارة الثقافة، الهيئة العامة للآثار والمتاحف.

(6) **بركات، احمد قائد**،1996 م: المعادن في اليمن، مؤسسة العفيف الثقافية، صنعاء، سلسلة الكتاب الثقافي(12).

(7) **بريتون، جان فرانسوا و بافقيه، محمد عبدالقادر**،1993 م: كنوز وادي ضراء حفرية إنفاد مشتركة في موقع امذيبية، الهيئة العامة للآثار) فرع عدن(والبعثة الأثرية الفرنسية في اليمن، المعهد الفرنسي آثار الشرق الآدنى-بيروت-دمشق-عمان، المكتبة الاركيولوجية والتاريخية، مج 141 ، المكتبة الشرقية، بول غوثنر، باريس.

(8) **البريهي، إبراهيم بن ناصر**،2000 م: الحرف والصناعات في ضؤ نقوش المسند الجنوبي، وكالة الآثار والمتاحف، الرياض.

(9) **بيستون، الفريد وآخرون** ،1982م : المعجم السبئي (بالإنجليزية والفرنسية والعربية)، مكتبة لبنان، دار نشرياتبتيرز- لوفان الجديدة.

(10) الجاحظ،أبوعثمان عمرو،1539م: «التبصر في التجارة» في وصف مايستظرف في البلدان من الأمتعة الرفيعة والأعلاق النفيسة والجواهر الثمينة» ،ط2،تصحيح وتعليق حسن حسني عبدالوهاب،المطبعةالرحمانية،مصر.

(11) **جرومان، أدولف.** 2011 م: «الثروة المعدنية والمناجم في بلاد اليمن»، الأكليل، عدد 93 يناير، ترجمة كامل الرشحي، وزارة الثقافة- صنعاء.

(12) **الحسيني، صلاح.** 2009 م: طرق الدفن والاثاث الجنائزي في اليمن قبل الإسلام، موقع الحصمة- شقرة دراسة تطبيقية، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة عدن.

(13) **حميد، بشير عبد الرقيب:** 2016م: الطريق التجاري القديم (موزع- ظفار) دراسة أثرية، أطروحة دكتوراه ، جامعة صنعاء، غير منشور.

(14) ابن حوقل،ابوالقاسم: 1992م ، صورةالأرض،دار مكتبةالحياة،بيروت.

(15) **الدريد، سيريل:** 1990م مجوهرات الفراعنة، ترجمة وتحقيق: مختار السويفي، الدار الشرقية، القاهرة.
(16) **رو،جانكلود،**1999 م: تنوع القبور اليمن في بلاد ملكة سبأ، ترجمة بدرالدين عردوكي، مراجعة يوسف محمدعبدالله، معهد العالم العربي،باريس،دارالاهالي،دمشق.
(17) **رودنسون، ماكسيم.** 2001 م: بلاد اليمن في المصادر الكلاسيكية)دراسات مختارة(ترجمة) :حميد العواضي، عبداللطيف الادهم، كتاب ثقافي شهري 1، وزارة الثقافة والسياحة، صنعاء.
(18) **زارينس، يوريس؛ وآخرون.** « 1433هـ : تقرير مبدئي عن مسح وتنقيب نجران/ الأخدود في عام 1402هـ/ 1982م» أطلال 7(1403هـ/ 1983م)، ص31، يعقوب، مشاعل: تماثيل موقع الأخدود في نجران(دراسة فنية مقارنة)، رسالة ماجستير(غير منشورة)، كلية السياحة والآثار، جامعة الملك سعود.
(19) **انطونيوني، سابينا،**1999م، الصور : الالهة والبشر والحيوانات اليمن في كتاب اليمن في بلاد ملكة سبأ، ترجمة بدر الدين عرودكي مراجعة: د يوسف محمد عبد الله، معهد العالم العربي، باريس، ودار الأهالي .
(20) **سالم، هالة يوسف محمد،**1433هـ: حلي المرأة اليمنية القديمة، العقود والقلائد والصدريات والأطواق(نموذجا)، في حصاد: مؤتمر المرأة العربية عبر العصور، اتحاد المؤرخين العرب، القاهرة.
(21) **السناني: رحمة بنت عواد**1429 هـ :حلي المرأة في الجزيرة العربية القديمة، مجلة الدارة ، ع 4، الرياض.
(22) **صفائي، وليد محمد،**2012م : المصنوعات المعدنية في شبه الجزيرة العربية مُنذ الألف الثالث ق.م حتى نهاية الألف الأول ق.م دراسة مقارنة بمثلاتيها في حضارتي بلاد النهرين ومصر القديمة، (رسالة دكتوراه غير منشورة)، جامعة القاهرة، كلية الآثار، قسم الآثار المصرية.
(23) **صالح: عبدالعزيز،**1985 م: المرأة في النصوص والآثار العربية القديمة، من تراث الخليج وشبة الجزيرة العربية، . مطبعة جامعة الكويت، الاصدار 14.
(24) **طيب، ماجد عبدالرشيد.** 2017:الحلي في اليمن القديم، رسالة ماجستير غ م، جامعة عدن.
(25) **عبده، خلود مسلم.** 1996م: الحليفي الاردن خلال العصر الحديدي، رسالة ماجستير غير منشور، كلية الدراسات العليا في الجامعة الاردنية.
(26) **عثمان،أحمد:** 1997م : تاريخ قبرص،جزيرة الجمال والألم مُنذ القدم وإلى اليوم، (د.ن)،ج3،القاهرة.
(27) **عقيل، عزه علي.** 2010 م: البرونز في اليمن القديم، ج 1، مطابع السياغي للنشر، صنعاء.
(28) **عوض الله، محمد فتحي.** 19980 م: الانسان والثروات المعدنية، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والادب- الكويت، عدد 33 سبتمبر.
(29) **الغنيم،عبداللهيوسف:** 1998م : كتاب اللؤلؤ، ط2، دارالبشائر الإسلامية، بيروت.
(30) **فيلبس، وندل.** 1961م: كنوز مدينة بلقيس، تعريب عمر الديراوي،ط1، دارالعلم للملايين،بيروت.
(31) **لوكاس،الفريد:** 1991 م: المواد والصناعات عند قدماء المصريين، ترجمة زكيا سكندر، محمد زكريا غنيم،مكتبة مدبولي،القاهرة.

(32) المختار، فريالداود.2004م: الأحجار والمجوهرات ومدى تأثيرها الطبي من خلال دراسة ابنال أكفاني، مجلة التراث العلمي العربي،ع 4.

(33) **مكياش، عبدالله أحمد.2022** م: نقوش عربية جنوبية من اليمن- دراسة مقارنة، أطروحة دكتوراه)غير منشورة(قسم اللغة العربية، كلية اللغات، جامعة بغداد.

(34) **المفلحي، يحي عبدالله.**2003 م: المعادن، في الموسوعة اليمنية، ط 2، مج 4، مؤسسة العفيف الثقافية، صنعاء، ص .2740-2735.

(35) **ابن منظور، جمال الدين محمد.**1968 م: لسان العرب، ج5، دار صادر للطباعة والنشر؛ دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت.

(36) **النعيم، نورا عبدالله.** 1992م: الوضع الاقتصادي في الجزيرة العربية في الفترة من القرن الثالث قبل الميلاد وحتى القرن الثالث بعد الميلاد، ط 3، دارالشواف للنشروالتوزيع.

(37) **الهمداني: الحسن بن أحمد.** 2004 م : الإكليل. من أخبار وأنساب حمير،ج8، تحقيق محمدعلي حسن الأكوع، إصدارات وزارة الثقافة والسياحة، صنعاء،1990: صفةجزيرة العرب، مكتبة الارشاد،صنعاء.

(38) 1985 م: الجوهرتين العتيقتين المائعتين من الصفراء والبيضاء،ط 2،تحقيق: كريستوفرتول، ترجمة يوسف محمد عبدالله، وزارةالاعلام والثقافة،صنعاء.

المراجع الأجنبية:

(1) **Aqil A.A.:**2007:Les Bronzes d'arabie Meridionale a la Periodesudarab- ique .Tome.ll,Catalogue,Le Catalogue,Institutd'Art Et d'Archeologie Universite de Paris 1-PantheonSorbonne1991Antonini, ,I.A.a.6,p.132..Pliny1967: Natural history, London, Loeb, Classical, Library, BK. 6.

(2) **Sidqi, K.M**1988: Archaeological Glossary English-Arabic, King Saud-University

(3) **Shoff, Wilfred,:**1912 The Periplus of the Erythraean Sea, New York,.